الترانسفير

الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية

ترجمات مختارة من العبرية

تقديم : د . محجوب عمر



الترانسفير

الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية

ترجمات مختارة من العبرية

تقديم : د . محجوب عمر

الترانسفير: الإبعاد الجماعي في العقيدة الصهيونية

الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .

الناشر : دار البيادر للنشر والتوزيع

القاهرة : ٣٥ شارع جزيرة العرب ، المهندسين ، تلفون : ٣٤٤٤٣٣٠ .

مراجعة : عبد المجيد إبراهيم .

صورة الغلاف الأول : الفلسطينيون الذين دفعوا إلى البحر فى ميناء يافا بعد استيلاء العصابات الصهيونية على المدينة .

كتاب « قبل الشتات » للدكتور وليد الخالدى .

صورة الغلاف الأخير : الفلسطينيون يعبرون على جسر هدمته الطائرات الاسرائيلية فوق نهر الأردن عام ١٩٦٧ .

كتاب « the palestinians » ، لچورچ شتاين .

تقديم

هذا الكتاب يضم تسعة عشر مقالاً تم نقلها وترجمتها عن الصحف الإسرائيلية ؛ في الفترة التي شهدت اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الباسلة ، والشهور التالية لها ؛ باستثناء المقال الأخير – وهو أطولها – وقد كتبه البروفيسور إسرائيل شاحاك ؛ رئيس الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان – خصيصاً لمجلة دراسات فلسطينية التي تصدر باللغة الفرنسية في باريس ، ونشر في العدد التاسع والعشرين منها ؛ في خريف ١٩٨٨ .

وسيجد القارىء أن المقالات تتدرج به من داعية صريح لفكرة الترانسفير إلى مناقش لها إلى معارض عنيد كالبروفيسور شاحاك الذي لم يتردد – وهو يهودي – في أن يعيد الفكرة إلى أصولها العقيدية عند اليهود ، وأن يبين للقارىء كيف أن فكرة إبادة الشعوب الأخرى ونقلها هي جزء من التراث الديني اليهودي .

ولقد ورد على لسان كتبة هذه المقالات جميعاً الكثيرُ من العبارات التي قد تسيء إلى هذه الدولة العربية أو تلك ؛ من موقع عدائهم المتأصل – كصهاينة – للعرب أجمعين ، وبدافع تغطية جرائمهم وتبريرها . وحرصاً على مصداقية الكتاب لم يحدث أي تدخل في النص العبري مادامت مثل تلك العبارات واردة في سياق

شرح أو معارضة فكرة الترانسفير نفسها ، والقارىء العربي – بلا شك – قادر على اكتشاف ورفض مثل هذه الأقوال ؛ من دون حاجة إلى تنبيه .

ولقد جمعت هذه المقالات فور صدورها تقريباً ، إذ لفت النظر إليها احتلالها واحتلال مقولة الترانسفير مساحاتٍ متزايدة من الصحافة الإسرائيلية ؛ في الوقت الذي كانت الانتفاضة الفلسطينية فيه تفاجىء العالم كله والإسرائيليين بوجه خاص ؛ بحيث أثارت عشرات الأسئلة .

الإسرائيليون تساءلوا جميعاً عن المخرج ، وعن كيفية مواجهة الانتفاضة ؟ وهنا جاءهم الجواب على لسان عدد من القادة الصهاينة ؛ يذكرونهم بما كانوا قد نسوه ؛ عندما صدقوا أنفسهم ودعاياتهم ، وتصوروا أن إسرائيل دولة ديمقراطية متحضرة بالفعل . الحل كان عند هؤلاء القادة مختصراً في كلمة واحدة يعرفها الإسرائيليون جيداً هي الترانسفير .

يقول شلومو جازيت في مقاله المنشور في هذا الكتاب : « إن فكرة الترانسفير ، أو نقل العرب الفلسطينيين إلى خارج أرض إسرائيل بإرادتهم ؛ ليست فكرة جديدة ، ولا تؤيدها جماعات هامشية في إسرائيل . إن الاستفتاءات العامة واستطلاعات الرأي تظهر أن

الكثير من الإسرائيليين يؤيدون هذه الفكرة ويؤمنون بها » .

« إن زيادة التأييد والحماس لهذه الفكرة هي – في رأيي – نتيجة لأمرَيْنِ مهمَّين لهما تأثير على الرأي العام والشخصيات السياسية أيضاً : الأمر الأول هو البروز الواضح لخطر المشكلة الديموجرافية العربية / اليهودية ... أمَّا الأمر الثاني – وهو جديد تماماً – فيكمن في صحوة مواطني الأراضي المحتلة وانتفاضتهم ، والقضـــاء علـى وَهْمِ إمكانية التعايش تحت ظلّ الحكـم الأجنبي » (هآرتس ٢/٣/١٩٨٨) .

وسيعرف القارىء عندما يقرأ هذا المقال كاملا أن الكاتب رئيس سابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية ، وهو مصنف من الحمائم ، ومعارض للترانسفير ؛ أي إنه ليس من أصحاب المصلحة في الاعتراف بأن « الكثير من الإسرائيليين يؤيدون هذه الفكرة ويؤمنون بها » .

(٢)

الترانسفير ... ومعناها باللغة العربية النقل ؛ معناها السياسي أخطر بكثير من هذا المعنى المحايد ، واليهود – على وجه التحديد – هم أكثر الناس في العالم الذين يعرفون المعنى السياسي للكلمة.

فإبَّان الاحتلال النازي لدول أوربا تم الاتفاق مع عدد من القيادات الصهيونية على نقل اليهود من هذه البلاد إلى معسكرات الاعتقال سيئة السمعة كبوخنوالد و أوشفيتز ؛ مقابل السماح لأعداد من اليهود المنتقين الأغنياء والأقوياء بالرحيل إلى فلسطين .

عمليات النقل تلك كانت تتم في إطار ما سمي بخطة الحل النهائي للمشكلة اليهودية ، ثُمَّ ارتبطت الكلمتان ببعضهما ؛ الترانسفير والحل النهائي ، واكتسبتا معنى خاصاً هو التهجير والإبعاد والإبادة .

لذا ؛ فعندما يستخدم صهاينة مثل هذه العبارات فإنها تحمل مباشرة هذه المعاني ، ولا يكون مقصوداً – كما يحاول واحد من الداعين إليها – أن يتم ذلك بمحض الاختيار ، وإنما تعني إجبار الناس على ترك بيوتهم ، والانتقال من أوطانهم إلى أماكن أخرى بالقهر والقمع والقتل أيضاً .

والواقع – كما يدافع واحد من أبرز دعاة الترانسفير عن نفسه : « أن الصهيونية الحقيقية ليست أكثر من تاريخ قرن من الزمان من الطرد والمحاولات التي لاتنتهي لإبعاد العرب عن البلاد » (ملحق عل همشمار ٢٥/١١/١٩٨٨) .

ولكن رحبعام زئيفي – بالطبع – صهيوني أصيل ، لذا ؛ لا

يفوته أن ينسب بعض الفضل إلى نفسه في هذه الجريمة ؛ فيتقدم باقتراح مطور يسميه الترانسفير الإرادي ؛ أي الترانسفير الذي يعتمد على ترك العرب بإرادتهم لبلادهم .

والاقتراح على سذاجته لا يجب إغفاله ؛ فليس رحبعام زئيفي من الغباء بحيث يتصور أن العرب يمكن أن يتركوا بلادهم بإرادتهم ، لذا ؛ فهو يقترح خلق الظروف التي تدفعهم إلى خارج هذه البلاد؛ مع الاستعداد لاستثمار كل ظرف لتحقيق هذا الغرض ، كما أنه وهو رجل عُرِفَ بقدرته الفائقة على التنظيم - يتطوع بوضع الخطط ودراسات الجدوى ؛ لكي يتم تنفيذ هذه العملية على نحو يضمن انتقال / طرد أكبر عدد ممكن من العرب إلى خارج فلسطين ؛ خاصة وقد أفلتت من الصهاينة - كما يقولون هُمْ - فرصةٌ مماثلة أيام حرب عام ١٩٦٧ ؛ عندما لم يغادر البلاد أعداد كبيرة ، بل عندما عاد إلى البلاد بعد رحيله مَن استطاع العودة ؛ وقد تبين له أن الحرب قد أدت إلى احتلال ما تبقى من أراضي فلسطين ، وقدَّر الناس بخبرتهم أن هذا الاحتلال سيستمر طويلا .

رحبعام زئيفي اختار لنفسه اسم شهرة هو غاندي !! وهو كصِنْوه أرييل شارون يدعي الجرأة والقسوة ، وهو أمر مشكوك فيه بشهادة زملائه ، ولولا إسحق رابين لما نال ترقيته . أما موشيه دايان

فقد أهداه يوما لبؤة عَكَفَ على تربيتها في مقر قيادته . تُرى ما الذي يجعل سفاحاً مثله يختار اسم غاندي كاسم شهرة ؟ ربما لأنه لم يقرأ من تاريخ ذلك الرجل العظيم سوى وقائع عمليات النقل الرهيبة التي ترتبت على تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند والباكستان ؛ ولعله عاكف الآن على دراستها .

(٢)

تاريخ قرن من الزمان من الطرد والمحاولات التي لا تنتهي لإبعاد العرب عن البلاد – ذلك هو تاريخ الصهيونية الحقيقية . بدأت منذ مطلع القرن في فلسطين بعمليات تهجير مموهة للفلاحين العرب من الأراضي التي كان الصهاينة يحصلون عليها بالتدليس ، والتزييف ، وإغراء ملاكها الأجانب ببيعها ؛ عندئذ يقوم اليهود القادمون من شرقي أوربا بطرد الفلاحين العرب الفلسطينيين من الأرض التي زرعوها وآباؤهم وأجدادهم مئات السنين ؛ بحجة إقامة مستوطنات يهودية خالصة هي الكيبوتسات التي كانوا يتباهون بإقامتها أمام الأوربيين ؛ بدعوى أنهم أول من طبّق الاشتراكية في الزراعة . واشتراكيتهم المزعومة هذه قامت على أساس عنصري هو طرد الفلاحين العرب ؛ لأنهم عرب ، ولأنهم أصحاب الأرض ، ولم يكن أمام هؤلاء إلا أن يلتحقوا بالمدن كعمال أجراء .

ثم جاءت المشاريع الرأسمالية الصهيونية ، ووضعت قاعدة العمل العبري ؛ بحيث أُرغم كثير من العمال العرب على الهجرة والرحيل ؛ بحثاً عن الرزق . وكان العمل العبري - أيضا - دليلاً على عنصرية الصهيونية التي ادّعت أنها حركة علمانية غير دينية ، ثم جعلت من الانتماء إلى اليهودية شرطاً للعمل ، ولملكية الأرض ، ثم للمواطنة بعد ذلك .

وتزايدت سرعة عمليات الطرد ؛ خاصة بعد مجيء لجنة بيل البريطانية عام ١٩٣٧ إلى فلسطين ، وطرحها لأول مرة فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . ومنذ هذا الحين أخذت الصهيونية تكثف تواجد المستوطنين على الأراضي المزمع تسليمها لهم ، وتطارد العرب في أرزاقهم وعيشهم وحياتهم ؛ لإخلائها .

عملية الترانسفير الكبرى التي تمت بالفعل في فلسطين ، أو من فلسطين ؛ تمت في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٤٧ والأولى من عام ١٩٤٨ ؛ عندما نشبت حرب فعلية بين الشعب الفلسطيني - من جانب - وعصابات الصهاينة - من جانب آخر ؛ يحاول فيها الأولون البقاء على أرضهم ، ومحاصرة التوسع الصهيوني ، ويعمل فيها الأخيرون - طبقاً لخطة مسبقة - على طرد السكان من القرى والمدن وجميع المواقع المهمة . كانت تلك هي الحرب العربية الإسرائيلية

الأولى ؛ على خلاف ما يذكره المؤرخون وهو أن الحرب الأولى كانت بين الجيوش العربيـة وجيش إسـرائيل ؛ فتلك كانت - في واقع الأمر - الحرب الثانية التي بدأت متأخرة جداً ؛ بعد شهور من حرب ضروس ناشد فيها الفلسطينيون الدول العربية أن تزودهم بالسلاح ؛ مجرد السلاح فلم توفره لهم .

إن التاريخ التفصيلي لهذه الحرب العربية الإسرائيلية الأولى يبين كيف نجحت الصهيونية - للأسف - في إخفاء أخبارها ، وكيف تم تغييبها عن عَمْد من ذاكرة البشر ؛ لكي تحل محلها أحداث حرب عام ١٩٤٨ التي تصور إسرائيل نفسها فيها كحَمَلٍ وديع هاجمته الذئاب من كل موقع ، ولكنه استطاع أن يهزمها جميعا ، ثم تروج أكذوبة أن الرؤساء والملوك العرب هم الذين طلبوا إلى الفلسطينيين مغادرة أرضهم ؛ لحين الانتهاء من إسرائيل ، والحقيقة أن الجيوش العربية قد دخلت فلسطين بعد أن كان القسم الأكبر من المهاجرين الفلسطينيين قد اضطروا إلى تركها - بالفعل - إلى حيث تحولوا إلى لاجئين .

(٤)

يذكر الكاتب والباحث الفلسطيني الأستاذ إلياس صنبر؛ في كتابه المنشور باللغة العربية مترجماً عن الفرنسية : «فلسطين ١٩٤٨؛

التغييب » ؛ أن القيادة الصهيونية – وبالدقة قيادة الهاجاناه ؛ وهي واحدة من القوات العسكرية الإسرائيلية في ذلك الوقت – وضعت في شباط (فبراير) و آذار (مارس) ١٩٤٨ الخطة « د » (أو داليت بالعبرية) ؛ بديلا من الخطط « أ » ، و« ب » ، و« ج » التي رُسمت سابقاً ، والتي تم التخلي عنها ؛ بسبب تطورات الوضع السياسي .

كانت الخطة « ج » قد وضعت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بعد التصويت لصالح قرار التقسيم في هيئة الأمم المتحدة ، وذلك استعداداً لاقتراب الحرب ، و « لتنظيف » المناطق التي حددها قرار التقسيم لليهود . ثم وضعت الخطة « د » التي طلبت إلى قادة ألوية الهاجاناه « تعزيز الدفاع عن المناطق المسيطر عليها ، وإنشاء خطوط دفاع جديدة ؛ عن طريق احتلال جميع الحصون البريطانية ، وجميع القرى العربية المجاورة للمستوطنات اليهودية ، والسيطرة على جميع طرق المستوطنات ، ومحاصرة المدن ، واحتلال جميع قواعد العدو المتقدمة » (ص ١٥٨) .

ويحصي الأستاذ إلياس صنبر ثلاث عشرة عملية تم تنفيذها بين الأول من نيسان (إبريل) والخامس عشر من أيَّار (مايو) وهو موعد دخول الجيوش العربية ؛ ثمانٍ منها خارج حدود التقسيم اليهودية ؛ أي في المجال المخصص مبدئيًّا للفلسطينيين .

ومرت أعوام ينصَبُّ فيها الزيف الصهيوني في آذان الناس ؛ حتى صدَّق كثيرون أن الشعب الفلسطيني قد ترك أرضه - بالفعل - بإرادته . ثم بدأت الحقائق تظهر ؛ فلقد تغيرت الظروف ونهض الشعب الفلسطيني منظماً نفسه ، وأفرز من بين أبنائه قياداته المسئولة ، وبحث الفلسطينيون في خِزَانة التاريخ فتكشفت الحقائق ، وطرقوا برشاشاتهم وقنابلهم وبطولاتهم ضمائر الناس فتقدم الشرفاء منهم ؛ يشهدون ويروون الحكايات عن المذابح التي قامت بها القوات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ؛ في الأشهر السابقة على دخول الجيوش العربية إلى فلسطين ، وتبين للناس أنه كما أن أعداداً من الفلسطينيين طردوا ورحلوا من بلادهم ؛ فإن الشعب الفلسطيني قدم في سبيل البقاء على الأرض ١٤٨١٣ مقاوما وهبُوا حياتهم في عام ١٩٤٨ ؛ لكي تظل أرضهم فلسطينية .

هؤلاء هم الشهداء الذين أمكن تحديد أسمائهم ، وأسماء مدنهم وقراهم الأصلية ، وتاريخ استشهادهم (عارف العارف ، النكبة ، بيروت وصيدا ، ١٩٥٦ / ١٩٦٠ ، في ستة أجزاء ، الجزء الرابع ، ص ١١ إلى ص ٢٢١) . والذين مضوا دون أن تذكر أسماؤهم لا ريب أنهم أضعاف هذا العدد ؛ بعد أن توزعت عائلات وقرى ، وبعد أن غيَّبت سنوات اللجوء الأولى السجلات والوثائق ، وأخفت السلطات العربية الحقائقَ عن الناس .

الأستاذ إلياس صنبر يخلص في كتابه إلى ما يلي : « إن القوات العربية لم تخسر حرب الحفاظ على الأرض الفلسطينية وإنما حرب استعادتها ؛ ذلك أن حربين اثنتين قد حصلتا في الواقع ؛ انتهت الأولى في ١٥ أيار (مايو) بطرد الفلسطينيين وإقامة الدولة اليهودية في مكانهم ، والثانية وضعت هذه الدولة في مواجهة جيوش الأقطار العربية المجاورة . لقد وقعت حربان يدمجهما الصهاينة – عادة – في واحدة ، هي الثانية تحديداً . هذا الدمج هو ما يجب كسره ؛ للخروج من الإشكالية المغشوشة ، حتى نتمكن أخيراً من التحدث عن ضخامة الطرد ، وعن الزوال الفعلي للوطن الفلسطيني » (ص ١٧٨) .

(٥)

على طول القرن الذي قارب الانتهاء وجدت الصهيونية مقولات « أيديولوچية» تبرر عمليات الطرد والإبادة .

أولى تلك المقولات – وهي التي سادت في مطلع القرن – كانت مقولة أن فلسطين هي أرض بلا شعب واليهود شعب بلا أرض ، لذا ؛ فهم يستحقونها . القائلون بهذه الفِرْيَة لم يكونوا يجهلون أن في فلسطين شعباً ، وأنها بكل المقاييس – في ذلك الوقت – كانت بلدا مسكونا ذا حضارة ، ومعروفا – أيضاً – لمن هم خارجه ؛ فليست

فلسطين بقعة مجهولة لا في التاريخ ولا في الجغرافيا ، وليس من المعقول تصور أنه كان في مطلع القرن من يظن أنه ليس في فلسطين شعب .

ريما انخدع بعض اليهود بهذه العبارة ، ولكنهم عندما جيء بهم إلى فلسطين ووجدوها مسكونة وعامرة – لم يتراجعوا ، وإنما أخفوا ضمائرهم – إنْ كانت موجـودة – وراء هذه الكلمـات الست : « أرض بلا شعب وشعب بلا أرض » ، حتى رأى جابوتينسكي فلسطين – ولم يكن على أية حال من الرعيل الأول للمستوطنين – وأوصى بإبـادة سكانها الذين لابد سيموتون بلدغات العقارب والثعابين .

بعد شعار « أرض بلا شعب وشعب بلا أرض » تم ترويج فكرةَ عبريةِ الأرض وفكرة عبريةِ العمل ، وكلتاهما – مع الفكرة الأولى – تفترض إبادة الشعب الفلسطيني ؛ فإنْ كانت الفكرة الأولى تفترض أن الأرض بـلا شعب ؛ فإن السلوك المترتب علـى ذلك هــو نفي هذا الشعب ؛ أي إلغاء ه مادام من المسـتحيل – طبعا – نفي الأرض – في ذلك الوقت – وإلا لانتفى تماماً دافع الهجرة عند اليهود ؛ إذْ لم تعدْ هناك فلسطين التي يقولون لهم إنها أرض الميعاد .

لقد حرص الصهاينة منذ البداية على إنكار وجود الشعب

الفلسطيني ، واستعملوا بدهاء شديد كلمة العرب ليصفوا بها سكان فلسطين ، ولم يعترض الفلسطينيون - بالطبع - فهم عرب ويفخرون بعروبتهم ، ولكن الهدف الصهيوني كان هو إنكار وجود شعب فلسطين ؛ تمهيداً ليوم ينكرون فيه وجود فلسطين ذاتها كاسمٍ ، وهو مافعلوه عند إعلان دولتهم باسم دولة إسرائيل ، وهو أيضا ما يزالون يفعلونه بالحديث عن أرض إسرائيل الكبرى بدلاً من فلسطين ، وبالإصرار على عدم قيام دولة فلسطين المستقلة .

لقد تداخلت العلاقة بين صفة البشر وصفة الأرض ، واكتشف الصهاينة أن الفلسطينيين قد احتفظوا بهوية الأرض التي أعطتهم هي هـويتها في الأصـل . وهكذا ؛ لم يعد ممكنا - من الناحية النظرية ؛ على الأقل - أن يتحقق المشروع الصهيوني كاملاً إلا بنفي الأرض والشعب معاً ؛ أي بنفي الهوية الفلسطينية المستقلة ، وبتغييب اسم فلسطين . ولعل ذلك يبين أهمية التأكيد على فلسطين المستقلة كهدف استراتيجي للثورة الفلسطينية ، إذْ إن قيامها على أية بقعة من بقاع فلسطين سيعني بداية النهاية للمؤسسة الصهيونية على أرضها ؛ ناهيكم عمّا سيثيره من تساؤلات في ضمير الرأي العام العالمي ، وفي الضمير الإسرائيلي نفسه الذي بدأ بعض شرفائه ومتعصبيه - أيضا - يتساءلون ؛ وهم يناقشون الانسحاب من الضفة

الغربية وغزة – عن الفرق بين نابلس المستقلة ويافا وحيفا وعكا والقدس وغيرها .

(٦)

في اجتماع ضم ضابطاً بريطانيًا وموظفاً يهوديًا في حكومة الانتداب البريطانية ؛ تساءل الأول عمّا إذا كانت الدولة اليهودية لن تواجه الكثير من الاضطرابات الداخلية ؛ نظراً لكون العرب فيها بعدد المواطنين اليهود تقريباً ؛ فأجاب الموظف اليهودي قائلا « أوه ؛ كلا ، إن الأمر سيحل ، إن بضع مجازر محكمة التنفيذ ستخلصنا منهم عمّا قريب » .

ولقد كانت خطط المجازر معدة ؛ بعضها للغزو وبعضها للطرد الذي لم يكن – كما يدعي بعض الصهاينة الآن – مجرد نتيجة من نتائج الحرب وإنما كان مقصودا ومخططا .

لقد اعترف مؤرخ عسكري إسرائيلي بذلك وهو ينقل أحداث فترة الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الأولى [تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ – أيار (مايو) ١٩٤٨] مصوراً أنها كانت حرباً دفاعية من جانب الصهاينة ، وأن « هذا الدفاع أصبح أمراً واجباً وما عاد للتردد من مكان . إذا كان بقاء القدس اليهودية غير ممكن إلا باحتلال قرية القسطل العربية ... فقد كان يجب احتلال القسطل ؛

وإذا كان لم يسمح لحيفا اليهودية أن تتعايش وحيفا العربية فقد كان يجب احتلال حيفا » .

ولقد وقعت مذبحة القسطل بالفعل ؛ وإنْ كانت حكايتها قد غطت عليها مذبحة أخرى وقعت بعد أيام من الأولى هي مذبحة دير ياسين . لقد احتل الصهاينة قرية القسطل الواقعة على طريق القدس كجزء من خطتهم المذكورة آنفاً بالسيطرة على الطرق المؤدية إلى المدينة المقدسة . كان ذلك في اليوم الثاني من شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٤٨ ، وكان القائد الفلسطيني عبد القادرالحسيني في ذلك الوقت في دمشق يسعى إلى الحصول على الأسلحة والذخائر ليحارب بها ، ولكنه عاد دون أن يحصل إلا على بضع بنادق . هذا في الوقت الذي كان الصهاينة فيه يحشدون خمسة آلاف رجل من البلماخ والهاجاناه مسلحين بأسلحة حديثة ؛ اشتروها من تشيكوسلوفاكيا ونقلوها إلى فلسطين بحراً وجوا ؛ إلى جانب الدبابات الخفيفة والسيارات المصفحة التي حصلوا عليها من سلطات الانتداب البريطاني من قبل .

كانت القسطل أول قرية عربية يحتلها الصهاينة عام ١٩٤٨ ، وقد أدى سقوطها والمذابح التي وقعت فيها إلى هزّ مشاعر الناس ؛ فانطلق المئات من شباب القدس وقراها ورجال العشائر نحوها ، وشن المجاهدون بقيادة جيش الجهاد هجوما مضـاداً ، وتمكنوا بعـد

قتال عنيف من دفع الصهاينة إلى داخل القرية ، وأصبحوا على بعد مائتي متر من وسطها ، ثم توقفوا عن إطلاق النار ؛ توفيراً للذخيرة ، وفي انتظار المدد .

ولقد أصيب في هذا القتال قائد القوة العربية المهاجمة ؛ كامل عريقات ، وحل محله المجاهد إبراهيم أبو ديه ، وتحولت معركة القسطل إلى معركة حاسمة : الصهاينة يدفعون بنجداتهم ، والعرب يثبتون مواقعهم بما يصلهم من نجدات من المجاهدين ؛ حتى وصل القائد عبد القادر الحسيني إلى القدس عائداً من دمشق ؛ صباح يوم ٧ ؛ فأعاد تنظيم القوات ورتب خطة الهجوم ، واقتحم القرية وحررها ، وفر الصهاينة . واستشهد عبد القادر الحسيني ، وبدأت باستشهاده محنة أخرى .

(٧)

عندما عاد الشهيد عبد القادرالحسيني من دمشق إلى القدس ؛ وقبل أن يتحرك إلى القسطل ترك لزوجته رسالة قصيرة يقول فيها « ... إنها (الأنظمة العربية) قد تركت لنا خياراً بين ثلاثة : أن نهرب إلى العراق أو ننتحر أو نسقط هنا مقاتلين » .

ولقد كان الحسيني قائداً شاباً محبوباً بين الشعب الفلسطيني ، وأدى استشهاده إلى اندفاع الكثيرين لتشييع

جنازته ؛ على الرغم من تنبيه قيادة المجاهدين للناس بضرورة التحصن في مواقعهم ؛ تحسباً للهجمات الصهيونية المتوقعة . وهكذا ؛ ترك الرجال في قرية دير ياسين القريبة من القدس أماكنهم وذهبوا لتشييع جنازة القائد الشهيد الذي كانت إذاعة الهاجاناه تكرر نبأ استشهاده متعمدة النيل من معنويات الناس .

في دير ياسين وقعت أشهر المذابح الصهيونية في تاريخ الشعب الفلسطيني قبل مذبحة صبرا وشاتيلا . في ذلك الوقت ؛ في ليلة ٩ / ١٠ نيسان (إبريل) ١٩٤٨ ، وبينما كانت فرق البلماخ (الصاعقة) الصهيونية محاصرةً في القسطل - هاجمت قرية دير ياسين مجموعتان من عصابتي الأرجون وشتيرن ؛ وهما تنظيمان صهيونيان اشتهرا بالأعمال الإرهابية الفجة والمباشرة ، وكانا بذلك أداةَ المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ الأعمال التي لا يمكنهم الدفاع عنها علناً .

بعد بضع ساعات من هذا الهجوم تم اعتقال مَن تبقى من الرجال ووضعوا في شاحنة طافت بهم شوارع الأحياء اليهودية في القدس ، ثم أعيدوا إلى محجر بالقرب من القرية وأعدموا هناك بكل برودة أعصاب ، وبعدها جَمَعَ المهاجمون من بقي على قيد الحياة من النساء والأطفال ونقلوهم إلى جوار بوابة مندلبوم في مدينة القدس .

والملاحظ الآن أن عصابات الصهاينة حرصت على إذاعة أنباء هذه المذبحة ، وإنْ ألقت بمسئوليتها – طبعاً – على هاتين العصابتين الصهيونيتين ، وكأن الوكالة اليهودية التي كانت مسئولة – وقتذاك – عن جميع المناطق الواقعة في أيدي اليهود ؛ لا تعرف شيئا .

ولقد شهد رجل شريف هو جاك دورينيه ؛ رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي إلى فلسطين عام ١٩٤٨ – على هذه المذبحة ، وكذّبه الصهاينة – بالطبع ، وبعد سنوات طويلة كشف مشارك في هذه المذبحة – أصبح فيما بعد كولونيلا في الجيش الإسرائيلي – هو ميئير بعيل ؛ عن تفاصيلها ، وأكد اشتراك الهاجاناه (القوة الضاربة اليهودية) في التخطيط وفي التنفيذ ، كما اعترف عدد من القادة الصهاينة بل تفاخروا بهذه المذبحة التي لم يشكل وقوعها أي مكسب عسكري استراتيجي أو تكتيكي ، ولكنها شكلت مجزرة نموذجية تطرح على أصحاب البلاد خياراً من اثنين : الرحيل أو الموت .

ولقد تفاخر مناحيم بيغن – فيما بعد – بأنه لولا مذبحة دير ياسين لَمَا قامت دولة إسرائيل ، كما أن الرئيس الأول لدولة إسرائيل ؛ حاييم وايزمن – قال في نهاية هذه الحرب الأولى : « إن مغادرة أعداد كثيفة من الفلسطينيين قد سهل مهام الصهيونية بشكل

إعجـازي ، وأسهم في جعل الدولـــة بكاملها ومنذ ولادتها يهودية محض » .

ما وقع لقرية دير ياسين وأهلها وقع لغيرها ، وتوالت هجمات الصهاينة على القرى والمدن العربية ، وتكررت المذابح . وتكشف الوثائق الإسرائيلية الصهيونية الآن عن عمليات الاحتلال والطرد التي اتخذت كل منها اسماً خاصا ، والتي يتفاخر بها الآن مؤرخو إسرائيل . وقاومت المدن والقرى ، ونقل الرجالُ النساءَ والأطفالَ إلى الخلف ؛ لكي يتفرغوا للقتال ، وجاءت شاحنات بريطانية ثم عربية لنقل هؤلاء إلى المناطق العربية المجاورة .

(٨)

ما أن انتهت الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الأولى ودخلت الجيوش العربية إلى فلسطين في مايو ١٩٤٨ ؛ حتى بدأت مذبحة صهيونية كبرى أخرى للقرى الفلسطينية ، وبدأ الغزاة الصهاينة في إزالة عشرات القرى من علي وجه الأرض ؛ حتى تلك التي لم يكن لديهم مستوطنون جدد ليسكنوا فيها .

بعض القرى تم هدمها وبناء مستوطنات جديدة عليها ، وبعض القرى تم هدمها وشق طرق عريضة على أرضها ، والبعض تم هدمه وتُرك خراباً لتنمو فيه الأعشاب البرية ويتحول إلى أكوام من حجارة

تتخللها أشجار الصبير ؛ لتقف شاهداً على أن هذه البلاد كانت مسكونة من قبل .

كان الصهاينة قد اتخذوا من شجرة الصبير (التين الشوكي) اسماً للمولودين الجدد من أبناء اليهود المهاجرين إلى فلسطين ؛ تشبهاً بتلك الشجيرة الأصيلة التي تستطيع العيش في أشد الظروف قسوة ، والتي تملك من الأشواك الصغيرة أسلحةً حماية لمن يحاول لمسها .

العرب من قبل اليهود بمئات السنين كانوا قد اتخذوا من شجرة الصبير (التين الشوكي) حارساً لحواكيرهم (الحدائق الصغيرة حول البيوت) ؛ إذ هي تنمو وتتوالد وتحرس الباحات في وجه كل غريب ، ولا تحتاج إلى تدليل أو عناية لكي تعيش ، وإنْ هي قطعت تنمو من جديد وتتزايد .

حافظت شجرة الصبير على مواقع القرى الفلسطينية ، ولم تفلح جرافات المعتدين الصهيونيين في إزالتها أو القضاء عليها ، وعندما انهارت الأحجار ظلت الشجيرات المعطاء ثمراً حلواً ؛ تقاوم وتستعصى على رغبة المحتلين إخفاء كل أثر لقرى فلسطين ، وتعوّد الأطفال العرب والكبار - أيضا - الذين أمكنهم البقاء على الأرض أن يخرجوا إلى حيث توجد على سطح الأرض مجموعات من

شجيرات الصبير وأكوام من الحجارة ؛ ليحكي الكبار للصغار حكايات البيوت القديمة ، ويجمع الصغار الزهور البرية ويضعوها باقات من الورد تحيةً لذكرى الشهداء الذين استشهدوا دفاعاً عن هذه القرى قبل تدميرها .

من بين مقدمة القرى التي هُدمت – بالطبع – القسطل ، ودير ياسين ، والفالوجا ، وعراق المنشية ، وكل القرى التي شهدت معارك بطولية خاضها المجاهدون أو جنود الجيوش العربية ضد قوات الصهاينة .

بلغ عدد القرى التي هدمت في قضاء صَفَد في شمالي فلسطين سبعين قرية ، وفي قضاء طبرية شمال غربي فلسطين خمسا وعشرين قرية ، وفي قضاء عكا على ساحل فلسطين خمسا وعشرين قرية ، وفي قضاء الناصرة في جليل فلسطين خمس قرى ، وفي قضاء حيفا في الوسط الغربي تسعا وثلاثين قرية ، وفي منطقة جنين خمس قرى ، وفي منطقة بيسان تسعا وعشرين قرية ، وفي منطقة طولكرم إحدى عشرة قرية ، وفي منطقة يافا ثلاثا وعشرين قرية ؛ بالإضافة إلى أقسام كبيرة من الحي العربي في يافا نفسها ، وفي منطـقة الرمـلة ستين قرية ، وفي منطقة القدس هدموا ثلاثين قرية ، وفي المناطق التي أمكنهم السيطرة عليها عام ١٩٤٨ من

قضاء الخليل سبع عشرة قرية ، وكان نصيب قرى غزة - قبل أن يصبح اسمها قطاع غزة بعد النكبة - ستا وأربعين قرية ، ولحق بمنطقة بئر السبع تدمير ثلاث قرى . وبذلك بلغ مجموع القرى التي غيَّبها الصهاينة من على سطح الأرض ٣٨٨ قرية ؛ ظلت في قلوب أصحابها حيثما اضطرتهم الهجرة القسرية إلى اللجوء ؛ حتى إن بعضهم حافظ في مخيمات اللجوء على الاسم وعلى التشكيل الاجـتماعي نفسـه الذي كان قائما ؛ بما في ذلك المخاتير (أي العُمَد) .

التغييب الأكبرلم يتوقف عند هدم القرى وإنما تخطاه إلى نفي اسم فلسطين نفيا كاملاً ؛ بإعلان قيام دولة إسرائيل ، ثم بتغيير أسماء ما تبقى من مدن وقرى واستعمال الأسماء الأجنبية لها حَالَ عدم تمكنهم من تغيير الاسم ؛ حتى غاب عن أذهان العالم أسماء كاسم يافا وعكا ؛ حتى القدس التي نودي عليها باسمها التوراتي القديم أورشاليم . وغـابت عن القواميس وكتب الجغرافيا كلمة فلسطين ، وشبت أجيال في العالم الخارجي لا تعرف أن فلسطين كانت موجودة إلى سنوات قريبة ، وقد فاجأتها الثورة الفلسطينية عندما أحيت هذا الاسم من جديد في أسماع العالم كله .

إن الكثيرين في العالم لم يسمعوا قبل الثورة الفلسطينية

باسم فلسطين ؛ خاصة بعد أن توقفت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن مناقشة القضية منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٤ ؛ عندما عاد اسم فلسطين بفضل النضال البطولي الذي خاضه الشعب الفلسطيني تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ووقف الرئيس ياسر عرفات على مِنْبر الأمم المتحدة بزيِّه العسكري وغطاء الرأس الفلسطيني ؛ ليقدم إلى العالم من جديد فلسطين التي أفلحت الصهيونية في تغييبها طوال هذه السنين .

ثم جرت دماء كثيرة واستطال طابور الشهداء ، واشتعلت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة ؛ لتفاجىء قطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي بحقيقة وجود الشعب الفلسطيني ؛ حتى اعترفت مئة وسبع دول بفلسطين ؛ عندما أعلنَ المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة في نوفمبر ١٩٨٨ – استقلالها ، ولم يقف ضد هذا الإعلان إلا إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية .

(٩)

كأشجار الصبير التي بقيت على الأرض ونمت وأدمت بأشواكها الرقيقة أيدي المغتصبين الصهاينة – زاد وتكاثر العرب الفلسطينيون الذين بقوا على الأرض متحملين أقصى الظروف محرومين من أبسط الحقوق ؛ حتى من اسمهم ؛ بعد أن أطلقت عليهم

سلطات الاحتلال الإسرائيلي اسم عرب إسرائيل فاختاروا هم اسم عرب ١٩٤٨ ؛ تذكيراً بالنكبة التي حولتهم من أبناء وطن إلى لاجئين في هذا الوطن ؛ يعاملون معاملة من الدرجة الثانية .

كان الناس يعيشون وفي ذاكرتهم مذابح دير ياسين وقبية وغزة واللد والرملة ونحالين ، ثم جاء تهم مذبحة جديدة أصبحت يوما وطنيا في ذاكرتهم الجماعية ؛ هي مذبحة كفر قاسم .

ولقد كادت حكاية مذبحة كفر قاسم أن تمر بدون أن يلحظ أحد علاقتها بمسلسل المذابح الصهيونية وعمليات التهجير والإبعاد ؛ حتى كشف دفاع واحد من منفذيها عن سرّها .

فالمذبحة وقعت يوم ٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦ وهو اليوم الذي بدأ فيه العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر ؛ بحجة إعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس . وفي ذلك اليوم استدعى قائد الكتيبة الإسرائيلي الذي كلف بالعمل في منطقة تضم عدة قرى من منطقة المثلث في فلسطين ؛ واسمه يسفار شدمي – استدعى من يسمى بالرائد شيموئيل ملنكي ، وأبلغه بالمهمات الموكولة إلى وحدته ، والتعليمات المتعلقة بطريقة تنفيذها ، واتُّفِقَ على أن يكون حظر التجول على قرى المنطقة من الساعة الخامسة مساءً إلى الساعة السادسة صباحاً . وشدّد شدمي على

أن يكون منع التجول حازماً ، وألا يتم اعتقال المخالفين وإنما تطلق عليهم النار ؛ وذلك تجنباً لـ « تعقيدات الاعتقالات » ! وعندما سأل ملنكي عن مصير العائدين من قراهم بدون أن يعلموا بأمر منع التجول ؛ قال شدمي بالعبرية « لا أريد عواطف » ، وأضاف بالعربية « الله يرحمه » .

نقل ملنكي تعليمات قائده مضيفاً إليها قوله « من المرغوب فيه أن يسقط بضعة قتلى » . وبدأ التنفيذ ؛ على الرغم من أن مختار (عمدة) قرية كفر قاسم أبلغ القادة الإسرائيليين أن هناك ٤٠٠ من الأهالي هم في العمل خارج القرية ، وأنه لا يوجد وقت كافٍ لإبلاغهم ، ووعده محدثُه الإسرائيلي بأن يسمح لجميع العائدين من العمل بالمرور على مسئوليته ومسئولية الحكومة .

ولكن المذبحة بدأت في الخامسة وعلى موجات حتى بلغ عدد الشهداء ثمانية وأربعين ؛ من بينهم سبعة من الأولاد والبنات ، وتسع من النساء شابات ومسنات ؛ إحداهن عمرها ستة وستون عاما ، ومن بين الأولاد طفل عمره ثماني سنوات .

حاولت الحكومة الإسرائيلية التكتم على المجزرة وإخفاء وقائعها – وكان على رأسها بن جوريون الذي سيعرف القارىء من هذا الكتاب أنه من أنصار عمليات الترانسفير ؛ أي النقل والإبعاد

القسري ؛ على الرغم من دفاع بعض أنصاره عنه – ولكن أخبار المذبحة تسربت ، واضطرت الحكومة والجيش الإسرائيلي إلى تعيين لجنة تحقيق ، ثم إحالة عدد من الضباط والجنود إلى المحاكمة ، وإصدار أحكام بالسجن على بعضهم ؛ بعد محاكمة استمرت قرابة العامين ، وتم تخفيض الأحكام – عدة مرات – حتى أفرج عن سائر القتلة ، وأطلق سراح آخرهم في مطلع عام ١٩٦٠ ؛ أي بعد مرور ثلاثة أعوام ونصف العام على المذبحة .

العقيد يسفار شدمي صاحب الأمر الأول في هذه المذبحة قُدِّم إلى المحاكمة في مطلع عام ١٩٥٩ ، وكانت عقوبته التوبيخ ، ودفع غرامة مقدارها قرش إسرائيلي واحد ؛ أي ما يساوي مليما مصريا في ذلك الحين !!

المهم أن الضباط والجنود الإسرائيليين حاولوا الدفاع عن أنفسهم في أثناء المحاكمة بأنهم ظنوا أن الهدف هو دفع عرب المثلث إلى الرحيل ؛ مادامت هناك حرب ، وأنها ستكون فرصة للتخلص من عدد كبير من عرب إسرائيل . وكانت بعض أقلام المناصرين لإسرائيل تصور الأمر وكأن الجيش الإسرائيلي يمنع قيام العرب بعمليات خلف خطوطه .

(١٠)

تغلب العرب الفلسطينيون الذين أمكنهم البقاء على الأرض بعد نكبة عام ١٩٤٨ ؛ على صدمة النكبة ، ثم أخذوا ينظمون حياتهم وأنفسهم ، ويواجهون سياسات الاقتلاع الصهيوني مكتشفين أساليب جديدة في المواجهة ، ومستغلين كل ثغرة ممكنة للدفاع عن وجودهم متمسكين بعروبتهم وأرضهم .

كان عددهم وقت النكبة لا يزيد على ١٦٠ ألفا ، ولكنهم في سنوات قليلة نسبيًا تضاعفوا ؛ وبلغت نسبة تزايد السكان بينهم حسب تقدير السلطات الإسرائيلية نفسها ٥ر٩٪ سنويًا مقابل ٥ر١٪ للسكان اليهود ؛ بحيث قدَّر هؤلاء الأخيرون أن نسبة السكان العرب في منطقة الجليل شمالي فلسطين ستزيد على النصف من إجمالي السكان في عام ١٩٧٨ ، وأن ذلك « سيضع سيطرتنا على هذه المنطقة في خطر » .

هذه العبارة جاءت في تقرير سرّي قدمه المفوض إسرائيل كونيج ؛ حاكم المنطقة الشمالية (الجليل) في فلسطين المحتلة إلى رئيس الوزراء ؛ إسحق رابين في ١ / ٣ / ١٩٧٦ ؛ يحلل فيه أوضاع المواطنين الفلسطينيين داخل حدود عام ١٩٤٨ ، ويقترح تغييرات في السياسة الإسرائيلية لمواجهة زيادتهم .

ثم جاء يوم الأرض في ٣٠ / ٣ / ١٩٧٦ ؛ وهو يوم فاجأ الصهاينةَ الغاصبين بنهوض فلسطيني إجماعي شهد المظاهرات والاحتجاجات والتصدي لقوات الجيش الإسرائيلي ، وسقط فيه ستة من الشهداء دفاعاً عن حق التمسك بالأرض ، واحتجاجاً على مخططات المصادرة . وقد تحول هذا اليوم إلى يوم وطني فلسطيني منذ ذلك التاريخ ؛ يحتفل به الشعب الفلسطيني كله كلَّ عام .

وسارع الحاكم العنصري كونيج إلى تقديم اقتراحاته إلى الحكومة الإسرائيلية لمواجهة هذا النهوض العربي الفلسطيني ، وقد لاحظ أن حرب « الأيام الستة » ؛ أي حرب عام ١٩٦٧ – خلقت موجة من الوطنية ازدادت قوة بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ والأحداث التي تلتها ، وتمثلت في الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية حاملةً للواء النضال من أجل القضية الفلسطينية . وقال كونيج إن « العربي الإسرائيلي » لم يعد سلبيًّا وإنما انتقل إلى مرحلة جديدة من مراحل العمل الوطني .

كما لاحظ كونيج في تقريره أن الزيادة في عدد السكان العرب تعطي العناصر الوطنية شعوراً بالقوة والأمل في أن الزمن يعمل لصالحهم ، وأن هناك مؤشرات لنشاط منظم في مجال شراء الممتلكات في الشمال ؛ ممَّا يعطيهم (أي يعطي العرب) سيطرة

قوية على بعض مجالات الاقتصاد ، وذلك يؤدي إلى زيادة إمكانية الإضراب ورفض التعاون ، كما أن تحول عدد كبير من الفلاحين العرب إلى مجال العمل في المصانع يعجّل بالانقسام بين اليهود والعرب ، ويتطور إلى حوادث عنيفة لا يمكن السيطرة عليها .

في مواجهة ذلك كشف الإسرائيلي العنصري كونيج عن مكنون أفكاره ؛ إذ اقترح تطبيق قواعد تقلل كثيراً عدد الطلاب العرب في الجامعات الذين أوصى بتشجيعهم على الانتساب إلى الاختصاصات الفنية والعلوم الطبيعية ؛ حتى لا تتوافر لهم فرص عمل بعد تخرجهم ؛ فيضطرون إلى الهجرة . كما أنه أوصى صراحةً بتشجيع الطلاب العرب على السفر إلى الخارج للدراسة ، ثم تضييق الخناق على عودتهم وتشغيلهم في إسرائيل مصرحاً - بوقاحة - بأن هذه السياسة ستساعد على التخلص من أعداد منهم .

ولقد أثار نَشْرُ تقرير كونيج في صحيفة عل همشمار في ٧ / ٩ / ١٩٧٦ ضجةً هائلة ؛ لعنصريته الواضحة ، وحاولت الحكومة الإسرائيلية إنكار وجود هذا التقرير ، ولكنها أقرت به مدعيةً أنه مجرد توصيات ، وأن سياستها تختلف عمّا جاء فيه .

ولكن واقع الحال أثبت أن توصيات كونيج كانت أهون بكثير من الممارسة الفعلية للسلطات الإسرائيلية .

(١١)

في اليوم السادس من شهر حزيران (يونيو) ١٩٨٢ عبَرت قوات إسرائيلية ضخمة مزودة بأحدث الأسلحة والمعدات ؛ وتحت غطاء جوي ومدفعي وبحري كثيف – حدود فلسطين الشمالية متقدمة داخل الأراضي اللبنانية ؛ بهدف معلن – في البداية – هو إجلاء قوات منظمة التحرير الفلسطينية إلى مسافة ٤٥ كيلو مترا من شمالي فلسطين ؛ بدعوى تأمين المستوطنات الصهيونية في منطقة الجليل ، ثم أعلن شارون وزير الدفاع الإسرائيلي – وقتذاك – هدفه وكان القضاء على البِنْية التحتية لمنظمة التحرير الفلسـطينية في لبنان .

والذي يسمع عبارة البِنْيَة التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان وهو خارج لبنان وفلسطين ؛ قد يتصور أن هناك بالفعل تحصينات واستعدادات ومستودعات وورش صيانة ومؤسسات كتلك التي تتوافر لجيش في بلد من البلاد المستقرة بل الكبيرة . حقيقة الأمر أن منظمة التحرير الفلسطينية وقواتها كانتا متواجدتين في لبنان ولهما تأثير كبير ، ولكن هذا التأثير الكبير لم يكن بفضل مؤسسات كبيرة وإنما يرجع إلى عزم كبير وثقة أكيدة بانتصار القضية بل يرجع – في الأساس – إلى الالتفاف الشعبي الإجماعي الفلسطيني واللبناني حول منظمة التحرير الفلسطينية في مناطق

وجودها . لذا ؛ فإن حقيقة الهدف الإسرائيلي المعلن بالقضاء على البِنْية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية ؛ هي حرمان منظمة التحرير الفلسطينية من الجماهير المتمسكة بها والمؤيدة لها .

ذلك يفسر عمليات القصف البشعة التي تمت جواً وبراً وبحراً وشملت مناطق مأهولة بالسكان والمخيمات والقرى والجوامع والكنائس والمستشفيات والمدارس ؛ حتى السفارات . ولقد استعمل الجيش الإسرائيلي الجرافات كسلاح أساسي مركب على مقدمة الدبابات ؛ وهو يحاول التقدم نحو بيروت ، وتمت إزالة قرى ومخيمات عديدة بحُجج عسكرية ، وإدعاء أن مقاتلين فلسطينيين كانوا يتمترسون داخلها .

وتشهد معارك مخيمات الرشيدية والبرج الشمالي في منطقة صور على المقاومة العنيدة التي أبداها سكان المخيمات . وفي الرشيدية – على وجه التحديد – عَرَف الجيش الإسرائيلي مرارة الهزيمة على أيدي أطفال الشعب الفلسطيني الذين عُرِفوا بعد ذلك بأطفال الآر بي جيه (قاذف صاروخي ضد الدبابات) ، والذين رفضوا الاستسلام – حتى بعد أن نفدت ذخيرتهم – إلا أن يأتي إليهم قائد إسرائيلي كبير ، وأن يعاملوا معاملةً عسكرية تليق بهم .

أما في مخيم عين الحلوة بمنطقة صيدا فقد ظلّت المعارك

حوله وفي داخله أسبوعين كاملين ؛ هدّمت فيهما القوات الإسرائيلية كلّ بناء قائم بل كل جدار ظل قائماً بعد انهيار البناء ، وساهمت في هذه المذبحة الطائرات والمدفعية البرية ومدفعية الدبابات والصواريخ الثقيلة التي تطلقها الزوارق الحربية من البحر .

كل ذلك موثق ومعروف لِمَنْ عاصر تلك الحرب ، ولكن واقعة صغيرة تحرص أجهزة الإعلام الإسرائيلية دائماً على إخفائها ؛ وقعتْ في منطقة جنوبي لبنان ما بين صور وصيدا ؛ وذلك عندما وصل إلى منطقة القتال الصهيوني المتعصب ياكوف ميريدور ؛ أحد الزعماء البارزين لليكود الإسرائيلي ، وأعطى توجيها للضباط والجنود كشف به عن حقيقة الهدف من غزو لبنان ؛ فقد قال – وهو يتحدث عن الموقف من سكان المخيمات الفلسطينية في الجنوب (أي في صور وصيدا) : « ادفعوهم شرقاً نحو سورية ولا تدعوهم يعودون » ، وقد شهد على هذه الواقعة قادة إسرائيليون من بينهم العقيد دوف يرمياه المكلف بشؤون السكان المدنيين في أثناء الحرب .

ذلك هو الهدف الحقيقي ؛ فالقيادة الإسرائيلية تعرف أنه مادام البشر باقين سيتجدد القتال ، ولن يكون هناك أمن للمستوطنات الإسرائيلية في شمالي فلسطين المحتلة . وكان الهدف من هذه الحرب هو إجلاء الفلسطينيين عن مناطق جنوبي لبنان

والتخلص نهائيًا منهم ؛ ولكن ذلك لم يحدث ؛ حتى إن واحدا من المدافعين عن سياسة الترانسفير في هذا الكتاب يتحسر صراحةً على أنهم لم ينجحوا في هذه المهمة في ظل تلك الحرب .

(١٢)

في إطار عقيدة الترانسفير الصهيونية ؛ وقعت عدة مذابح في لبنان : بعضها قبل الغزو الإسرائيلي له ، وبعضها عندما دخل الجيش الإسرائيلي إلى بيروت ، وأهمها وأبرزها مذبحة صبرا وشاتيلا التي قامت فيها عصابات من الكتائبيين ، ومحترفو قتل إسرائيليون ؛ وتحت الغطاء المدفعي الإسرائيلي ، والحصار الذي فرض على الناس لمنعهم من الإفلات من المجزرة - بذبح ستة آلاف لبناني وفلسطيني ؛ أكثر من نصفهم من النساء والأطفال . وكان شارون بنفسه يشرف على المذبحة .

الهدف هو نفي الوجود الفلسطيني تماما ، والوسيلة هي القتل والإبادة .

(١٣)

فلمًا كان الترانسفير أو النقل والإبعاد القسريان هو من العقيدة الصهيونية ومسلكها ؛ فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو إلى أين ستسعى القوات الإسرائيلية إلى نقل الفلسطينيين عندما

تتاح لها الفرصة ؟

إنّ سفاحاً كرحبعام زئيفي الذي يتخذ له اسم غاندي لديه خبرة في عمليات الترانسفير ؛ حتى داخل مناطق فلسطين ، وهو لا يخفي دعوته إلى القيام بعملية ترانسفير واسعة بين الفلسطينيين في كل وقت ، والجهة التي يرشحها لاستقبالهم هي الضفة الشرقية لنهر الأردن ؛ أي المملكة الأردنية الهاشمية .

ولقد حاولت السلطات الإسرائيلية ذلك - بالفعل - من قبل ؛ خلال حرب عام ١٩٦٧ ، وأفلحت في ظل جو الإرهاب الذي أشاعته الحرب ، والانهيار السريع للجيوش العربية - في إجلاء أكثر من ربع المليون فلسطيني إلى الضفة الشرقية للأردن ؛ حيث أقيمت لهم في عجلة مخيمات جديدة .

ومع ذلك ؛ فإن ما حدث لا يرضي صهيونية مهووسة هي جيئولا كوهين التي صرحت ؛ وهي تتحدث عن الترانسفير باعتباره حلا لمواجهة الانتفاضة الفلسطينية - بقولها إن ثَمَّةَ خطأ قد وقع في أثناء حرب الأيام الستة « عندما لم تستغل حكومة إسرائيل حرب الإبادة التي شنتها علينا الدول العربية في سنة ١٩٦٧ ، بما في ذلك دولة الأردن ؛ لكي تنقل إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن عشرات ومئات الآلاف من سكان الضفة الغربية ؛ الأمر الذي عرفنا كيف نقوم

به – ولكن بالقدر الضئيل جداً ، وبتردد أكثر من اللازم – خلال حرب الاستقلال في سنة ١٩٤٧ » (يديعوت احرونوت ١٩٨٩/٤/٢٨) .

ولكن نقل الفلسطينيين إلى الأردن ؛ وإنْ وافق رغبة بعض الصهاينة – لا يتفق مع المصالح الدولية التي تقضي ببقاء التقسيم السياسي لمنطقة شرقي البحر المتوسط كلها قائماً . صحيح أن هناك تياراً قوميا ومتزايداً بين القيادات الإسرائيلية يسعى إلى الهروب من مشكلة وجود فلسطين أو عدم وجودها ؛ بالإقرار بأنها موجودة ؛ ولكنْ شرقي النهر ، وفوق ذلك فإن سفاحاً مثل آرييل شارون يكرر – دائماً – دعوته إلى نقل الفلسطينيين إلى الجانب الآخر من النهر بل مساعدتهم على تغيير النظام الملكي هناك ، وإقامة دولتهم الخاصة ، وهو ما تطلق عليه الأدبيات الفلسطينية فكرة الوطن البديل المرفوضة رفضاً قاطعاً من الشعب الفلسطيني – قيادة وقاعدة – الذي يصر على تحرير أرضه وإقامة دولته المستقلة عليها .

إن إجبار الشعب الفلسطيني على الهجرة إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن لا يتعارض فحسب مع رغبة الشعب الفلسطيني في البقاء على أرضه ؛ ولكنه يتعارض – أيضاً – مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية نفسها التي يدرك قادتها أن مثل هذه الخطوة ستدخِلُ المنطقة كلها إلى دوامة تهون بجوارها الدوامة التي دخلتها

بعد حرب عام ١٩٤٨ وحرب عام ١٩٦٧ .

إن نقل أعداد كبيرة من الفلسطينيين إلى الضفة الشرقية معناه تلقائيا تغيير نظام الحكم في شرقي الأردن المستمر حتى الآن بتوافق إجماعي أردني فلسطيني على ضرورة رفض فكرة الوطن البديل للفلسطينيين ، واستمرار الفلسطينيين في الأردن بوضع مؤقت إلى حين عودتهم إلى فلسطين . هذا التغيير من شأنه تغيير كل الوضع القائم الذي يشكل جزءاً من تكوين سياسي أوسع له مصالح راهنة ، ويرتبط بمصالح دولية تتعارض تماماً مع قيام كيان جديد ؛ بكل ما يحتمل هذا الكيان الجديد من احتمالات سياسية واقتصادية ؛ سواء في اتجاه توحيد المنطقة أو تحويل الضفة الشرقية للأردن إلى قاعدة انطلاق لحرب شعبية طويلة الأمد ؛ يمتد عمقها إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية ، والحدود الشرقية للعراق ، والحدود الجنوبية لسورية .

وبالإضافة إلى تعارض خطة الترانسفير مع هذه المصالح الدولية والإقليمية ؛ فإن مجرد القيام بها ولو في ظل حرب مع وجود شبكات إعلامية نشطة كالموجودة اليوم – من شأنه استفزاز جماهير الأمة العربية وانتفاضتها ؛ بحيث يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقويض ما تحقق من تسويات ؛ خاصة معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية ؛

فضلاً عن احتمال أن ينال الغضب العربي من المصالح الأمريكية بالمنطقة .

ومع ذلك ؛ فلا يجب الاطمئنان إلى الضمانات المحتملة الإقليمية والدولية عند التعامل مع قيادة صهيونية محاصرة ومهزومة أمام تصاعد النضال الفلسطيني داخل وخارج فلسطين ، خاصة أن ٥٢٪ من الإسرائيليين أجابوا بالتأييد عن سؤال يتعلق بفكرة طرد الفلسطينيين في شهر تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٩ ، كما أن السفاح رحبعام زئيفي قد شكل منذ عامين حركة جديدة في التجمع الإسرائيلي تدعى حركة « مولِدت » ، واستطاع أن يحصل على أصوات في انتخابات عام ١٩٨٨ جعلته عضواً في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) .

ثم إن فكرة الترانسفير - على غرابتها في العصر الحالي - مترسخة في الوجدان اليهودي ؛ سواء عند المتدينين منهم الذين يرجعون إليها اعتماداً على ما ورد في التوراة من ضرورة ضرب سكان فلسطين بعد أن يدخلها اليهود من دون شفقة أو رحمة بل إن التوراة تدعو صراحة إلى طرد هؤلاء السكان على دفعات ؛ كما ذكر إسرائيل شاحاك في المقال الأخير في هذا الكتاب - أو العلمانيين من سكان إسرائيل الذين عندما يتبنون فكرة الطرد والترانسفير

فإنهم بذلك يتوحدون مع جلاديهم من النازيين الذين عاملوا اليهود في أوربا بالطريقة نفسـها ؛ كجزء من الحل النهائي للمشكلة اليهودية ، ولعلهم يَرون في الترانسفير أو الطرد حلا نهائيًّا للمشكلة الفلسطينية ماداموا لا يستطيعون إنكارها .

(١٤)

بلغ عدد المبعدين من ديسمبر ١٩٨٧ ؛ أي منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الباسلة حتى سبتمبر ١٩٨٩ - اثنين وستين مبعدا ، وذلك على الرغم من إدانة مجلس الأمن لكل عملية إبعاد تتم لعدد من الشباب الذين تدعي السلطات الإسرائيلية أنهم من قادة الانتفاضة ، وعلى الرغم ممّا تعلنه الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها عن « قلقها » لعمليات الإبعاد تلك .

ولقد بلغ عدد المبعدين منذ عام ١٩٦٧ حتى عام الانتفاضة بضعة آلاف ؛ قسم كبير منهم بدعوى عدم وجودهم في بيوتهم وقت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، وليس لديهم بطاقات فلسطينية ؛ وذلك على الرغم من وجود أهلهم وأولادهم هناك . وقد ذكر داني روبنشتاين في حديثه عن المطرودين في جريدة دافار ١٩٨٩/٩/٢٢: « أن المطرودين بمختلف أنواع الطرد وتقلباته مثل الفلسطينيين في الخارج الذين ديارهم هنا وليس لديهم بطاقات إسرائيلية ؛ هم

جميعاً جزء لا ينفصل من شعب واحد ... الشعب الفلسطيني الذي تريد حكومة إسرائيل أن تتفاوض معه للتوصل إلى تسوية . أما مقدار الولاء أو الانتماء من جانب هؤلاء أو غيرهم في الخارج لمنظمة التحرير ؛ فهذه مسألة أخرى ... المشكلة بالنسبة إلى حكومة إسرائيل هي أنهم جميعا « ينتمون إليها » ... » .

من بين هذه الآلاف التي أبعدت أو حُرمت من العودة إلى ديارها بعد عام ١٩٦٧ ؛ يحصي موسى ملمان عدد المبعدين لأسباب أمنية (أي لعلاقتهم المباشرة بالنضال الفلسطيني منذ عام ١٩٦٧) – بنحو ألف فلسطيني (هآرتس ١٩٨١/٩/٢) . وقد تمت كل عمليات الإبعاد هذه بهدف حرمان الشعب الفلسطيني من قياداته ؛ حتى أولئك الذين انتخبوا في عمليات انتخاب تمت في ظل الاحتلال – لم ينجُ بعضهم من الإبعاد ، ولم ينجُ آخرون من محاولات الاغتيال على أيدي عصابات صهيونية تعمل بحماية سلطات الاحتلال .

آخر من أبعدوا حتى الآن كانوا خمسة من قادة الانتفاضة ؛ بينهم أستاذ جامعي هو تيسير عاروري . يقول عاروري عن عملية الإبعاد في حديث له مع مجلة الدراسات الفلسطينية (العدد ٣٣ ، خريف ١٩٨٩) التي تصدر بالفرنسية : « كل شكل من أشكال القمع له مذاق خاص ؛ ولكن أكثرهم مرارة هو الإبعاد ؛ ذلك أن جميع

أشكال القمع الأخرى تجد منها دائماً مخرجاً ما . فعلى سبيل المثال ؛ فإن إغلاق المدارس يشكل بالفعل كارثة بالنسبة إلى التلاميذ ؛ إلا أننا تمكنّا ببديل هو التعليم الشعبي بل إننا استطعنا بعد فترة من المقاومة التوصل إلى إعادة فتح المدارس . كذلك فإن نسف البيوت مأساة ؛ فكل إنسان يضع روحه في بيته لكن في الإمكان دائماً إعادة بناء البيت ، وهكذا ؛ لا تعيش الأسر التي فقدت منزلها الحال بهذا القدر من المأساوية ؛ لأن أهل مدينتهم أو قريتهم يتزاحمون من أجل الحصول على شرف إيوائهم بانتظار الانتهاء من بناء بيت من جديد .

لكن مذاق الإبعاد مختلف ... وفي تقديري أن السلطات الإسرائيلية تعي تماما قسوة ذلك الإجراء ... وقد قال القاضي رئيس المحكمة العليا : إن العمل على الإبعاد ضروري لأن عقوبة الإعدام غير موجودة في إسرائيل .

إن ممارسة الإبعاد هي تحضير لسياسة الطرد (الترانسفير) ، وإن تكثيف عملية الإبعاد وزيادة أعداد المبعدين من شأنهما – في نظر السلطات الإسرائيلية – تهيئة الرأي العام لفكرة الترانسفير على المستوى القومي ؛ فمن الممكن أن تستهدف عملية الطرد الجماعي هذه الآلاف أو عشرات الآلاف بل ربما مئات الآلاف

من المواطنين الفلسطينيين .

إن هذه السياسة في الواقع خارجة على التاريخ وهي رجعية ولا تأخذ بالاعتبار تطور الظواهر » .

والمتابع لجميع إجراءات سلطات الاحتلال ؛ سواء بفرض حظر التجول ، أو بهدم البيوت ، أو بمنع بناء البيوت ، أو بفرض الحصار الاقتصادي ، أو بإطلاق الرصاص على السكان العزل ، أو بتعطيل المدارس ، أو بالاعتقالات العشوائية ، أو بتطبيق إجراءات العقاب الجماعي ، أو بغيرها من إجراءات تجعل العيش صعباً بل مستحيلا - يدرك أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تمارس بالفعل سياسة الطرد والإبعاد (الترانسفير) على نحو تدريجي بطيء ؛ لضمان تحاشي استفزاز الرأي العام العالمي والعربي والمعارضة الداخلية في إسرائيل .

(١٥)

منذ اشتعال الانتفاضة الفلسطينية الباسلة كثر الحديث عن الترانسفير كإحدى الوسائل التي يمكن أن تلجأ إليها سلطات الاحتلال الإسرائيلية للقضاء على الانتفاضة . وعلى الرغم من أن الجنرال دان شمرون ؛ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي - اعتبر أن تنفيذ عملية طرد جماعية هي أمر يكاد يكون مستحيلاً ؛ لأسباب يكاد

يكون من بينها عدم رغبته في ارتباط اسمه بمثل هذه الجريمة - فإن تصريحات المؤيدين لسياسة الترانسفير لم تتوقف بل هم يزدادون جرأة ؛ خاصة مع استمرار الانتفاضة وتصاعدها .

ولقد صرح روفائيل إيتان - رئيس أركان سابق للجيش الإسرائيلي - إبان غزو لبنان الذي أدانته لجنة تحقيق إسرائيلية رسمية حققت في مسئولية قيادة الجيش الإسرائيلي عن مذبحة صبرا وشاتيلا ؛ صرح في حديث له مع الصحافي جدعون رايخر في جريدة يديعوت احرونوت يوم ١٩٨٩/١١/١٦ بقوله : « إن وزير الدفاع غير قادر أو غير راغب في تمرير قرار في الحكومة ؛ ليمكّن الجهاز الأمني من العمل دون القيود القانونية التي لا تتلاءم وحالة الحرب التي نعيشها ؛ فهذه حرب ، وعلينا الإعلان عن وضع عسكري في المناطق ... ويجب إخلاء كل معسكرات الاعتقال من المعتقلين ونقلهم بباصات مكيفة (!!) مباشرة إلى ما وراء الحدود ... ولا حاجة إلا إلى قوة عسكرية محدودة . المهم هو إلغاء القيود القانونية » .

هي إذن دعوة مستمرة لا يجب التقليل من خطورتها ، وفي الوقت نفسه لا يجب أن يؤدي ترديدها إلى الخوف ؛ فيتحقق بذلك هدف الردع الإسرائيلي دون أن تنفذ .

من المهم أن يتذكر الجميع ما يلي :

١ - أن المشروع الصهيوني كله هو مشروع قائم على فكرة

الطرد الجماعي أي الترانسفير ، وأن الظروف الدولية والصمود الفلسطيني قد أفشلا تحقيق هذه الفكرة بشكل كامل حتى الآن .

٢ – أن الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وباعتراف الجميع – بما فيهم الصهاينة – قد أسقطت الخوف وأحلت محله التشبث بالأرض والكراهية للعدو ، وأن فلسطينياً لن يرحل بعد ذلك ؛ خاصة أن تجربة اللجوء في البلاد العربية لم تكن طيبة بأية حال .

٣ – أنه لا مجال أمام السلطات الإسرائيلية لتنفيذ عملية ترانسفير واسعة إلا في ظل حرب شاملة على جميع جبهات فلسطين ، وحتى في ظل مثل تلك الحرب التي تقع مسئولية مواجهة إسرائيل فيها على الجيوش العربية ؛ فإن الشعب الفلسطيني سيقوم بدوره في القتال خلف خطوط العدو ؛ تماماً كما حدث أيام الغزو الإسرائيلي للبنان . وهذا الشعب مسلح الآن بوعي عالٍ بهويته الوطنية المستقلة ؛ ملتحم بأرضه ؛ منتظم « في إطار منظمة التحرير الفلسطينية » ؛ يعيش وهو في ظل الاحتلال استقلاليةً مسئولة على غير ما كانت عليه الحال في الحروب السابقة على انطلاق الثورة الفلسطينية .

٤ – أن شعار العودة لم يعد يشكل مجرد شعار لاستعادة حق من حقوق المطرودين والمبعدين ؛ وإنما هو – أيضا – شعار هجومي ضد سياسة الترانسفير وكل ترويج لها على النطاق العالمي .

٥ - أن دعم الانتفاضة وشعبها لايقتصر فحسب على دعم جهود استمرار الانتفاضة وإنما هو واجب قومي مطلوب ؛ لكي يمكن أن يعيش الناس على أرضهم دون الموت جوعاً ، أو الهجرة بحثاً عن رزق .

٦ - أن تأكيد وجود دولة فلسطين المستقلة في الوعي العام للعرب وللعالم هو عمل ضروري لإفشال مخططات خلق وطن بديل في الأردن ، ولتذكير الرأي العام العالمي بالحقوق الوطنية الفلسطينية الثابتة ، وبحقيقة وجوهر الصهيونية كحركة عنصرية اغتصبت الأرض وتصر على تغييب هويتها .



وفي كل حال من الأحوال ، وأيًّا كانت إجراءات العدو الصهيوني ، فإنه لن يفلت أبداً من حقيقة أن فلسطين هي أرض عربية ، وأن شعبها هو صاحبها وهو جزء من الأمة العربية ، وأن إغراءات الدنيا كلها أو قسوتها لن تحرف أنظار الشعب الفلسطيني عن القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين وعاصمة دولة فلسطين .

وإنها لثورة حتى النصر ...

القاهرة ديسمبر ١٩٨٩ — محجوب عمر

١ - ملحق عل همشار ٢٥ / ١١ / ١٩٨٨

رحبعام زئيفى

بقلم : عميرام كاهان

ملحق عل همشمار ٢٥ / ١١ / ١٩٨٨

بقلم : عميرام كاهان

رحبعام زئيفي

نشرت مجلة « كوتريت راشيت » عدة مرات قصةً لم يكذبها أحد . وتقول هذه القصة إنه في ذروة حرب يوم الغفران ؛ اقترح رحبعام زئيفي الذي كان يشغل وقتها منصب مساعد رئيس هيئة الأركان – استخدام سلاح غير تقليدي . ولو أُخذ اقتراحه على محمل الجد – آنذاك – لوجدت إسرائيل نفسها في قائمة الدول التي تقوم بعمليات تهجير واسعة .

يقول كل من يعرف ذلك الرجل إنه عندما يتم تنفيذ الترانسفير ؛ فإن كل سائق من سائقي اللوريات سيكون على علم في أية لحظة وفي أي مكان ؛ بأدق التفاصيل المتعلقة بالمهمة التي يقوم بها . إن زئيفي يعتبر من أكفأ الرجال الذين أفرزهم الجيش الإسرائيلي في مجال التنظيم ؛ فهو لا يعرف اختناقات مرور على الكباري والجسور ؛ حتى لو أرسل ألف لوري في اليوم .

لم تكن كل مقترحاته مرفوضة ؛ ففي عام ١٩٧١ ؛ كان زئيفي قائداً للجبهة الوسطى ؛ حيث اقترح ونفذ بالفعل رشّ المزروعات في

حقول قرية عقربة بالمبيدات السامة القاتلة ؛ لأن أهل القرية قاموا بالزراعة في أراض مملوكة للدولة . وأسلوب زئيفي يمثل ظاهرة كانت سائدة - دائماً - داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، ولدى بعض القادة الذين كانوا جزءاً من جسد حزب العمل ، أصحاب فكرة أن حل المشكلة العربية يمر عبر فُوَّهَة البندقـية وصناديق سيارات اللوريّ ، تلك الأفكار التي نجدها لدى إبراهام يافيه وروفائيل إيتان ودان لنر وآرييل شارون ، وبقدر معين ، لدى موشيه دايان .

إن زئيفي ينظر إلى نفسه - بجديّة - باعتباره ابناً شرعياً لحركة العمل ، لكنه - حقًّا - وريثُ حركة العمل ؛ شعوراً وشعاراً ! وعلى النقيض من شارون ودايان ويافيه وغيرهم ؛ نجد أن الملف العسكري لزئيفي غير مثير للإعجاب ؛ على الأقل مذ كان قائد جماعة فـي البَلْمَاخ *. وأكبر وحدة عسـكرية قادهـا كانت كتيـبة ، والمهمة العسكرية الوحيدة التي نفذها كقائد كتيبة - إلى جانب أعمال

---

* البلماخ ؛ الجماعات الضاربة Palmach : قوة عسكرية صهيونية ، أنشئت عام ١٩٤١ ؛ بإيعاز من القيادة البريطانية ، وبعد موافقة المجلس التنفيذي العالمي للحركة الصهيونية ؛ تحت دعوى تحسب قيام القوات الألمانية بغزو سورية ولبنان . من أشهر الإرهابيين الذين تخرجوا فيها : إسحق رابين ، موشيه دايان ، حاييم بارليف ، يغآل آلون .

مطاردة المخربين * التي قام بها كقائد للمنطقة الوسطى ؛ وكان يسميها « أعمال الصيد » – كانت معركة تل موتيلا ، وهي المعركة التي يفضل جيش الدفاع دائماً نسيانها .

والكتابة عن زئيفي ؛ مدير متحف إسرائيل حالياً ؛ ذلك الرجل الذي قد يصبح نائباً لوزير الدفاع ، أو وزيراً للشرطة ؛ وهو الأمر الأدهى – ربما تكون مهمة خطيرة ؛ تهدد الصحافي وأسرته : فالصحافي ناحوم برنيع كتب مرة في دافار عن القصة المعروفة للّبؤة « روتي» التي كان زئيفي يقوم بتربيتها ؛ في أثناء عمله كقائد للمنطقة الوسطى ؛ من باب التسلية (!!) ؛ وكان زئيفي يسمي مقر قيادته آنذاك « قلعة الشبل » . وكتب برنيع – من بين ما كتبه – عن الجنود الذين كانوا يقومون بخدمة اللبؤة وزوجها ، وعن وجبات اللحوم التي كانت تقدم إليهما ، وكانت تكفي أفراد جماعة عسكرية تعيش في ظل اقتصاد منتعش. وروى برنيع فيما كتبه قصصاً مثيرة عن قائد المنطقة الذي كان يقفز من مطاردة إلى احتفال، و الجنود الذين يخدمون في منزله، واللقاءات التي كانت تتم كل أسبوعين في النوادي الليلية ؛ حيث تضم « مجموعة الرجال » المكونة من عدد من

---

* التسمية الدعائية التي يطلقها العدو الصهيوني على أبطال المقاومة الفلسطينية .

ضباط الأركان الذين يرأسهم ؛ ومن بينهم مساعده ؛ باروخ اربل الذي أصبح – فيما بعد – كبير ضباط فرع العمليات ، ثم استغنى عنه الجيش ؛ بسبب الفساد . وبعد نشر هذا التحقيق في الصحيفة ، وفي اليوم نفسه ؛ بدأت المكالمات الهاتفية تنهال على منزل السيدة برنيع والدة الصحافي ، وتكرر على مسامعها عبارة واحدة : « إن لكِ فأراً في صحيفة دافار» ، ثم تطور الأمر ؛ فأبلغوا الأم بأن ابنها الصحافي قد أصيب في حادث ومات بعد إجراء جراحة عاجلة له – كل هذا جرى خلال الليل . وإذْ لم يتدخل نائب رئيس الأركان وقتها ؛ يسرائيل طال – فإنّ عمليات تعذيب الأم لم تتوقف .

وذات مرة لم تعطِ الصحافية سيلڤي كيشت وصفاً جليلاً للچنرال الإسرائيلي الجديد الذي أفرزه انتصار حرب الأيام الستة ، ولسبب أو لآخر ، رأى البعض أن هذا الوصف ينطبق على شخص رحبعام زئيفي ، ولم تمضِ فترة طويلة حتى تلقت الصحافية في منزلها طرداً به براز (!!) .

إن أعمال التنكيل والتخويف التي كانت من سمات عهد البَلْمَاخ ، وعانى منها الكثيرون ، كان يقف خلفها زئيفي ، وقد طردوه من دورة قادة الفصائل، بسبب بعض هذه الأعمال. يقول مئير باعيل : « ذات يوم استدعوني في عجلة ؛ كي ألتقي نائبَ البلماخ ؛ أوري

برنير الذي طلب إليَّ التوجه من الفور إلى منطقة غابة جانيجار ؛ لأرى ماذا يحدث في دورة قادة الفصائل ؛ كان هناك نوع من التمرد بين أفراد البلماخ ضد قائد الدورة ؛ موشيه جورين ؛ وهو واحد من رجال الهاجاناه . لقد كان نصف أفراد الدورة من البلماخ والنصف الآخر من الهاجاناه ، في حين قام قائد الفرقة بتعيين قائدين من الهاجاناه على المجموعتين ، ولم يجد هذا التصرف قبولاً لدى مجموعة البلماخ ، وذات ليلة ذهب زئيفي الذي كان أحد رجال الاستطلاع المشهورين في البلماخ ، وواحداً من منظمي هذا التمرد - إلى خيمة القائد ، وتبوَّل داخلها (!!) ؛ فطلبتُ إليه أن يجمع متعلقاته ، ويعود إلى منزله » . ويقول عنه رفاقه في البلماخ : إنه شاب عظيم ... كان يطلق النار على صفوف الطيور الواقفة على أسلاك الكهرباء؛ في أثناء خدمته في معسكر الأركان في رمات جان ؛ متحدياً بذلك موشيه دايان ... كان يميل إلى الشر ... لا كابح له ... يناسبه ذلك التخويف الذي يقوم به ضد الصغار الذين يسلكون طريق المتحف ؛ اختصاراً للطريق ؛ حيث يصادر ما معهم من الساعات ومضارب التنس وغيرها ... يحب المركزية ؛ إلى درجة أنه يقوم بنفسه بتحديد مكان كل سلة مهملات في فناء المتحف .

وهناك من يثرثرون اليوم حول شخصية رحبعام زئيفي التي

بنيت بجهد كبير في عهد عبادة الجنرالات - بعد حرب الأيام الستة - باعتبارها شخصية مقاتل شجاع وجريء . والاطلاع على بعض المعارك التي خاضها يترك ظلالاً - على الأقل - على حسن تصرفه كقائد : يقول سڤيكا كاسا ؛ وهو واحد من مقاتلي الفصيلة التي كان زئيفي يقودها في البلماخ : « في أشد اللحظات الحرجة ، خلال معركة زِرعِين - اختفى القائد ؛ لقد قام العرب بمهاجمتنا ، وكان القـتال وجهاً لوجـــه ، كانت خسائرنا ضخمة ، ولم يكن القائد موجوداً ؛ فقد تركنا وسط النار واختفى » ، ويقول إيلي شمعوني الذي يعد واحداً من الشخصيات الأسطورية في البلماخ ، وكان من بين المشاركين في هذه المعركة ؛ ضمن فصيلة أخرى برياسة رافي إيتان (القذر) : « كانت في مواجهتنا قوة تابعة لجيش الإنقاذ ، وقد انضم بعض شراذم النازية الهاربة من أوربا إلى العرب في الطريق إلى القرية ، وعند منطقة حقول القمح وقعنا في كمين ؛ كانوا يقذفوننا بالقنابل من مسافة قدرها عشرة أمتار ؛ مما أدى إلى سقوط عدد من الجرحي في صفوفنا ، لكننا انقضضنا عليهم وقمنا بإبادتهم . فجأة ؛ سمعنا صرخات : إنهم يقتلون ماعوز (اسم الفصيلة التي كانت تحت قيادة زئيفي) ؛ هيا انقذوها . لقد انقض العرب عليهم وكان القتال وجهاً لوجه ، لكنني لم أرَ زئيفي ، ولم أسمع

عنه ؛ لقد كانت الفوضى تسود الفصيلة ، وقمتُ أنا بحمل الجريح الذي تركه زئيفي خلفه . وقال الرجال فيما بعد إنهم حذروا زئيفي من أن العرب يعدون لهم كميناً ؛ بعد أن سمعوا أصوات العرب في الحقول ، وإنه أجاب قائلاً : إن العرب لا يخرجون من الثقوب ليلاً » .

أما الصحافي إسحق تيشلر الذي كان ضمن أفراد فصيلة زئيفي ؛ فقد ألف كتابا عن تلك الفترة بعنوان : « آخر من على الصخرة » ، وكتب فيه عن هـذه المعركة ما يلي : « قال يوحاي ... اسمع ياعبدول (الاسم الذي يرمز به إلى زئيفي في الكتاب) ؛ إنهم يزحفون في الحقل جهة اليمين ؛ فرد زئيفي قائلاً : كُفَّ عن هذه الأحلام أيها الأصلع ، إن العرب لا يخرجون من الثقوب ليلاً ، هيا عدْ إلى مكانك . وحاول يوحاي مرة أخرى ... أقول لك إنهم يزحفون ؛ لقد سمعتهم بوضوح (كان صوته منخفضاً هذه المرة) ... وقال زئيفي : ألم أقل لك يا أصلع ... وقال يوحاي متوسلاً: أقول لك ياعبدول إنهم يزحفون هناك ؛ فرد زئيفي : لايمكن أن يحدث هذا ؛ اذهب من هنا. وفجأة صدر صراخ من الجهة اليمنى : ياعبدول؛ إنهم ينقضون علينا» .

ويقول الصحافي تيشلر إن كل ماجاء في كتابه حقيقي ، وإن لزئيفي أخطاء مثل أي قائد ، وإن ذلك لايعني أن ننعته بالجبن ؛ فقد كان من المحاربين الشجعان في البلماخ ، وأتذكر أن عميقام جوڤيتس كان

معنا في هذه المعركة ؛ ضمن محاربي الكتيبة الأولى ، وأنه أكد قصة اختفاء زئيفي ، وعقّب بقوله إن هذا ليس بجديد. أما شايكا جافيتش الذي كان قائد ســرية في تلك المعركة البائسة ؛ فإنه يرفض حل اللغز ؛ بقوله : « إنني أعرف هذه القصة ؛ لكنني لاأستطيع التأكيد أو النفي » . إنه أمر غريب ! لقد طلبنا إلى زئيفي عدة مرات أن يدلي برأيه حول هذا الموضوع ؛ لكنه لم يفعل ، وكان قد نفى القصة تماماً في رسالة إلى جريدة دافار كتب فيها: إن ما يقال هو كذب حقير ... إن دوري في معركة زِرعين جعل قائد السرية شايكا جافيتش يوصي بمنحي وسام البطولة .

وبعد معركة ملاخيا (ملاحة) التي أبلى فيها زئيفي بلاءً حســناً - حَسَبَ مايقــول تيشلر - تم تعيينه ضابــطَ معلومات لواء « يفتح » ، ثم ضابط عمليات القيادة الشمالية . وقد حصل زئيفي على دورة قادة كتائب برياسة إسحق رابين الذي كتب في ملفه أنه يميل إلى العزلة ؛ متعمق ؛ صاحب تفكير جاد سريع ؛ مناسب لجميع المناصب . وبالرغم من هذه التوصية الحميمة ؛ فإن زئيفي لم يخدم في أي منصب ميداني سوى منصب قائد كتيبة .

ومن المحتمل أن يكون ذلك مرتبطاً بمعركة تل موتيلا التي لايكثر الجيش ذكرها في تراثه العسكري : فعندما كان زئيفي قائد

الكتيبة (١٣) بلواء جَوْلاني ؛ طلب إليه قائد اللواء ؛ مئير عاميت – أن يقود هذه المعركة ، لكن لواء كاملاً فَشِلَ في زحزحة ستين سوريًا ؛ قاموا بالاستيلاء على ثلاث هضاب في منطقة كورزيم (كُور) شمالي بحيرة طبرية ؛ يوم ١٥ مايو ١٩٥١ . في هذه المعركة فَقَدَ جيش الدفاع أربعين مقاتلاً . ويرى آرييه تيفر الذي كان – آنذاك – قائد سرية في كتيبة زئيفي ؛ أن رحبعام أحد المتهمين بهذا الفشل ؛ حيث كان يقود المعركة من غرفة عمليات بعيدة عن ساحة القتال : « إنهم لم يديروا المعركة كما يجب على رجال الجيش ؛ لم يكن أحد يدري بما يحدث ، أو يعلم أين نحن ! لقد أداروا المعركة من مسافة بعيدة ... ما الذي يستطيع أن يعرفه هذا الرجل وهو قابع في غرفة عمليات بعيدة عنا ؟ إنهم لم يعرفوا كيف يقدمون إلينا العون ؛ فلم تكن هناك قيادة على مستوى اللواء أو الكتيبة في تل موتيلا » . ويؤكد المؤرخ أوري ميلشتاين الذي حقق في معركة تل موتيلا ما قاله تيفر : « كان لواء جولاني كامل تحت يد زئيفي في هـذه المعركة ، وكان يقود القوات من مسافة بعيدة ؛ مستخدماً جهازَ اتصال ؛ من قرية مهجورة اسمها زنغرية » . وبعد المعركة ؛ قام رئيس هيئة الأركان ؛ يغْآل يَدين بعقد اجتماع للقيادة العليا ؛ انتقد فيه زئيفي بعنف ،

وأوقف ترقياته في الجيش – وهذا ما صرح به يوسف افيدار الذي كان رئيساً للجبهة الشمالية ؛ حينئذ .

ويحكي تيفر عن دور زئيفي في حادثة أخرى وقعت في أثناء مناورة إيلان ؛ وهي واحدة من كبرى المناورات التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي ، وخلالها وقعت خسائرُ كبيرة في كتيبة زئيفي .

ومرة أخرى نجح زئيفي في توريط الجيش بل الدولة كلها في مشكلة كبيرة : ففي الغارة التي قام بها رجال المظلات في أثناء العمليات الانتقامية في قرية عزون ؛ جرح واحد من المقاتلين وسقط في أيدي الأردنيين ؛ فقام زئيفي الذي كان وقتها ضابط عمليات في هيئة الأركان – بالتخطيط لخطف ضابطين أردنيين ؛ من دون الحصول على موافقة رؤسائه ؛ كي يبادلهما بالأسير ؛ قام بطلاء سيارة جيب إسرائيلية بطلاء أبيض ؛ لتبدو كسيارات قوات الأمم المتحدة ، لكن السيارة استُوقفت عند نقطة تفتيش غير بعيدة عن جنين ، وانكشفت خطة زئيفي أمام دايان الذي كان يشغل في هذا الوقت منصب رئيس هيئة الأركان . وقد وبّخ دايان زئيفي بشدة ، في حين طالب إسحق نافون وزير الدفاع بإبعاد زئيفي عن الجيش

تماما ؛ إلا أن دايان الذي رأى أنه ضابط أركان ممتاز اكتفى بإيقاف ترقيته .

من الصعب أن نعرف السبب الذي جعلهم يسامحونه مرة تِلْو الأخرى ، ربما يعود ذلك إلى الكفاية التنظيمية الظاهرة لهذا الرجل ، وربما لأن أحداً من رجال الجيش لم يعط أهمية لآرائه المتقلبة ؛ ألم يقل ذات مرة « لـو ألقـوا باليهود من أي مكان لكان في ذلك خـير الصهيونية » ؟ فليقترح زئيفي ما يريد ؛ لكنه ينفذ بدقة ما يأمرونه به . إنه رجل غريب الأطوار : يجمع تماثيل الأسود في منزله ، يحـاول أن يتسلق على أكتاف تراث البلماخ ؛ حتى جعل نفسه الراعي الرسـمي للمنظمة ، ينظم لأبنائـه طابوراً عسـكرياً كل صباح !

في العام ١٩٦٨ ؛ عينه إسحق رابين قائداً للجبهة الوسطى . وها هنا وجد الرجلُ الذي ظل منذ معركة تل موتيلا في مناصب مساعدة أو قيادية صغيرة (رئيس جناح العمليات ، رئيس أركان القيادة الجنوبية ، رئيس أركان القيادة الوسطى ، مساعد رئيس فرع العمليات) وجد ما يعبر به عن شخصيته . لقد قامت كتيبة كاملة بمحاصرة جماعة من المخربين تم العثور عليها داخل مغارة ، وفي مثل هذه الحالات ؛ كان اللواء يذهب بنفسه مصطحباً – أحياناً –

بعض أصدقائه من المدنيين ، ثم يبدأ من الفور عمليات « الصيد » التي يشارك فيها بنفسه ؛ برغم تعرضه للخطر . إن من يقول إن زئيفي جبان إنما يقلل من شأنه .

وهناك علاقة خاصة بين إسحق رابين ورحبعام زئيفي . إن رابين بطبيعته رجل ضعيف ؛ يلزم أن تحيط به مجموعة من الرجال الخانعين الذين يتميزون بالطاعة . وعندما كان رابين رئيساً للوزراء ؛ عين رحبعام مستشاراً له لشؤون الإرهاب والمعلومات ؛ لكنه كان دائم الحذر عند سماعه إلى الاقتراحات التي يبديها زئيفي - في بداية العام ١٩٨٨؛ رفض رابين - بشكل مهذب - اقتراح زئيفي بأن يجنده ثلاثة أيام فقط ؛ مع تعهده بأن « يهدىء الأوضاع خلالها في قطاع غزة» (!!) .

والضغينة التي يحملها زئيفي لشارون تعد في الوقت الحاضر من القصص الفولكلورية داخل الجيش . إن زئيفي الذي يقول « إن جميع القبعات تناسبني ؛ خاصة إذا كانت خوذة فولاذية » ، كان يلتقي شارون - دائما - وهو مرتدٍ هذه الخوذة . وفي حرب ١٩٥٦ ؛ كان زئيفي رئيس أركان القيادة الجنوبية ، وغداة هبوط كتيبة إيتان في ممر متلا؛ وصل شارون إلى هناك مع بعض قوات لواء المظلات . وكان شارون قد تلقى أمراً صريحاً من دايان الذي كان رئيسا

للأركان؛ بعدم دخول الممرات ؛ باعتبار أن التقارير قد أفادت بوجود قوات مصرية بحجم كتيبة فيها ، وبالنظر إلى أن عملية الدخول إليها غير ذات أهمية عسكرية . وإذْ كان شارون غير مقتنع بهذا الأمر فقد وجد ثُغْرة لدى زئيفي الذي وصل المنطقة بطائرة ؛ لقد ضغط شارون على زئيفي حتى يوافق على إدخال دورية إلى الممرات ، وبدلاً من أن يبحث زئيفي هذا الاقتراح مع رؤسائه ؛ سمح لشارون بتنفيذه . وهكذا ؛ تخطى شارون أوامر رئيس الأركان بمساعدة زئيفي ، ثُمَّتَ جعل الدورية التي سمح له بها زئيفي كتيبةً – وكانت النتيجة معروفة . وإثر هذه المشكلة التي أدت إلى خلافات عميقة بين شارون وزئيفي ؛ أصدر دايان تعليمات بتجميد ترقيات كليهما . واستمر هذا التجميد في عهد خَلَفَي دايان في منصب رئيس الأركان ؛ حتى جاء رابين – مرة أخرى – ليخلصه من هذا المأزق ؛ بتعيينه رئيسا لفرع العمليات ومنحه رتبة لواء .

إن رحبعام زئيفي الذي ترجع جذوره الأيديولوچية إلى معسكرات المهاجرين وحركة الشباب في حزب أحدوت هعبودا ؛ دفع بالأيديولوچية الاستيطانية لهذه الحركة إلى درجة التطرف المتوحش . إن حبَّه لأرض إسرائيل يصل إلى مصاف عبادة الأوثان ؛ إنه يسجد للصخور والأحجار والهضاب والغابات . ويعتبر زئيفي هو

الرمز اليميني لأحدوت هعبودا الذي ينتمي إليه دوبنكين وإبراهام يافيه ، وتعد نظرية الترحيل الإرادي للعرب إسهاماً منه في إثراء فكر هذا الجناح؛ حتى ينسحب العامل المشترك بين أعضاء هذا الجناح ؛ حيث إن دوبنكين يرفض – ومن دون تردد – فكرة الترانسفير ، ويقول : « إن الترانسفير المقترح أمامنا كمخرج للمشكلة العربية ؛ يعتبر فكرة وحشية وغير أخلاقية إنْ هي نفذت عن طريق العنف والقوة ... حذارِ من أن نبني نظريتنا السياسية على استئصال ٧٠٠ ألف عربي من قراهم ومدنهم ، إنهم لم يتركوها بإرادتهم فهل نخرجهم منها بالقوة ؟

وعلى النقيض من كاهانا أو إيتان ؛ نجد زئيفي رجلاً اتَّجه إلى المكتبة ، وبذل جهوداً كبيرة ؛ كي يطرح فكرة الترانسفير كأيديولوجية مستمرة . ثم إنَّ الكلمات النقية (مثل الترحيل الإرادي) حينما يستخدمها من تربى على استعمال اللغة العسكرية ؛ تبدو غير مستهجنة لأذنَي رجل مثل حاييم هرتزوج ؛ مثلاً . وعندما يقول زئيفي (ترحيل إرادي) فإنه لا يعني ترحيلاً بإرادة أو رغبة المواطنين ، فبعض الذين استمعوا إلى تفسيراته يؤكدون أنه يقصد بذلك ترحيلاً « بإرادة واتفاق الدول ؛ لم أقل بإرادة الفرد ؛ لأنه لا يوجد من سيترك منزله أو بستانه الذي يمتلكه ، لكنهم سيخرجون بناءً

على اتفاق يتم بين الحكومات » - على حد قوله . لقد اتجه زئيفي إلى المكتبة ؛ كي يثبت أن الترانسفير هو استمرار لمسيرة بيرل وأوسيشكين وآلون ، وأن الصهيونية الحقيقية ليست أكثر من تاريخ قرن من الزمان من الطرد والمحاولات التي لا تنتهي لإبعاد العرب عن البلاد .

إذا تولى زئيفي منصب نائب وزير الدفاع فسيكون رجلاً تنفيذياً ممتازاً مخلصاً لرئيسه ؛ سواء كان رابين أو شارون أو أرينز . إن لديه مشروعاً متواضعاً وبسيطاً حول كيفية إبعاد مئة ألف عربي عن الأراضي المحتلة خلال عام ونصف العام ؛ كبداية . وسيحاول زئيفي تنفيذ هذا المشروع ، وإثبات أنه ممكن ، وأن السماء لن تنطبق على الأرض لو نفذ هذا المشروع ؛ سيتخذ زئيفي بعض الإجراءات التي كان قد دعا إليها في الماضي ، ومن بينها - مثلاً - توزيع السلاح على طلاب المدارس الدينية في القدس القديمة ، وإبعاد رجال الشرطة العرب ؛ سيحاول القضاء على سياسة الجسور المفتوحة ؛ وهو الموضوع الذي سبق له أن اختلف بشأنه مع دايان ؛ وقت أن كان هو قائداً للمنطقة الوسطى ؛ لكن زئيفي - المشهور بالولاء لرؤسائه - نفذ تعليمات الوزير . لقد اقترح في الماضي إبعاد مخيمات اللاجئين المثيرة للمشكلات عن الطرق

الرئيسية ، ونقلها إلى مناطق معزولة ، وسيقترح في المستقبل حظر انتقال أي مواطن عربي من بلدة أو قرية تبدي العداء لإسرائيل إلى الأردن ، أو منحــه تأشيرة خروج ، وحرمانه من حق العودة مرة أخرى . وبصفة عامة ؛ فإنه – إلى أن يحين وقت الترانسفير – سيعمل على اتخاذ عدة وسائل من القيود والمضايقات الكفيلة بتحويل الضفة الغربية إلى منطقة طـاردة لمن فيها من المواطنين العرب . والحساب بين زئيفي ودان شمرون حساب طويل ؛ حيث كان الأخير من ضمن من عارضوا تعيينه رئيساً للأركان . ويعتبر زئيفي رجـل موشيه ليفي الذي وضعه ضمن « مجموعة الفكر » التي شكلها ليفي ، ثُمَّتَ يختلف زئيفي مع شمرون حول عدة قضايا ؛ من بينها النظرية القائلة بأن التكنولوچيا العسكرية المتقدمة يمكنها أن تسد مسدَّ السيطرة على الأراضي ، أضف إلى ذلك أن واحدة من أولى الخطوات التي اتخذها شمرون لدى تنصيبه رئيساً للأركان ؛ كانت عزل زئيفي من منصب مستشار رئيس هيئة الأركان .

ذات مـرة سألوا زئيفي : ماذا سـيحدث لو رفض العرب الترانســفير الإرادي الذي تقــترحه ؟ فرد قائـلا : « سوف يوافقون » (!!) ؛ فمن خلال مجموعة من البحوث التي أجريت حول

حرب التحرير* - اتضح أن زئيفي يتمتع بخبرة غير قليلة في هذا المجال ؛ لقد كشف المؤرخ أوري ميلشتاين عن أن زئيفي كان واحداً من أقطاب عملية إبعاد العرب عن وادي هاحوليه (سهل الحولة) . ولقد بدأت هذه العملية التي أعطيت اسم « المكنسة » في ٣ مايو ١٩٤٨ ، واستمرت عشرة أيام ؛ قام خلالها جنود الكتيبة الأولى بمصادرة ٩٠ سيارة من حَيْفا ؛ لتنفيذ العملية ، وجرفت « المكنسة » عرب قرى طبحة وعرب زنغرية وعرب سمكية (السْمكيَّة) وعرب قدرية (القُديرية) . كـان زئيفي - آنذاك - قائد فصيلة في سرية جاڤيتش ، وقد أبلغه بعد العملية بالتقرير التالي : لقد انتشرنا في ثلاث فصائل بمساحة القطاع ، وانتقلنا من قرية إلى قرية ، وطردناهم جميعا ، لقد أصبح طريق جينوسر / رأس بينا بدون أية قرية عربية .

---

* حرب التحرير أو حرب الاستقلال ؛ يعني بها الصهاينة نكبة ١٩٤٨ .

٢ - معاريف ١٧ / ٧ / ١٩٨٧

رحبعام زئيفى يقول: أية قبعة تناسبنى ؛ خاصة إذا كانت من الفولاذ.

بقلم : يوسف ولتر

معاريف ١٧ / ٧ / ١٩٨٧

بقلم : يوسف ولتر

رحبعام زئيفي يقول :

أية قبعة تناسبني؛ خاصة إذا كانت من الفولاذ

من صالون منزله ؛ اتصل رحبعام زئيفي تلفونياً بعربي من الناصرة ، وقال له مبشراً : « اسمعْ يا شيخ ؛ لقد تم تسوية الأمر » . ويفسر زئيفي الموضوع لنا قائلاً : « إن هذا عربي من الناصرة يرغب في الزواج بفتاة من جنين ، ولكن السلطات لم تسمح لها بالإقامة في الناصرة . وطلبوا إليّ تسوية الأمر . والذي فعل هذا هو زئيفي الرهيب الذي يريد أن يقذف بالعرب من هنا » .

إن عبارة (تم تسوية الأمر) هي عبارة مهمّة ؛ فهذه الكلمات هي التي مهدت له الطريق إلى قلوب الكثير من عرب إسرائيل * . زئيفي هو عنوان يعرفونه جيداً ؛ فهناك مشاكل لا يمكن حلها

---

* دأب الصهاينة على استخدام هذه التسمية : عرب إسرائيل ؛ بدلاً من عرب الـ ٤٨ ؛ مستهدفين من ذلك إقصاء أبناء الشعب العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام ٤٨ – عن أمتهم العربية ، ونفي هويتهم الوطنية .

بالطرائق المعتادة ، لذلك ؛ فَهُمْ يذهبون إليه ليسوي لهم الأمـور . ولـم تكن مصادفة أن يكون رئيس الأركان السابق مسئولاً عن شؤون البدو ومقتفي الأثر العاملين في جيش الدفاع ، وإيجاد حلول لمشاكلهم ؛ فهذه الفئة تعاني من الظلم ، و مَنْ غيره يستطيع إصلاح الوضع .

إنه يؤكد ذلك ؛ كي يبرهن على مدى الظلم الذي وقع عليه ؛ بعدما صـوروه على أنه صاحب آراء وأفكار قريبـة من آراء كاهاناه . ولكن هذه الصورة - بالذات - رفعت أسهمه داخل بعض الأوساط الجماهيرية منذ عدة أيام ؛ فكلما ظهر في مكان عام ؛ أحاط به المعجبون الكثيرون : رجال ونساء وشباب وعجائز ؛ كلهم يقتربون منه ويصافحونه بحرارة ، ويقولون له : لقد قلت ما يفكر فيه الكثيرون ولكنهم لا يملكون الجرأة على الإفصاح عما بداخلهم ... إن الشعب يؤيدك . فما الذي فعلته كلمة واحدة ؟ كلمة واحدة هي (نقل) التي لم يعرفها الكثيرون حتي الآن ، وآخرون قد نسوها .

هذه الكلمات رفعت زئيفي مرة أخرى إلى عناوين الصحف وأجهزة الإعلام ؛ فقد تلقى دعوة لإلقاء كلمة في ذكرى مرور عشرين عاماً على حرب الأيام الستة . وقد تكلم فيها عن الأهمية الأمنية للضفة الغربية وقطاع غزة ، وبعد ذلك قـام بالرد على ما قاله الأديب أ . ب . يهوشع (الذي يؤيد الانسحاب من الأراضي المحتلة ، ونزع

السلاح ، ثم الدخول في حرب إذا عاود الجيران خرق اتفاقيات السلام) – فقال زئيفي في ردّه « ...لا توجد حلول سهلة . إن الحل الأفضل لعرب الأراضي المحتلة وللشعب الإسرائيلي هو نقل العرب خارج هذه الأراضي . لن نســتطيع أن نتهرب من الواقع أكثر من ذلك ، وأيّ إنسان واقعي يجيد قراءة خريطة الواقع سيدرك ذلك . من الضروري نقل عرب الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الأردن ؛ في إطار اتفاق مع جيراننا – وكشرط إسرائيلي في المفاوضات – وأن يعترف الشعبان بأن هذا هو المستقبل الأفضل لهما ... » .

بعد انتهاء الاجتماع ؛ أذيع أن زئيفي يقترح نقل وإخراج الفلسطينيين من دولة إسرائيل . أثارت هذه العبارة غضباً شديدا فيما بين أعضاء الكنيست وشخصيات عامة وصحافيين ، و انضم الليكود إلى معسكر المتحفظين ، وقامت حركة راتس بمظاهرة احتجاج . وهكذا عاد زئيفي (غاندي) إلى النجومية الإعلامية .

وزئيفي غير منفعل لهذه الضجة التي أثيرت حوله ؛ إنه يبدو كذلك – على الأقل . على كل حال فقد أظهر ذلك حقيقةً واحدةً ؛ وهي أن أغلب الشعب الإسرائيلي يفكر مثله .

يقول زئيفي : « عندما قام حزب راتس بمظاهرة احتجاج ؛ قامت وسائل الإعلام بتغطيتها بتوسع ، ولكن لم يذكر أحد التأييد الذي لقيته . ستندهش من مقدار التأييد والترحيب والإعجاب الذي

نلته بعد هذا الحديث ، فقد تلقيت عشرات المكالمات التلفونية ، ورسائل وبرقيات تشجيع وتأييد ، وباقات الزهور تنهال على منزلي » .

« عندما أسير بسيارتي يلوّح لي السائقون الذين يسيرون بجانبي بأيديهم ، ويقولون : « الله يطيل عمرك ! » ؛ فما الذي أستطيع أن أقوله ؟ هل أقول إن الإعلام لا يريد التعبير عن رأي الشعب ؟ ليس هذا مريحاً ؛ لقد رفض معهدان متخصصان في إجراء استطلاعات الرأي أن يجريا استفتاء حول هذا الموضوع ؛ خوفا من أن تأتي النتائج على غير هوى الذين يجرون الاستفتاء . إنني لا أملك معهداً يجري استطلاعات للرأي ، ولكن النموذج الذي أملكه هو ردود الفعل التي ألقاها في الشارع . بمرور الوقت تنمو في داخلك أحاسيس تعرف بها متى يكون الشعب معك » .

على منضدة صالون منزله كومة من البرقيات ، منها ما يقول (سرْ بهذه القوة وخلصْ شعب إسرائيل) ، وبرقية من تلاميذ مدرسة بالقدس يقولون فيها (أطال الله عمرك ، والشعب معك) . ويرن التلفون ... ويسمع على الجانب الآخر ضابطاً بجيش الدفاع الإسرائيلي يقول : « إن جميع ضباط الوحدة مجتمعون ويعلنون تأييدهم لموقفك » .

في جميع مراحل حياته ؛ في البلماخ ، وكقائد للمنطقة المركزية وعمليات مطاردة المخربين في بقاع الأردن ، وكمدير عام لمتحف إسرائيل - كان ناجحا ، وكان أيضا عرضة للنقد . حتى الذين يعارضونه يقولون إنه نجح في كل ما فعله ؛ برغم التصرفات الطائشة . فمثلاً ؛ لن ينسوا المبنى الفخم الذي أقامه كمقر لقيادة المنطقة المركزية في الستينيات بتكلفة ٢ مليون ليرة ، واللبؤة « روتي » التي حصل عليها هدية من موشيه دايان ، وقام بتربيتها في مبنى القيادة . وهو زئيفي نفسه الذي مهد مئات الكيلومترات من الطرق ، وأقام المواقع الحصينة ، وطور أساليب الحرب ضد المخربين ، ولقد شارك بنفسه في ١٢٠ عملية مطاردة لوحدات من الإرهابيين .

طوال سنوات عمله لم يكن قائداً لقوات كبيرة في الحرب . ولكنهم يقولون عنه إنه كان من أعظم رجال القيادة ؛ لم يشهد جيش الدفاع كثيراً مثله ، ولا توجد مهمة يمكن أن تقف كعقبة أمامه . إنه بولدوزر حقيقي ؛ قال عنه رابين ذات مرة إنه رجل جميع المهام .

وزئيفي مازال يحمل الروح العسكرية حتى اليوم . ماضيه العسكري كان في البلماخ ، وجندياً بجيش الدفاع ، ورئيس فرع العمليات بهيئة الأركان العامة ، ثم قائد المنطقة المركزية . وبعد خروجه من الجيش عينّه رئيس الوزراء - آنذاك - إسحق رابين ؛

مستشاراً له لشؤون الإرهاب . وفي عام ١٩٨١ تولى منصب مدير عام متحف إسرائيل ، وقد تولى هذا المنصب في ظل سُخْط شديد من جانب بلدية تل أبيب التي أعلن أعضاؤها أنه يجب ألا يتولى هذا المنصب رجل على علاقة برء وس الجريمة (ولكن لم يثبت حتى الآن قَطُّ أنه على علاقة بالجريمة) ، وقد أثار زئيفي غضب منتقديه حين أقام مبانٍ بدون تصريح ، وأحاط المتحف بسور كبير ، ووضع يده على أراضٍ بدون وجه حق .

ويرى البعض أن ما صرح به زئيفي حول نقل الفلسطينيين إلى خارج الأراضي المحتلة هو تمهيد لانتقاله إلى عالم السياسة .

رحبعام زئيفي ؛ رجل البلماخ وحركة العمل ، هو صقر كبير ، وهذا الجزء من حياته مصحوب أيضاً بالشائعات . يقولون إنه أراد الانضمام إلى حركة هتحياه ، ولكنهم لم يقبلوه ، ويقول آخرون إنه يجري اتصالات مع يوفال نئمان بهدف الانضمام إلى هذه الحركة ؛ من أجل دخول الانتخابات القادمة ؛ يقول جدعون التشولر سكرتير عام حركة هتحياه : « إن زئيفي ليس عضواً بالحركة ، وإذا قرر الانضمام سنرحب به . لقد اقترحت عليه منذ شهور دخول الانتخابات القادمة لرئاسة بلدية القدس ؛ كممثل لحركة هتحياه ،

ولكنه رفض الاقتراح ، وقال إن وايزمن سبق أن عرض عليه الفكرة ولكنه رفضها » .

وينفي زئيفي أية نيّة لدخول عالم السياسة ؛ قائلاً : « إنني على اتصال بيوفال نئمان لأنه صديقي ، كما أنني اتصل بمئير باعيل ؛ برغم أنه من الحمائم . أنا لن أدخل السياسة ؛ لأنني تربيت على الكتاب المقدس . لقد تربيت في حركة العمل ؛ كان أبي من مؤسسي حزب مباي ومن أوائل مؤسسي الهستدروت ؛ كنت عضواً بمعسكرات المهاجرين ، كما أنني عضو بالهستدروت منذ كان سني ١٧ عاماً . أنا يساري ؛ جميع الآراء التي أعبر عنها هي آراء حركة العمل ؛ لقد تعلمت ذلك من بيرل ودوينكين ، أما أعضاء الحركة فهم الذين ضلّوا الطريق . إن النشر الخاطىء عن تأييدي لنقل عرب إسرائيل يظلمني ، ويجعل مني أكبر عنصري وصقراً رهيباً . إنني أكثر يساري في الدولة له أصدقاء عرب ؛ إن علاقاتي بالعرب علاقات مركبة ؛ إنني قريب منهم بحكم عملي في الجيش وبحوثي عن عهود الأجداد . لدي عدد لا يحصى من الأصدقاء العرب - ويوجد شارع مسمى باسمي في إحدى القرى العربية - كان سيف الدين الزغبي الراحل بمثابة شقيق لي ؛ زئيفي بالنسبة إليهم هو الزغبي . لا يمر يوم إلا وأعالج مشاكلهم : في الطرق والمياه والكهرباء والحصول على

مختلف التصريحات . إنني أفعل ذلك ؛ لأنني أدرك أنه من الواجب مساعدة الأصدقاء ، ثم بعد ذلك يقولون إن اللواء زئيفي يقترح نقل العرب من هنا . إنهم مصابون بالإحباط بعدما أخبروهم بأن زئيفي انضم إلى آراء ومواقف كاهاناه » .

س : ولكنك تؤيد نقل العرب ؟

ج : أنا أويد ذلك ليس لأنني عنصري ؛ ولكن لأنني أتفهم المشاكل الأساسية التي تحيط بوجودنا ؛ إننا لا نستطيع البقاء بدون أراضي الضفة الغربية وغزة . إن الوجود الإسرائيلي يحتل لديّ مكانة مهمة ... إنني أعيش دوامة المأساة النازية برغم أنني من الصابرا . إنني أرى أن في جيلنا مخاطر كثيرة تحيط بقيام ووجود شعب إسرائيل ؛ مثل : الزواج المختلط ، والنزوح ، أضف إلى ذلك الخطر الأمني ، وازدياد القوة العسكرية للعالم العربي ، وأن الجبهة الشرقية أصبحت بالفعل قوة عسكرية هائلة . إن العالم العربي يزداد قوة ، وفي داخلنا تظهر ظواهر تبعث على القلق ، وجيش الدفاع يزداد ضعفا ؛ بسبب نقص الميزانيات ، وبسبب الوضع الاقتصادي ، ومن جانب آخر ؛ توجد المشكلة الديموجرافية . إن كلمة (نقل) ليست بالكلمة الجميلة ، وأقترح عدم

استخدامها ؛ وإن كانت قد ظهرت منذ سنوات عديدة . يمكن أن نطلق على هذا أي لفظ آخر . في كل حروب إسرائيل كان الفلسطينيون هم أكثر من يخسر ... إذا خرجوا من هنا واستقروا في أي مكان آخر فسيكون هذا هو العدل لهم ولنا . لايمكنهم البقاء في أراضيهم ؛ حيث يتنازع الطرفان ويقول كل منهما إنه صادق . العدالة تقول إنه لاتوجد لنا أرض أخرى وقد مرت بنا مشاكل ومآس كثيرة ، وهم يقولون إنهم يعيشون هنا منذ مئات السنين . لكن الحقيقة التاريخية تقول إنه عندما جاء أوائل اليهود إلى هنا ، وجدوا هذه البلاد خاوية تماماً (!!) .

س : ماهو ردكَ إذا فعلوا ذلك بيهود الشتات ؟

ج : إذا ألقوا باليهود من أي مكان فهذا سيكون في مصلحة الصهيونية . الحقيقة أن الفلسطينيين هم - بشكل تقليدي - جماعة مهاجرة ، وقد أصبحوا أكثر تطوراً بسبب تأثير مئات السنين من الصهيونية ؛ ففي مقدورهم أن يعملوا * كمدرسين ومديري بنوك وموظفي إدارة . حتى عام ١٩٦٧ كانت

---

* يعني في الدول العربية التي يفترض أنهم سينقلون إليها .

هناك هجرة دائمة إلى الخارج ، ولايضيرهم أبداً الانتقال من مكان إلى مكان . إنني لا أقترح تحميلهم على لوريات وإنما أن تتم العملية بتنظيم : نقوم بتعليمهم بعض المهن والحرف ؛ نقوم بإعدادهم من أجل الغد الجديد . إن هذا سيكلف الشعب الإسرائيلي كثيراً ، ولكن من الواجب أن نشتري الوطن . صحيح أنه ليس من السهل ترك البيت والأرض ، ولكن الحقيقة هي أنهم يبيعون الأرض ويتركون منازلهم ؛ منذ عام ١٩٤٨ . هناك ٢٢ دولة عربية تستطيع أن تستوعبهم ... إنهم لم يحلوا المشكلة ؛ لأنهم يريدون أن تظل على نار حامية .

س : وعرب إسرائيل ؟

ج : توجد هنا حقيقة ، ويجب أن نتعلم كيف نتكيف معها : لقد أثبتوا في جميع المراحل أنهم ناضجون ، ثمَّ في أشد أزمات الدولة لم تمد هذه الجماهير يدها إلى أعدائنا ، ولم تحاول الخروج على القاعدة . لماذا حدث هذا ؟ لأن الدولة – ربما عن غير قصد – أعطتهم الكثير ، وهم يحافظون على الجميل ، وليس في رغبتهم أن يفقدوها .

س : ألا يبدو لك هذا المشروع خيالياً ؟

ج : إنها ليست فكرة خيالية ؛ فالصهيونية كلها كانت خيال . ثم إن الانتصار على سبع دول عربية ، ومد المياه إلى النَّقَب ، وبناء مدينة عبرية – كلها كانت تعتبر أموراً خيالية ، ولكنها تحولت إلى واقع . لست متأكداً من نجاح هذا المشروع ، ولكن يجب أن نبحث عن إمكانية تحقيقه .

٣ - ملحق دافار ١٨/ ٩ / ١٩٨٧

ميخائيب ديكل ؛ نائب وزير الدفاع :

نقل العرب خارج الاراضى المحتلة قد يكون جزءا من
عملية الوصول الى السلام .

بقلم : اسحق روعيه

ملحق دافار ١٨ / ٩ / ١٩٨٧

بقلم : إسحق روعيه

ميخائيل ديكل *: نائب وزير الدفاع:
نقل العرب إلى خارج الأراضي المحتلة
قد يكون جزءاً من عملية الوصول إلى السلام

في أثناء الحديث سنتكلم عن عملية « نقل العرب » . وديكل يحرص على أن يستخدم نقلاً وليس إخلاء أو طرداً . سوف نتقدم إلى قضية « النقل » ببطء عن طريق البيت والموشاف والإنسان ومفاهيمه . ولو قمت بعمل قفزة مع القارىء لقلت إنه لا يوجد على ما يبدو مفر من النتيجة - بعد إنصات طويل لديكل - إن أمامنا نوعاً من البلادة الأخلاقية التامة . يجب الإنصات ليس فقط إلى ما قاله وإنما أيضاً إلى مالم يَقُلْه .

إن التعبير الملفوظ (تهويداً) الذي يعتبر ثابتاً في قاموس كلامنا، و ينسبه ديكل إلى نيّات الرئيس ريجان في مشروعه الخاص بالشرق الأوسط الذي أعلنه عام ١٩٨٢ - لا يردع ديكل عن تأييد مشروع نقل المدنيين الأجانب من أماكنهم .

---

*سكرتير إدارة حركة حيروت (٧٤ - ١٩٧٥) رئيس لجنة التنظيم بالحركة (٧٥ - ١٩٧٧) رئيس غرفة عمليات الليكود في انتخابات الكنيست التاسع - ١٩٧٧ .

قال نائب وزير الدفاع الذي يفكر في إخلاء الأراضي المحتلة من الذين هم دون اليهود : « لقد أراد ريجان تهويد الضفة الغربية » ، وقال لي « لم أقل طرداً » ، لكنه لم يقل لي كيف « ينقلون » سكاناً وكيف « يستبدلون » مواطنين ، وكيف « يعيدونهم » إلى الوطن . وهنا تدخل ؛ مصححاً « قلت العودة إلى الوطن » (ووطن الفلسطينيين هنا هو كما تعلمون الأردن) . ويقول ديكل : « التحكم في شعب آخر ! إنني لاأحب كلمة تحكم ؛ معاناة الآخرين ، والتمييز العنصري ضد مئات الآلاف ! نحن لانستطيع أن نظل دائماً أفضل منهم . يمكننا أن نحل المشكلة بمساعدة الدول العربية . هل هذا فساد أخلاقي ؟ هل هذا تشويه للمعايير ؟ إنها كلها ضجة يثيرها اليسار لاعتبارات سياسية . إنني لاأثق بهم » . فما الذي تبقى ؟ ويجيب « يتبقى قوة الإرادة التي يجب أن ننميها بعدما فقدها جزء من الشعب » .

في سجل تاريخ حياته الذي قدمه إلى أحد الأراشيف بخطّ يده ؛ نجد أن ميخائيل ديكل هو عضو الكنيست ميخائيل دايكسل ، من موشاف نورديا ؛ بريد نتانيا . ولد عام ١٩٢٦ في پنسك – پولندا (في روسيا البيضاء حاليًّا) درس في مدرسة « تربوت » العبرية

سبع سنوات ، والسنة الثامنة في مدرسة سوفييتية . كان حتى الاحتلال السوفييتي عضواً بحركة بيتار* الشبابية . منذ عام ١٩٤٠ نفي إلى سيبيريا مع أسرته . خلال الأعوام من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٦ كان جندياً في الجيش الروسي والجيش البولندي الشيوعي ؛ شارك في معارك أوكرانيا عام ١٩٤٤ ؛ في أثناء الحرب العالمية الثانية . دخل ميخائيل دايكسل إلى مايدنك مع الجيش السوفييتي في اليوم الثالث للتحرير . يقول : « إنني أعرف ماهذا . لقد كان بالنسبة إليّ الرمز الحسي لما كان هناك » .

وبدأ الحوار – وأنا لا أتذكر على وجه التحديد كيف بدأ – فأوضح أنه ليس من الذين نجوا من المأساة النازية ؛ قائلا : « بفضل النشاط الصـهيوني الذي قامت به أسرتي ؛ قاموا بنفينا إلى سيبيريا ، وهكذا ؛ نجونا : أنا وأبي وأمي وشقيقي وبعض أفراد أسرتنا ، ثم حضرنا إلى هنا » .

لقد أباد الألمان أربعين الألف يهودي الذين كانوا في پنسـك

---

* بيتارBetar : تنظيم شبابي صهيوني ؛ قام في پولندا عام ١٩٢٣ ؛ بهدف إعداد اليهود للحياة في فلسطين ؛ من خلال تعلُّم اللغة العبرية والتدريب على العمل الزراعي ؛ مع التركيز على التدريب العسكري ، وتلقين الأعضاء أيديولوچية فاشية تقوم على أن الإنسان أمامه بديلان لا ثالث لهما وهما : الغزو أو الموت . تشكلت فيه الكوادر الأساسية لمنظمة الأرجون الإرهابية .

في أثناء الاحتلال النازي ؛ بدون قوائم - في الغابة - بإطلاق النار عليهم . يقول ديكل : « لقد نجا من اليهود هناك سبعة عشر فقط ، فمن أسرتنا - وهي أسرة متشعبة جدا ، جزء منها في پنسك وجزء في بياليستول - لم يتبقّ سوى الذين نفوا إلى سيبيريا » .

انضم ديكل إلى الموشاف عام ١٩٥٠ ... « إنك تسأل إلى أي حد أثّر ما حدث في أوربا على آرائي ؟ إن من كتب قصة « الزمن الأصفر »* ليس لديه منظور صحيح وسليم عن الشر ؛ إنه لا يرى الخطر الذي يحيق بنا ؛ ما الذي يمكن أن يحدث لنا ؛ الخطر الذي يهدد وجودنا ، فهذا هو ما تبقى لي من هناك » .

عند مدخل موشاف نورديا لوحة خشبية مكتوب عليها تفاصيل ؛ منها : موشاف تعاوني ؛ تأسس عام ١٩٤٨ بالتعاون بين حركتي حيروت وبيتار ؛ فروعه : الصناعة والزراعة .

وديكل ليس من النوع الذي يسارع بإلقاء أحاديث منظمة ؛ إنه ينصت إلى الصحافي بما لا يقل عما يقوله ؛ هادىء جدا . وقد تكلم عن كل ما يتعلق بالضفة الغربية ؛ بلا أي تسامح ؛ إن السلام في الضفة يعني بالنسبة إليه أن تصبح مكملة لأرض إسرائيل ؛ يقول ديكل : « من الواضح أننا لن نوافق أبداً على التنازل عن الضفة الغربية ، إن الاستيطان هو إجراء

*يعني دافيد جروسمان ؛ كاتب وصحافي إسرائيلي أثار نقاشاً واسعاً بنشر كتابه « الرياح الصفراء » منذ عامين . والكتاب يدور حول زيارة قام بها للضفة الغربية المحتلة دامت ثلاثة أشهر ، وقد انتقد فيه جروسمان الاحتلال الإسرائيلي للضفة .

سياسي قبل أي شيء ، إنه الردّ على مشروع ريجان ، والإجابة عن أية محاولة مساومة محتملة في المستقبل ، وهو إعلان عن الإخلاص للصهيونية ؛ إنه في نظري هو الصهيونية » . وديكل لا يؤمن بما يردده اليسار عن أن ما يحدث في الأراضي المحتلة هو تقويض للديمقراطية ؛ فهو يقول : « هذا أمر سياسي ؛ لا توجد مثل هذه الأخطار . إن الكلام عن وجود خطر هو الخطر ذاته . هناك فعلاً خطر ، ولكنه خطر علـى وجودنا . إننا نجلس الآن في موشاف نورديا ؛ فكم يبعد عن طولكرم ؟ ثمانية أو تسعة كيلو مترات ؟ فهل نسمح لهم بالعودة إلى هنا مرة أخرى ، ثم بعد ذلك تنشب حرب أخرى ؟ إنني مستعد لأن أتفق مع هولندا ولكسمبورج ، ولكن مع العرب لست كذلك ؛ لأن هدفهم هو القضاء علينا . لماذا لم يوافقوا علـى الحكم الذاتي ؟ كنت سأصدقهم لو كانوا وافقوا ، لكنهم لم يوافقوا ؛ لأن ذلك لا يكفيهم ، أنا أرفض قيام دولة فلسطينية ، وهو أمر تعترض عليه – بالطبع – مثلي » .

وعندما أتكلم عن التحكم ، والمعاناة ، والمعاني الأخلاقية ، والفساد ، وضعف قوتنا بسبب هذه الأمور ؛ فإنه يهز كتفه ؛ وكأنه يقول (سمعنا هذا كثيرا وقمنا بالردّ عليه) . إن الموقف المتكرر منه هو أن كل ما يقوله اليسار هو كلام سياسي ؛ من أجل تحقيق هدف

معين . وقد أمسكت بتعبير (كلام سياسي) ، وقلت له إنه عن طريق الكلام السـياسي يمكن أن نعرف شيئاً ما عن أنفسنا ، وما يحدث لنا ؛ فهناك البعض الذي يقوم بإجراء تحليل لُغَوي لما يقوله الزعماء ، وعرضت عليه نموذجاً .

مثلاً : في عام ١٩٨٢ ؛ اقترحتَ إجراء تبادل سكاني ، ولكن كلامك كان مصحوباً بتردد ؛ ردّدت كثيراً تعبيرات (لا أعلم) و (لست متأكداً) . لم تعلم ما إذا كان هذا أخلاقيًا . ثم بعد ذلك جاء غاندي وكاهاناه وجيئولا كوهـين ، وكانت جيئولا تقول : إن هذا أخلاقي جدًا ، مثلما قال بيغن عن حرب لبنان : « لا توجد أخلاق أفضل من هذه » . وهنا تنسج التعبيرات الكلامية لنفسها نوعاً من الشرعية والقوة ، وربما نعتاد عليها .

ولم ينضم ديكل إلى الندوة التي اقترحتها عليه في شؤون البلاغة السياسية ، واكتفـى بالردّ على ما ذكر عن كاهاناه ؛ فقال : « صـدقني ، إنني غير سـعيد بكاهاناه وصحْبه الذين تعلمـوا فكرة « النقل » إلى قطاع غزة ، ويحاولون – بالفعل – تطبيقها داخل حدود الخط الأخضر . إن كاهاناه ورجاله وما يفعلونه يخدم مزاعم اليسار ، وهذا غير مطلوب لنا » .

وبرغم هذا فهو غارق في التبشيرية ؛ إنه متنازل عن العلاقة

بين نقل السكان والمشاكل الأخلاقية ، ويفضل النظرة التاريخية في أعمال التطرف ، والفصل بين اليمين واليسار ؛ بين تراث حركة العمل وحركة حيروت . في عام ١٩٧١ - عندما كان يبلغ من العمر ٤٥ عاماً - أنهى دراسته العليا في مجال العلوم السياسية بتل أبيب ، وبعد ذلك واصل دراساته ، لكنني لم أسأله إلى أي مدى . يقول ديكل « منذ خمسة عشر عاماً كان الفارق بين المَعَرَاخ وجاحال ، والعمل وحيروت - غير ظاهر ، وغير واضح ، في حالات كثيرة كانت المواقف بين الحزبين متشابهة ؛ خاصةً في شؤون الخارجية والأمن ، وفي نهاية السبعينيات ، بدأت - في تقديري - المواقف تتشابه ؛ حتى في المجالات الاجتماعية والاقتصادية . ولم يتبقَ الشيء الكثير من الاشتراكية ؛ إن حزب العمل قلَّل من إعلانه عن مواقفه التي ترجع إلى الأربعينيات ، وكان هذا إعلاناً مصطنعاً ، فمن كان يشتري هذه السلعة القديمة التي تظهر في خلفيتها صورة الاتحاد السوفييتي ؟ كما لم يعد شعار الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج موجوداً » .

عرضت عليه الفارق القديم ؛ وهو أن اليسار أكثر عقلانية من اليمين . لم يكن كلامي مفاجئاً لديكل ؛ فأجاب « قل لي - حقًّا - أترى في ذلك مَزِيَّة ؟ أمِنَ المرغوب - حقيقةً - أن تكون عقلانيا تماماً ؟ إنني لا أقول إنه يجب أن تكون غامضاً ، ولكن هل النُّبُوءة

والإيمان مطلوبين لنا أم لا ؟ لو كنا عقلانيين تماماً لما كنا حققنا الكثير في خدمة الصهيونية . إنني صهيوني وصاحب نبوءة ؛ لست صوفيًّا ، لكنني أؤيد نبوءة ذات أساس عقلاني ، وخطة . إنني أتذكر - في هذا الصدد - ما قلته أكثر من مرة لرجال حزب العمل : إن الاستيطان في الضفة الغربية هو قيمة صهيونية من الدرجة الأولى ؛ وإن لم يكن موجوداً لكان علينا أن نوجده . إنني - حقًّا - لا أفهم رجال حزب العمل ؛ هل أصبحوا على المعاش ؟ هل أنهوا عملهم السياسي ؟ هل انتهت الصهيونية ؟ ألم يعد الاستيطان مبدأً صهيونيا من الدرجة الأولى ؟ أين هم ؟ » .

ويصل ديكل إلى نهاية العرض السياسي ؛ فيقول : « في عام ١٩٨٣ حدث الاستقطاب الرئيسي والانفصال اللذان زادا بشدة الفوارق بين اليمين واليسار ؛ بعد علامات عدم الوضوح التي سبق أن أشرت إليها ، وكان هذا بشأن القضية القومية . وفي القضية القومية تعتبر الضفة الغربية هي النقطة الرئيسية ؛ هي محك الاختبار وحجر العثرة . ورأيي في هذا معروف وواضح بما فيه الكفاية : إن الاستيطان مهم للضفة الغربية ولا يقل عن أهميته بالنسبة إلى الصهيونية ؛ حتى لا تندثر » .

س : هل صحيح أن وزير الدفاع منعك من الحديث عن موضوع نقل العرب ؟ هل صحيح أنه كان هناك اقتراح بعزل نائب

الوزير الذي يدلي بتصريحات لا تنسجم - إلى حد ما - مع سياسة الحكومة ؛ خاصة في موضـــوع قد يكون من اختصاص وزارة الدفاع ؟

ج : فلننتقل إلى السؤال التالي .

س : أنت تتهرب - حتى الآن - من موضوع « نقل العرب » .

ج : قلت إنها عملية إعادة إلى الوطن ، وهم يسمونها نقل العرب .

س : إنني أسجل ما تقوله بالضبط حتى لا يخطيء القاريء مرة أخرى . (وبعد ذلك قرأت ما كتبته لجنة بيل حول اتفاقية نقل السكان بين تركيا واليونان . صحيح كانت هناك معاناة كبيرة في عملية نقل السكان بين البلدين ، ولكن في النهاية انتهت المشكلة ، وباتت العلاقات بينهما ودية ، تقوم على حسن الجوار ، وكان هذا في ٢٢ يونيو ١٩٣٧) . يقول ديكل : « اسمعْ ؛ إن ردود الفعل لم تكن منطقية ؛ ما عدا ما كتبه أفرموف في جريدة هآرتس ؛ لقد كان أكثرهم منطقية ؛ عندما قال إن ديكل أثار قضيةً يجب أن نتناولها . والمهمّ أن أوضح أنني تكلمت عن عمليات سياسية لا عن إجراء سريع فوري ؛ دفعة واحدة . ولست أدعي أن هذا عملي حاليًّا ؛ لكن يجب أن يظل هذا الحل مطروحاً . لم أقلْ ولا أقول بأن نقوم بعملية طرد ؛

إنما أتكلم عن تسوية سيأتي يومها . وإذا كان اليسار صادقاً في تنبُّؤاته السوداء فيجب - بالطبع - أن نقترح حلا يفصل فتيل القنبلة ، ويستأصل الصديد الذي يسبب التوتر ، والتعرض الدائم للإرهاب . وعملية النقل قد تكون جزءاً من التسوية ، وأنا لا أقول إنها التسوية النهائية ، ولكن تسوية تتيح الوصول إلى حالة السلم . إنني أتكلم عن احتمالين ، وهم لم يذكروا هذا : أن يترك العرب الأرض ، أو يقبلوا الجنسية الإسرائيلية والهُويَّة الإسرائيلية ، وأكثر ما تنصب عليه آمالي هو أن يقبل العرب الجنسية ولا يذهبون ، وهذه ليست عنصرية » .

وهذه هي المواد الأربع لـ « تسوية النقل » التي أملاها ديكل عليَّ :

١ - رعاية اللاجئين : ولي ملحوظة هي أن نائب وزير الخارجية الأمريكي لشؤون اللاجئين زارنا هنا هذا العام ، وقال : إنه يجب إصلاح أحوال لاجئي الضفة الغربية وقطاع غزة في الدول العربية ؛ نحن لن نطرد الناس من أراضيهم ، لكننا سنقوم بنقل ٤٥٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف من اللاجئين .

٢ - الأسر التي ارتكبت مخالفات أمنية - بشكل مباشر - يجب أن تطرد وأن تنقل ؛ فهذا سيكون إسهاماً كبيراً في حل

مشكلة الإرهاب .

٣ - كل من يريد أن يكون مواطناً إسرائيلياً مخلصاً يجب أن نتيح له ذلك ، وأنا لا أخشى من تزايد عدد العرب في الكنيست .

٤ - الباقون الذين لا يرغبون في أن يكونوا مواطنين إسرائيليين ؛ سيكون عليهم - من أجل أن نُبْطل مفعول القنبلة - أن يذهبوا إلى الأردن التي هي - أساساً - الدولة الفلسطينية . إن تلاميذ جابوتينسكي لم يكونوا يرغبون في ذلك ، ولكن هذا ما حدث .

هذه هي المواد الأربع لعملية نقل العرب كما قالها ديكل ، وهي مصحوبة بأمل أن لا يكون الاعتقاد والإيمان بالصهيونية قد انتهيا ، وقوة الإرادة القومية قد استنزفت ، وأنه إذا استمرت حركة الاستيطان في الضفة الغربية ، وإذا ظلت إرادتنا قوية ولم نستغنِ عن أراضي إسرائيل - فسوف يأتي اليوم الذي يتحقق فيه المشروع . إن الطرق مختلفة ، ولكن الصهيونية ستظل قائمة إلى الأبد . يقول ديكل : « صحيح أن جابوتينسكي رأى صورة أخرى عام ١٩٣٣ : ثمانية ملايين يهودي في أرض إسرائيل الكاملة (على ضفّتي الأردن) وأقلية عربية قِوامها ٧٠٠ ألف عربي ، ولكنه قال إذا لم يكن من الممكن تحقيق هذه النبوءة الصهيونية بالطرق السلمية ؛ فيجب أن يتم الأمر بطرق أخرى » .

س : أليس هناك بديل من هذا ؟

ج : إنه أمر لا يقبل الضد أبداً ؛ لا بديل .

س : هل تعلن بذلك عن « صهيونية وحشية جديدة » ؟

ج : وما العمل ، يحتمل أننا أخطأنا حينما أقمنا الهستدروت الصهيوني عام ١٨٩٦ .

٤ – عل همشمار ١٥ / ٤ / ١٩٨٨

زحف فلسطيني

بقلم : جابي باشان

عل همشمار ١٥ / ٤ / ١٩٨٨

بقلم : جابي باشان

زحف فلسطيني

إن الوثيقة التي تحمل اسمه (وثيقة كونيج) دخلت تاريخ الفضائح قصــيرة الأجل التي تجــتاح سماعنا وتظلمها على مرّ الزمان . في هذه الوثيقة التي نشرت لأول مرة في عل همشمار بعد أن لاقت ردود فعل واسعة ؛ اقترح إسرائيل كونيج إعداد الشباب العربي للتعليم التكنولوچي ؛ إلى أن يأتي اليوم الذي يجد فيه طريقه عَبْرَ البحر وهو يملك (مهنة دولية) . كل من سمع هذه الفكرة وما يصاحبها رأى أنها بداية هادئة لرنين الترانسفير الذي يصم الآذان .

إسرائيل كونيج - ٦٤ عاماً - من مواليد پولندا ؛ هاجر إلى إســرائيل عام ١٩٤٣ ، وكان عضــواً بحركة « ليحي » ؛ درس القانون ، وتخرج في كلية الأمن القومي . وقد عمل لمدة سبع عشرة سنة مشرفاً على القطاع الشمالي ، لكنه استقال منذ سنتين ؛ بعدما توصل إلى نتيجة تقول « لا يوجد من يعمل معه » .

وجـدناه ينظر إلى الوضع من خلال وجهة نظر رجل ذي تجربة ثرية ؛ رجل حاد اللسان ؛ صريح وعميق ؛ آرائه واضحة ؛ خاصةً تجاه رجال السياسة الذين عرفهم عن قرب خلال سنوات عمله

الممتدة في منْصبِه . وفي منزله التقيته ؛ ليحلِّلَ التناقضات والتغييرات داخل الجمهور العربي في إسرائيل .

س : ما هي نظرتك لما حدث في يوم الأرض ... هل صحيح أن هناك زعامة جديدة لعرب إسرائيل ؟

ج : إن لجنة رؤساء المجالس العربية التي نَظَّمت يوم الأرض هي تعبير عن التكتيك المعمول به لدى الشيوعيين دائماً وأبداً ؛ للسيطرة على جهة أو عنصر ليس بشيوعي . يرأس هذه اللجنة رجل حكيم يعمل من خلال السير على خيط دقيق جدا ، ولو لم يسرْ بالأمور هكذا ما كان أمام الشيوعيين إلا أن يضعوا أرجلهم ؛ لكنهم يفضلون أحيانا أن يتنازلوا ؛ حتى لا يبدو كأنهم هم الذين يقودون الأمور . وقد استنتجوا أن اتخاذ طرق عنيفة من شأنه أن يفقدهم تلك العاطفة التي يتمتعون بها داخل قطاع كبير من اليهود ، وقد استطاعوا بذكاء أن يدركوا أن نقطة واحدة من شأنها أن تجعل الحَسَاء ينساب ، وعرفوا كيف يوقفون هذه النقطة ، ولست أُرجع هذا إلى تغيير الاتجاه ، أو وجهه النظر ، أو الرؤية السياسية .

س : ألا توجد فرصة قيام حزب عربي جديد تحت سيطرة لجنة رؤساء المجالس ؛ حزب يمكنه أن يجترف الأصوات بصورة كبيرة؟

ج : أعتقد أن هناك افتراضاً منذ سنوات بأن عرب إسرائيل سوف يتخلصون من الوصاية اليهودية . لقد كان زعماء الأحزاب المختلفة الإسرائيلية ينظرون إلى العرب على أنهم منطقة لصيد الأصوات ، ومن خلال هذا الغرور كانوا يعتقدون أنهم حكماء ، وأنهم يفهمون العرب أكثر من العرب أنفسهم . لو أدرك اليهود الوقت المناسب للسماح بقيام حزب عربي مستقل ؛ حزب يهتم بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؛ لأمكن – بالقطع – إيقاف تدهور عرب إسرائيل إلى دائرة الفلسطنة *. لقد كان السكان العرب يتنقلون من يد إلى يد دون أن يضللهم ** أيٌّ وعي قومي ، ولو فتحنا هذا الصِّمَام لأمكننا أن

* الفلسطنة تعني تحول عرب الـ ٤٨ إلى فلسطينيين ! ويطرح الصهاينة إلى جانب هذا المفهوم مفهوماً آخر هو الأسرلة ؛ بمعنى تحول عرب الـ ٤٨ إلى إسرائيليين . وقد وردا لأول مرة في مذكرة رُفِعَت إلى القيادة الإسرائيلية في سبتمبر ١٩٨٧ ؛ سُمِّيت وثيقة عاموس جلبوع ؛ تناول فيها التطورات الحادثة داخل عرب الـ ٤٨ ؛ وخاصة شعورهم بالهوية الوطنية .

** (أضلَّه) : غيَّبه وأخفاه وضيعه وأهلكه – فالوَعْي القومي الذي يطالب به إسرائيل كونيج لعرب الـ ٤٨ يدرك هو ذاته أنه وَعْيٌ زائف يفتقد إلى أساس مشترك من اللغة والثقافة ، وتحكم تطورَه حقيقة أن التغيرات المادية في حياة الإنسان لا تؤدي إلى انعكاس مباشر جديد في وعيه الاجتماعي .

نوقف التآكل الذي نشهده .

س : هل أفهم من كلامك أنك تعتقد أن التطرف في الشارع العربي هو تطرف سطحي فحسب ؟

ج : إن عرب إسرائيل يشعرون بتلك القوة التي تتجمع في أيديهم . وفي الوقت نفسه لا يوجد عربي إسرائيلي واحد على استعداد لأن يقيم في إحدى الدول ذات الأنظمة العربية ، ولهذا ؛ فإن مشكلتهم أصعب من مشكلة عرب الأراضي المحتلة ؛ لأن هناك ما يخافون عليه . يوجد هنا تآكل لا يمكن مقاومته ، وإذا وُجدَ نوع من إظهار التطرف فإنه غير جاد . توجد مشكلة أكثر صعوبة أمام عرب إسرائيل وهي قضية ما إذا كانوا قد عرفوا كيف يستيقظون ويتجهون إلى الفلسطنة . ولجنة رؤساء المجالس المحلية لم تقم إلى الآن بدورها ؛ لم تقل بَعْدُ للمواطنين العرب في إسرائيل : إنه يجب الاحتراس ، ويجب أن نصل إلى النقطة التي نقول فيها - « قِفْ » . إنَّ القضية الأساسية هي هل تقبلّنا عرب إسرائيل كمن لهم حق على الدوام للعيش في المنطقة ؛ لم يقل لنا عرب إسرائيل بعد ما إذا كان وجودنا هنا آمناً ، ولم نتلقَ رداً بأنهم يروننا على عهدهم تجاه الأرض . كما لم نقم نحن بأية جهود ؛ كي نثبت ذلك .

س : ما هي إسهاماتنا في عملية التطرف ؟

ج : لم يحدث قَطُّ أن أحبونا . لم يتخذ عرب إسرائيل قط أي موقف كان من شأنه التأثير على الدول التي من حولنا . كانوا ينظرون إليهم على أنهم متخلفون بل أكثر من هذا ، وهذا نابع ممَّا حدث في عام ١٩٤٨ ؛ عندما هربت الزعامات ولم يتبقَ سوى الرواسب الاجتماعية ؛ ثُمَّ كانت النظرة إلـى هذه الرواسب نظرة سيئة .

وقد وَقَعْنا نحن في جميع الأخطاء : أول خطأ يبدأ من عدم معرفتنا لا ثقافة الحوار ولا مفاتيح الاتصال في الشرق ؛ ثُمَّ لم يكن لقاؤنا مع الطبقة المثقفة في الشرق . قبل عام ١٩٤٧ كانت الطبقة العربية المثقفة على اتصال بالطبقة اليهودية المختارة ؛ كالبروفيسور ماجينز وبريت هاشالوم وليس مع الزعامة السياسية الحقيقية ، وبعد ١٩٤٨ كان لقاؤنا مع تلك الرواسب التي تبقت هنا ، واليهود الذين يعرفون ما الذي يتكلمون عنه لم يكونوا مسئولين في المراكز التي تصنع القرار ؛ فيما يتعلق بعلاقاتنا مع العرب . هذا لا يعني أننا كنا سنغيِّر الوضع ؛ لكننا كنا سنفهم بصورة أفضل ما الذي يحدث لدى الطرف الآخر ؛ على المستوى السياسي وما وراء التيارات السياسية والأيديولوجية والاجتماعية – من أجل أن نبحث عن ثقب أو فتحة نستطيع التسلل من خلالها ، ونصبح دولة مقبولة في هذه

المنطقة . إن ثقافة عرب إسرائيل حاليا هي الثقافة التي ازدهرت في ظل غرورنا واستعلائنا عليهم .

س : عندما تكلمت عن تهمتنا ؛ كنتُ أقصد قضايا البِنْيَة والاستثمارات وإعداد المثقفين الذين لا يجدون طريقة للتعبير عن أنفسهم ، وقد أصبحوا عنصر تحريض داخل المجتمع العربي ...

ج : أعتقـد أنه لا أســاس لكلا الموضوعين ، وسأبدأ من النهاية : لا يوجد مكان الآن - باستثناء العمل المرتبط بالأمن - يرفض قبول أي عربي ذا خبرة ؛ هم الذين يرفضون ؛ لأسباب تتعلق بالأجور والنوعية . إنه خطأ المؤسسات الأكاديمية التي تمهد الطريق لتوجيه الطلاب إلى المهن التي بها فائض عمالة . الدولة مليئة بخبراء الشرق الأوسط واللغة العربية الذين يجدون صعوبة في العثور على عمل . وفيما يتعلق بمجال الاستثمارات ؛ أذكر أن عربياً ســألني ذات مرة : « لماذا تعتبر المدينة المُبَادِرة من مدن التنمية وقريتي لا تعتبر كذلك ؟ » سألته : « كم عمر قريتك ؟ » ؛ قال : « ٣٠٠ سنة » ؛ فقلت له : « إلى المدينة اليهودية المجاورة جاء اليهود منذ ثلاثين سنة ، وكانوا لاجئين يحملـون حقائب اليد ؛ وربما بـدونها . فَمَنْ - في رأيك - أجدر بمساعدة الدولة ؛ أنتم الذين تعيشون هنا منذ ثلاثمئة عام ، وبسبب الظروف المختلفة وصلتم إلى ما وصلتم إليه من حال ،

أو اليهود الذين حضروا بالأمس كلاجئين ولا يملكون شيئاً ؟ إنها إجابة راسخة تماماً . ولكن يوجد أيضا رد فني: عندما تأتي لتستثمر لا يكفي أن تخصص مبلغاً ، وإنما يجب بناء هيكل استيعاب ، ومعرفة ما إذا كانت هذه الإمكانيات قادرة على تنفيذ ما تريد ، والعرب لم يعرفوا في حالات كثيرة جداً كيف يستغلون الموارد التي لديهم . من السهل جداً أن تخصص ملايين لمدينة تدفع أجوراً ، لكن عندما تدفع بالأموال يجب أن تعلم أن المجلس المحلي سوف يحصل على نصيبه من المواطنين ، كما يجب أن تعرف أن المجلس المحلي قادر على مصادرة أراضٍ من أجل الطرق والأرصفة وأحواض الحمضيات . وبالطبع ؛ هناك الضغوط السياسية ، وهنا يلزم أن أسرد قصة : كانت توجد أزمة مساكن خطيرة في الناصرة ؛ فقامت وزارة الإسكان ببناء نحو ٢٥٠ وحدة سكنية بشروط لم يألفها السكان العرب ، وكانت المساكن من النوع الذي تم بناؤه بتنظيم من أجل استيعاب الهجرة ، وطلب البعض الانتقال إلى هذه المساكن لكن الضغوط الاجتماعية منعتهم عن ذلك . وذات يوم قلتُ لشخص ما ؛ سراً : إنني سوف أُحضر مجموعة من المتدينين اليهود للإقامة في هذه المساكن . وخلال يومين تمّ إسكان هذه الوحدات .

س : لماذا فشلت خطة تهويد الجليل ؟

ج : السياسة القومية هي هدف يجب القتال والنضال من أجل تحقيقه . تهويد الجليل كان هو المشروع الذي وافق عليه جميع رؤساء الحكومات والأحزاب . كانت أهداف المشروع قومية / يهودية ؛ مع المحافظة على حقوق من هم من دون اليهود ممَّن يقيمون في الجليل . في عام ١٩٤٧ ؛ كانت نسبة ٣٫٥ ٪ من الأراضي في القطاع ذات ملكية عربية ، واليوم بلغت النسبة أكثر من ٠٫٨ ٪ ، وهذا يرجع - أساساً - إلى أعمال مصادرة الأراضي التي بسببها أعلنوا « يوم الأرض » ، وكانت التوجيهات إعطاء تعويض لهؤلاء الأغيار * الذين صودرت أراضيهم بمنحهم أراضي بديلة .

ومن أسس المشروع النظري جعلُ المنطقة جذابةً من ناحية الحياة فيها وظروف المعيشة ؛ ناهيك عن الجانب القومي ، وللأسف ! لم نصل إلى الأرقام والأعداد التي توقعناها . ليس لدي شك في أن الشعب الإسرائيلي سوف يدفع ثمن ذلك .

س : ربما ما أضر المشروع هو الاستثمارات وتوجيه الموارد إلى المستوطنات ؟

---

* الأغيار « جوييم » : صيغة الجمع للكلمة العبرية « جوي» بمعنى شعب أو قوم . استخدمت أولاً للإشارة إلى الأمم غير اليهودية ، واكتسبت - فيما بعد - إيحاءات بالذم والقَدْح ، وأصبح معناها « الغريب » . والأغيار درجات ؛ أعلاها الذين تركوا عبادة الأوثان ؛ أي المسلمين والمسيحيين .

ج : لا أعتقد أنني أُلِمُّ جيداً بالموضوع ؛ حتى أقول ما الذي ذهب إلى الضفة الغربية ، وإن مواد مشروع تهويد الجليل قد تأثرت من هذا . إن ما أقرؤه في الصحف يبدو لي غير جاد وديماجوجياً ، لكنني أستطيع القول بأن الكثير جداً من الاستثمارات ما كان يجب أن يتكلف مبالغ باهظة ، وكان يجب أن يغطي تكاليفه . هناك بالتأكيد تقصير خطير من دولة إسرائيل وشعب إسرائيل الذين لم يبذلوا أي جهود من أجل الاستيطان في الجليل ، وسيكون ذلك نقطة ضعف في بطن إسرائيل في المستقبل .

س : لو لم تخني الذاكرة لكنتَ أنتَ أولَ مَنْ طرح الفكرة التي يطلقون عليها اليوم (الترانسفير) في (وثيقة كونيج) الشهيرة ، فما رأيك في هذا الموضوع الآن ؟

ج : أولاً هذا كله غير صحيح . لقد قلتُ إنه يجب الاهتمام بالشباب العرب وإعدادهم في المهن التكنولوجية ؛ لأنه لحظةَ أن تعطي للناس إمكانية تعلُّم مهنة دولية ؛ فإنك بهذا تنتزع الشعور بالمرارة وعدم إمكانية التحرك من هنا ، وعندئذٍ سيكون من المحتمل جداً أن تجد جزءاً منهم يفكر في السفر إلى الخارج ؛ من أجل الربح الوافر . لقد كانت هناك لجنة برئاسة البروفيسور كاتسير – الرئيس

السابق – وقد استغرق الأمر وقتاً مني لإقناعهم بأنه مقابل مدرسة مهنية مدة الدراسة بها ثلاث عشرة سنة يقيمونها في كرميئيل ، يجب أن يقيموا مدرسة مماثلة في مجد الكُروم ، وفعلاً ؛ أقاموا مدرستين من هذا النوع .

س : هذا يعد ترحيلاً إرادياً ؟

ج : افتراضك هذا خاطىء تماماً ؛ أنت تأخذ شاباً أنهى تعليمه الجامعي ثم يعود إلى وطنه بدون أن يفعل شيئاً ، لأنه يحمل شهادة في التّلمُود ، ثُمَّ يصبح بعد ذلك عاملَ بناء . ولا أرى أمراً أكثر طبيعية من أن يكون المجتمع الذي دفعه إلى هذا الوضع هو السبب الرئيسي في الغليان والغضب ، لو كان هذا الشاب عاملَ إلكترونيات أو فني معادن لوجد عملاً ، ولو لم يجد عملاً هنا ؛ لَمَا شعر بأنه مكبل . إن هؤلاءِ الأشخاص يعتبرون مادةً للغليان . فإذا أطلقنا على هذا ترحيلاً فإن هذا عدم فهم أو رغبة شريرة . عامةً ؛ كل الحديث عن الترانسفير يميز ضحالة الطبقة الحاكمة في إسرائيل والمجتمع الإسرائيلي . كل من تكلم عن هذا بجِدِّيَّة لا يدري عن أي شيء يتحدث .

س : هل تعتقد أن هناك حلا ما لتضامن العرب مع الدولة في إطار دولة يهودية ، أم أننا محكوم علينا أن نعيش فوق بركان ؟

ج : لا أعتقد أن هناك مَنْ يمكن أن يتوقع من عرب إسرائيل أن يتضامنوا مع دولة إسرائيل ؛ إنه أمر غير عملي . أقصى ما يمكن أن نطالبهم به هو المحافظة على قوانين الدولة ، والإصرار على أن يخضع كل مواطن في الدولة لجميع قوانينها ؛ يهود أو غير يهود . والذي يضع علامة استفهام أمام وجودنا هذا هو الفلسطنة ؛ لأنها ظاهرة اجتياح . الفلسطنة في جوهرها تعمل على محوْ أي شيء له كيان يهودي وعلاقة بالصهيونية ، وهذا ما تناولْته عندما قلتُ إن هذا هو الوقت الذي يجب فيه على عرب إسرائيل أن يوضحوا أنهم لن يدخلوا هذا الفخ ، وما هو مقدار ارتباطهم بمفهوم الفلسطنة . لا يمكن أبداً أن تعيش الصهيونية والفلسطنة تحت قبة واحدة ، لأن الفلسطنة تعني الملكية – ملكية عربية – حتى في يافا وحيفا والقدس والكيبوتسات . على مرّ تاريخ إسرائيل عاشت هنا شعوب كثيرة ، لكن أكثرهم خطورة هو الفلسطيني . يجب توضيح الخط الواضح ، ومدى المقدار الذي نسمح به هنا ، وماهي الحدود .

س : هل تؤمن بإمكانية عودة العجلة إلى الخلف ؟ إن عرب إسرائيل منتمون تماماً إلى الشعب الفلسطيني ، وليس هناك أحدٌ منهم لا يصف نفسه بأنه فلسطيني .

ج : لست متأكداً من أن هذا صحيح مئة بالمئة . أعتقد أنهم في فخ ، لكنني أعلم أن بينهم قوى سياسية وثقافية يمكنها أن توضح – بدقة – الواقع والخطوط التي تصور انتماءهم السياسي . لا يسمح لهم اليوم بالكلام ، لأن هناك ضغوطاً عليهم ؛ سواء ثقافية أو غير ذلك ؛ هناك طبقات تسلم بوجود دولة إسرائيل ؛ خاصة الحزب الشيوعي ؛ إنه يحتفظ بالحبل مشدوداً من أجل مصالحه ، ولكنه يعلم أن الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي يستطيع التواجد فيها هي دولة إسرائيل ؛ لأنه يعرف جيداً ما هو مصير الشيوعيين في الدول العربية .

س : ألا يمثل وجود أقلية بمثل هذا الحجم الكبير تهديداً لوجود الدولة ؟

ج : هناك خطر بدون شك ، وسنضطر لأن نحدد سلوكنا على ضوء سلوك الأقلية التي تعيش بيننا . لديّ أمل في أن تكون هذه الأقلية ذكية ، وأن تدرك أنه ليس لدينا مكاناً آخر نذهب إليه .

س : إذن ما هو الحل ؟ هل نعطيهم مساواة في الحقوق ، أم الاندماج لنصبح دولة مثل بقية الدول التي في المنطقة ؟

ج : من السهل جداً أن نقول : فلنضم الجميع ، ولكنني لا أعلم ما إذا كان لدينا مقياس نفعل به ذلك . من أجل أن نرد على

هذا ؛ يجب أن نعلم ما هي الإدارة ؛ الإدارة لا تعني الحكم ، وإنما جهاز يهتم بالمشكلات ويحلها . المهم هنا هو ألا يعتقدوا أننا مجرد ظاهرة عابرة ، مثل الصليبيين . جلست ذات مرة مع صديق عربي ، وهو شخص مثقف جداً ... نظرنا إلى الوادي ! وقال لي : لقد اشترى يهوشع دوبنكين هذا الوادي ودفع أموالاً ؛ « لقد اشترى أرضاً وليس وطنا » . وقد آلمني هذا القول ، واستغرقني الأمر عشرة أيام حتى وجدت قرية كسولوت تابور - ايكسئيل اليوم - وقرية يضيع على حدود قبيلة يسنسخر ، وعرضت عليه الخريطة القديمة ، وهذا المثال يظهر المشكلة البعيدة المدى التي نواجهها . هذه القصة لن تنتهي خلال عشر سنوات بل إنها قصة طويلة جداً ؛ تتطلب الكثير من النظريات الثقافية ، ومعرفة كيفية الاندماج في البيئة ، وللأسف الشديد ! فإنني لا أرى اليوم في الإدارة الحاكمة من يفعل هذا .

٥ - حدشوت ١ / ٧ / ١٩٨٨

البرنامج الفكرى لرحبعام زئيفى (غاندى)

بقلم : ناتان زهافي

حدشوت ١ / ٧ / ١٩٨٨

بقلم : ناتان زهافي

البرنامج الفكري لرحبعام زئيفي (غاندي)

الوطن ليس هو فقط أرضنا الصغيرة .

بدءاً من هذا الأسبوع ظهرت حركة سياسية جديدة برئاسة رحبعام زئيفي ، سيدخل بها انتخابات الكنيست ؛ شعارها هو : أرض إسرائيل لليهود ، والعرب لهم الدول العربية .

وفي حديث أدلى به « غاندي » إلى إذاعة الجيش الإسرائيلي قال إن لديه برنامجاً فكرياً .

س : هل فكرة الترحيل – ترانسفير – ستجلب لك الأصوات ؟

ج : أولاً ، لم نستخدم لفظ – ترحيل – ولا مرة ، وإنما تكلمنا عن عملية تبادل سكاني ؛ وذلك ليس لوجود فارق بين اللفظين ، وإنما لأنني قلت لو كان هناك مَنْ تقلقهم كلمة ترانسفير لكنت على استعداد لأن استخدم تعبير « تبادل السكان » ؛ فالمهمُّ فقط أن يفهموا الفكرة . وفيما يتعلق بالرد على السؤال « أقول إن الفكرة ستجلب بالتأكيد أصواتاً لي ؛ لقد نشرت إحدى الصحف نتائج بحث أجرته ؛ اتضح من خلاله أن ٤١ ٪ من المواطنين البالغين في إسرائيل سوف

يؤيدون فكرة الترانسفير ، وفي رأيي أن هذه النسبة تمثل النصف ، والنسبة الحقيقية هي الضعف .

س : أشك في أن العرب سيرغبون في الخروج لو عرضت ذلك عليهم .

ج : لا يوجد عربي واحد سيرغب في الخروج من هنا برغبته وإرادته .

س : هل تنوي طردهم ؟

ج : لا ... هذا ما يقوله حزب آخر ، وهذا هو الفارق العميق والأساسي بيننا وبين هذا الحزب ؛ إنهم يرفضون رؤية الفارق .

س : إذن كيف ستحقق برنامجك ؟

ج : بطريقتين ؛ الطريقة الأولى : أعمال من جانب واحد يجب علينا القيام بها ، و من شأنها تشجيع الهجرة العربية من هنا ، والهجرة العربية - بشكل تقليدي - كانت سائدة ؛ ففي حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ هاجر عشرات الآلاف من العرب من الضفة الغربية إلى الدول العربية . وهذه ليست مصادفة ؛ لأنهم كانوا أكثر تفتحاً - بسببنا - وعندما وصلوا إلى الدول العربية ؛ استطاعوا أن يصبحوا موظفي بنوك ومدرسين ومستشارين في المجالات كافة . وكان السبب

في عملية الهجرة المباركة تلك هو الاحتلال الإسرا؛
أراضينا في يونيو ١٩٦٧ .

إذن نقوم أولاً بنشاط من جانبنا مثل المغناطيس السلبي لدرجة تجعلهم ينهارون ويضطرون إلى الرحيل ؛ ليبحثوا لأنفسهم عن حياة واستقلال في مكان آخر . أما الطريقة الثانية – وهي أكثر شمولاً – فتدور حول عقد تسوية بين الحكومات ، ولهذا ؛ لم أقل مرة واحدة إن عملية تبادل السكان ستتم بإرادة السكان ، وإنما قلت باتفاق بين الحكومات . وهذا الاتفاق سيتم مع حكومات عربية ، وقد سبق لحكومات عربية أن اتفقت على تبادل سكاني؛ فقد قاموا بترحيل نصف المليون مواطن من وادي النيل في مصر من أجل بناء السد العالي في أسوان . إذن كل شيء يمكن أن يتم باتفاق الحكومات .

س : هذه أول مرة تقفز فيها إلى الحياة السياسية ؛ في عشر السنوات الأخيرة حاولوا أن يهاجموك بسبب أخلاقك . ألا تخشى الآن أن يتغلبوا عليك ؟

ج : أولاً ، عندما أنظر إلى المرآة ؛ فإنني أرى شخصاً أخلاقيا جدا ، و ثانياً ؛ القفز لايكون إلى الماء و إنما إلى المستنقع ، وثالثاً ؛ كان منتظراً – عندما أنادي بما أنادي به – أن يخرجوا من

جحورهم بغرض التلويث والتشهير . لقد فعلوا هذا في الماضي ، ويفعلونه الآن ، وسوف يفعلون هذا أكثر في المستقبل . وهذا كله ليس سبباً يجعلني أقف في الجانب الآخر ؛ في حين أرى الهيكل الثالث على وشك الضياع .

٦ - هاارتس ٢٣ / ٧ / ١٩٨٨

تصميم سيؤدى الى كارثة

بقلم : ش . ز . ابرموف

هآرتس ٢٣ / ٧ / ١٩٨٨

بقلم : ش . ز . ابرموف

تصميم سيؤدي إلى كارثة؟

منذ أن وصل الليكود إلى الحكم وهو يحاول أن يبعد الخطر الكامن في القوة العددية المتزايدة للسكان العرب في أرض إسرائيل . ونسبة هذه القوة تصل إلى ٨٨ ٪ *، وهي في حالة تزايد منذ عام ١٩٨٤ ؛ حيث إن أغلب المواليد ينتمون إلى القطاع العربي . وقد أشار المكتب المركزي للإحصاء إلى أنه خلال اثنتي عشرة سنة سيمثل العرب ٤٥ ٪ من سكان إسرائيل ، ثم بعد ذلك تتساوى النسبتان ، وبعدها يصبحون هم الأغلبية .

وقد نظر رئيس الوزراء إسحق شامير إلى المشكلة الديموجرافية نظرة سخرية واستخفاف ؛ حيث قال : « فجأة يشعر البعض بالقلق على الطابع اليهودي لدولة إسرائيل ، ويبدي اهتماماً بمشكلتها الديموجرافية ! منذ بداية وجودنا كنا أصغر أمة في العالم وكنا نواجه دائماً مشكلة ديموجرافية » (٢٦ / ٧ / ١٩٨٧) . كما قال في فرصة أخرى : « إننا لانغمض أعيننا عن هذه المشكلة ، ولا نخاف منها » .

---

*هكذا ورد في النص العبري ، وهو رقم غير صحيح بالتأكيد والواضح من سياق العبارة أن ابرموف يستند إلى إحصاءات ١٩٨٣ ، وطبقا لمركز الدراسات الإحصائية التابع لجمعية الدراسات العربية بالقدس ؛ بلغت نسبة الفلسطينيين في مجموع سكان فلسطين في يونيو ١٩٨٣ نحو ٣٦٫٧ ٪ .

لكن ليس هذا هو رأي الكثير من زملائه ؛ فعضو الكنيست دان مريدور يرى أن الهجرة الكبرى من الشتات هي « مفتاح لحل جميع القضايا ، وإلا أصبح مستقبلنا يواجه غموضاً كبيراً » (٣٠ / ١٠ / ١٩٨٧) . وقال عضو الكنيست ايهود أولمرت إن « التهديد الديموجرافي يمثل خطورة على جميع أشكال حياتنا » - ولكنه لم يقترح حلا .

الآخرون الذين يخشون المشكلة اقترحوا حلولاً - ولن نتناول هنا مقترحات غوش أمونيم التي تدعو إلى إبعاد العرب أو تقليل عددهم - فقد قال زعيم حركة هتحياه ؛ البروفيسور يوفال نئمان إن « إخراج نصف المليون عربي من الأراضي المحتلة يجب أن يكون شرطا مسبقا لأية اتفاقية سلام ، وإذا لم يوافقوا فيمكن آنذاك أن نقلل من حجم السكان العرب ، أو على الأقل من تأثيرهم السياسي » (١٣ / ٨ / ١٩٨٧) . أما نائب وزير الدفاع ؛ ميخائيل ديكل - فإنه لا يوافق على أي من هذه الحلول ، وإنما يرى أنه « من أجل ألا تتحول المنطقة إلى برميل بارود ذي فَتِيل يتجه إلى الولايات المتحدة التي يهمها الاستقرار في المنطقة ؛ فإنه من الواجب على الدول الغربية الاهتمام الأخـــلاقي بترحيل السكان الفلسطينيين عن الضفة الغربية إلى المملكة الهاشمية ؛ فعن طريق الترانســفير فحسب يمكن حل المشـــكلة الفلسطينية» (٢٧/ ٧/ ١٩٨٧).

وسوف يقال إن الحل الذي يقترحه ديكل ليست له فرصة واقعية ؛ إلا أن دراسته تبين أنه يتسم بشيءٍ من الواقعية : فعلاً ؛ فقد انفجر برْميل البارود في شهر ديسمبر الماضي ، وأصداء الانفجار أصبحت تدوي في جميع أرجاء العالم منذ أكثر من سبعة شهور .

إن الدول الغربية لا تقول إن عليها « واجباً سياسيًّا وأخلاقيًّا للاهتمام بقضية ترحيل السكان العرب من الأراضي المحتلة » ، وهذا ما فَهِمَه جيداً واحـد من كبار المؤيدين لفكرة أرض إسـرائيل الكاملة (عضو الكنيست الأسبق تسيفي شيلوح) ؛ فهو يرى أن مشكلة عرب إسرائيل تمثل خطراً على وجود دولة إسرائيل في أرض إسرائيل ، وعلى طابعها اليهودي ، ولهذا ؛ فإنه يوصي بالترحيل – ليس طبقا لمـبادرة دولية ؛ على غِرار ما يقترحه ديكل – فقد كتب شـيلوح أن « التصميم الأعمى (للفلسطينيين) من شأنه أن يؤدي بهم إلى حرب أخرى تضطر فيـها إسرائيل إلى استخدام الترانسفير ؛ كضرورة عسكرية وديموجرافية في آن واحد » .

وطبقاً للمنطق ؛ فإن ديكل وشيلوح صادقان في أن فكرة أرض إسرائيل الكاملة – مع الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة ،

ونظامها الديموقراطي - غير قابلة للتحقق إلا عن طريق إبعاد السكان العرب من أرض إسرائيل . الأول يطالب بالحل عن طريق السلام ، والثاني عن طريق الحرب ؛ لأنه من الصعب على العرب أن يستمروا في تصميمهم الأعمى ، وعندئذ سيؤدي بهم الأمر إلى حربٍ أخرى تفتح الطريق أمام الترحيل ؛ « كضرورة عسكرية وديموجرافية » . صحيح أن كثيرين وفضلاء في المعسكر الآخر يخشَون أن ينتهي الوضع الراهن بحربٍ أخرى ، ولكن بالنسبة إليهم فإن هذا التطور يمثل مخاوف ، أما بالنسبة إلى رجال أرض إسرائيل الكاملة فتكمن في هذا التطور فرصة لحل « المشكلة الخاصة بوجود دولة إسرائيل في أرض إسرائيل ، وطابعها اليهودي » ؛ مثلما قال شيلوح .

هنا تنغلق دائرة الحلول التي يقترحها أقطاب فكرة أرض إسرائيل الكاملة ؛ من أجل المحافظة على الطابع اليهودي لدولة إسرائيل : في البداية تجاهلوا المشكلة ، ثم طرحوا بعد ذلك عدة مقترحات لحلها ، وعندما يجدون أن أحد الحلول غير صالح يطرحون حلا آخر ، وينتهي الأمر إلى الترانسفير « كضرورة عسكرية وديموجرافية » ؛ في أعقاب حرب سبَّبَها التصميمُ الأعمى للعرب .

وبالنسبة إلى منطق أقطاب فكرة أرض إسرائيل الكاملة ؛ لا

يوجد حل آخر ؛ حيث إن التواجد العربي في أرض إسرائيل سوف يتزايد ويتكثف ، لهذا ؛ يلقي شيلوح بحججه على التصميم العربي الذي سينتهي بحرب شرسة . وكثير من رجال اليمين يطرحون هذا الحل - بصوت هادئ أو همساً - والجميع يقولونه داخل حجرات مغلقة ؛ من باب الخجل .

والآن علينا أن نعترف بالجميل لشيلوح ؛ لأنه أخرج إلى النور الحل الوحيد - من بين حلــول المشــكلة الديموجرافية - المتبقي لدى معسكر أرض إسرائيل الكاملة الذي سيتم تحقيقه في الحرب .

وبالفعل ؛ فإن استمرار الوضع الراهن الإقليمي قد ينتهي بحرب . وعندئذٍ سيفكر الكثيرون والفضلاء : بسبب التصميم الأعمى مِنْ جانب مَنْ حَدَثَتْ هذه الكارثة ؟ !

٧ - هارتس ١٧ / ٨ / ١٩٨٨

ترانسفير من اجل السلام

بقلم : رحبعام زئيفى

هآرتس ١٧ / ٨ / ١٩٨٨

بقلم : رحبعام زئيفي

ترانسفير من أجل السلام

تحاول جريدة هآرتس مؤخراً - أو دائماً - أن تدعي أنني أطالب بتطبيق فكرة الترحيل على عرب إسرائيل ؛ حتى إن الصحيفة خصصت مقالها الافتتاحي يوم ٢٥ / ٧ / ١٩٨٨ لهذا الموضوع ؛ بدون أن تتحقق من حقيقة ما تقول .

لم يحدث قَطُّ أن طالبتُ بمثل هذه الفكرة ؛ لا مُشَافهة ولا كتابة . والصحيح أنني أنادي بفكرة الترانسفير (بمعنى تبادل السكان عن طريق الاتفاق والموافقة) لعرب الضفة الغربية وغزة . إنني لا أمتلك حق اختراع الفكرة ، ولكنني تلقيتها من معلميني وزعمائي في الحركة الصهيونية ؛ مثل بن جوريون الذي قال : « إن أي شك ، من جانبنا حول ضرورة هذا الترانسفير ، وأي شك في إمكـانية تحقيقه ، وأي تـردد في عـــدالته - قد يفقدنا فرصة تاريخية » . وهذا ما تعلمته أيضاً من بيرل كتسنلسون وآرثر روبين ويوسف فايتس وموشيه شاريت وغيرهم .

قِيل إن هـذه الفكرة غير أخلاقية . لكنني أرى أنه لا توجد فكرة أكثر أخلاقية من هذه الفكرة ، لأنها ستمنع وقوع الحروب ،

وتَهِب الحياة لشعب إسرائيل . وإذا لم تكن أخلاقية ، فإن كل الصهيونية وإنجازاتها طوال أكثر من مئة سنة ؛ غير أخلاقية . إن مشروع الاستيطان في أرض إسرائيل وحرب التحرير صاحبه أعمال نقل العرب من قراهم ؛ فهل كان هذا أخلاقيًّا وقتَّها ، والآن لم يعد كذلك ؟ إن النرويجي ؛ الدكتور نانسون – الذي اقترح الترانسفير بين تركيا واليونان بعد الحرب العالمية الأولى – مُنِحَ جائزة نوبل للسلام ، وهذا يدل على مدى أخلاقية الفكرة .

لقد استوعبنا في إسرائيل أغلبَ يهود الدول الإسلامية ، والآن جاء دور هذه الدول لتستوعب السكان العرب من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة . إن نقل هؤلاء إلى الدول العربية سوف يجنبنا جميعاً جزءاً من دواعي الحروب التي تقع على رءوس الفلسطينيين – خصوصاً – نتائجها .

في برنامج حركة (مولدت) التي أنتمي إليها ؛ جاء صدد قضية عرب إسرائيل ؛ أن المدنيين العرب بدولة إسرائيل الذين يريـدون الاندمــاج في حياتها والإخلاص لها ؛ سوف يلتزمون بجميع الواجبات المدنية ، وخاصة أداء الخدمة العسكرية أو الوطنية ؛ ثم فإنهــم سوف يتمتعون بالحقــوق كافة – فهل هذا مماثل لِمَا كُتب في جريدة هآرتس ؟ لقد قالت الصحيفة أيضاً (إن دعوة زئيفي

للترانسفير ليست في الحقيقة إلا دعوة للحرب) – من أين استنتجتم ذلك ؟ إننـي كيهودي وكصهيوني وكجـندي أؤيد السـلام ، ولكنني لن أقبل الاعتقاد بأن الانسحاب سيؤدي إلى السلام ، ولكن كجندي شاهد الحروب فأنا مع السلام . ليس لدى أحد منا أي مانع كي يتمنى السلام ؛ حتى تجاه هؤلاء الذين يصرخون للسلام في الشوارع ، أو يتخذون السلام كدعاية لحركاتهم . إنني أصدق أن نيّاتهم للسلام هي نيات صادقة ، ولكنني أخشى هذا العمى في استعدادهم للتنازل عن أجزاء من أرض إسرائيل التي تعتبر شرطاً لوجودنا الأمني . إن الذين يخافون من الحرب وعلى استعداد – في الوقت ذاته – للانسحاب ؛ سوف يواجهون بعد غد حرباً عاتية تبدأ من ضواحي القدس ومداخل جوش دان . ومن لا يفهم ذلك لا يفهم موقفنا ، ولا يعلم شيئاً عن الخارطة ، ولم يدرس العرب . إن الذين يعتقدون أن السلام سوف يتحقق عن طريق التنازل عن الأراضي المحتلة ، لا يدركون ما الذي يقوله العرب صراحة : يقولون إنه يجب تدمير دولة اليهود على مراحل . سوف يفلحون عن طريق الاتفاقيات في الحصول على ما يمكنهم الحصول عليه ، وبعدها يتجدد الإرهاب والضغوط – داخليًا وخارجيًا – ثم يطالبون بأمور أخرى ؛ مثل حق

العودة « للاجئي » ١٩٤٨ ؛ أي عودتهم إلى حَيْفا وعكا ويافا وصَفد واللِّد والرملة ، وإلى كل إسرائيل .

لماذا لا يطالبون بضمٍّ « المثلث الإسرائيلي » إلى الكِيان العربي الذي سيقوم في الضفة الغربية ؟ ! حتى الجليل به أغلبية عربية ! ولماذا لن يصبح مبدأ الأرض مقابل السلام غير منطقي آنذاك ؟ ! سيطالب العرب بذلك من خلال موقف قوة . سوف يحتفظون بالمناطق ذات السيطرة في أرض إسرائيل ، وفي جانبنا نحن سوف يستمر التخويف والفرقة .

مَنْ سيبدأ بالاستسلام والانسحاب اليوم سيظل هكذا غداً . وهناك منطقان في شعار آخر هو (السلام مقابل الخروج) ؛ والمقصود خروج كل اليهود من كل أرض إسرائيل ، وآنذاك ؛ ستنتهي جميع الحروب العربية ضد إسرائيل ؛ حيث سيتفرغون للحروب الداخلية فيما بينهم .

إن دولة إسرائيل التي ستتقلص مرة أخرى إلى حدود الخط الأخضر ستبدو للعرب ورقةً هشة ومُغْرية للهجوم عليها . أما إسرائيل القوية ذات العمق الاستراتيجي التي تحتفظ بالمناطق ذات السيطرة في أرض إسرائيل الغربية ؛ وبدون طابور خامس في المؤخرة - فستدرأ أيَّ خطر للحرب ، وربما تجلب لنا السلام المأمول . فمن أجل السلام والأمن ، نحن في حاجة إلى الأراضي المحتلة .

٨ - هاارتس ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٨

تحقيق الحلم الصهيوني يبرر ترحيل عرب اسرائيل

بقلم : افنير أرليخ

هآرتس ٢٤ / ١٠/ ١٩٨٨

بقلم : أفنير أرليخ

تحقيق الحلم الصهيوني

يبرر ترحيل عرب إسرائيل

بعد أن قرأتُ مقالاً بقلم جيورا نورمان ؛ لم أصدق أن يهودياً إسرائيليًّا ورجل كيبوتس وصناعة وطياراً مقاتلاً ؛ يسمح لنفسه بكتابة مقال يبعث على اليأس ، يرسم جميع نقاط ضعف موقفنا دون أن يذكر حلا صهيونيًّا لهذه المشكلة . إنني واثق بأن نورمان شهد وشارك في تحقيق الحلْم الذي حلمنا به جميعاً عندما كنا أربعمئة ألف يهودي في إسرائيل : نعيش بين عدد كبير من السكان العرب ؛ أقلية في أرض تحكمها إمبراطورية معادية أرادت التنكر لالتزامها بإقامة وطن قومي لليهود ، وفعلت – حقًّا – كلَّ ما في وسعها لتعزيز الاستقلال العربي في منطقة الانتداب . وهنا نجحنا في إنهاء حكم الإنجليز ، وصدِّ الهجوم العسكري من جانب كل الدول العربية ، وأقيـمت دولة إسرائيل . صحـيح أنها قامت وبها عيب قـال عنه بن جوريون إنه سيظل مؤلًا لنا على مرِّ الأجيال ، ولكن هذا الخطأ تم إصلاحه في حرب الأيام الستة .

لقد قمنا بجمع كل الذين نجَوا من المأساة النازية ، والذين

أرادوا المشــاركة في تحقيق الحلْم الصهيوني ، وأحضرناهم إلى هنا . كما ساعدنا بطرائق مختلفة يهود الشرق ؛ كي يحضروا إلى البلاد . وخلال سنتين أو ثلاث هاجر إلى إسرائيل مئات الآلاف من اليهود ؛ عاشوا في معسكرات أسوأ بكثير من مخيمات اللاجئين العرب حاليًّا : بلا مبانٍ ولا مياه ولا كهرباء ولا مجار ، ولا مصدر دخل ثابت . كل هذا حَدَث لأنَّ راية الفكرة الصهيونية ارتفعت على الصاري ، وباسمها قمنا بكل المطلوب من أجل العمل العبري ، وقاطعنا العمال العرب ، وباسم هذه الراية استخدمنا المنتوجات العبرية فحسب ، وقاطعنا كل منتوجات عرب أرض إسرائيل ، وباسم هذه الراية تبنَّى اليسار نظرية وينجيت وأقام البلماخ الذي لم يقتصر على الدفاع وإنما سار على نهج القول : «من قام لقتلك ، بكِّرْ بقتله» ، وباسم هذه الراية أقمنا المنظمات السرية اتسل وليحي ، وباسمها قتل العشرات في المشانق الإنجليزية ، وباسمها أُغرقت سفينة الأقطاب في ميناء حَيْفا بكل من عليها . لقد حدث كل هذا عندما كنا على استعداد لعمل كل المطلوب ؛ من أجل تحقيق حلْمنا الذي لا يوجد أصدق منه .

وهناك عمل رائع آخر قمنا به ، ويمكن اليوم القول بلا أي شك إن وضعنا ما كان ليُحتمل لولا ما فعلناه ؛ وأعني بذلك ترحيل عرب

إسرائيل في حرب الاستقلال ؛ فلقد هرب مئات الآلاف من العرب من المدن العربية يافا والرملة والقدس الغربية وبئر السبع وحَيْفا وصَفَد ومن عشرات ومئات المستوطنات العربية الأخرى . ونحن نَعْلَم اليوم أن دافع هروبهم كان الخوف من الذراع المقاتلة لليهود .

آنذاك ؛ لم يكن هناك من طلب إليهم الرحيل ؛ مثلما فعل موشيه دايان (الحكيم) في الخليل ؛ في حرب الأيام الستة . من الممكن أن نتخيل جَهَنَّم التي كنا نعيش فيها اليوم لو كان في حيفا ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف عربي ، وفي يافا أكثر من ١٠٠ ألف ، وفي اللد والرملة أكثر من ١٥٠ ألف ، و في القدس الغربية نحو ٧٥ ألف ، وفي صفد نحو ١٠٠ ألف ، وفي بقية أنحاء أرض إسرائيل – داخل حزام الخط الأخضر – نحو ٢٠٠ ألف آخرون .

إن عملية هروب العرب تناقض * مفهوم الترانسفير ، وقد حدث هذا بعدما أثرنا داخلهم الرغبةَ في الهروب ، وجعلناهم يدركون أن هذه أفضل خطوة يمكنهم عملها من أجل مستقبلهم . لقد حدث كل هذا لأننا آمنَّا بقيام دولة عبرية للشعب اليهودي ؛ دولة كانت بالنسبة إلينا هي أكبر مصداقية .

ومن أجـل هذا الحُلْـم ؛ فسنكون محقين إذا طلـبنا تنفيذ

* يعني من الناحية النظرية دون العملية .

ترحيل عرب إسرائيل المسلمين الذين يعلنون في تبجح أنهم يريدون تدمير الكيان الصهيوني في إسرائيل . يجب أن نصدقهم : لقد فعلوا هذا في بيافرا * وفي جنوبي السودان وفي أفغانستان والآن في العراق (ضد الأكراد) .

وبعد أن يتم تنفيذ هذا الترانسفير ؛ سيحل السلام في الشرق الأدنى . هذا هو الحل السياسي الإنساني لمشكلة عرب أرض إسرائيل ، ولتهويد أرض إسرائيل ، أما الطريق الآخر فسيكون مصحوبا بالدماء – إمّا نحن على أيديهم وإمّا هُمْ على أيدينا ! فلحظةَ أن يعتقد العرب المسلمون أنه في مقدورهم تدميرنا ، توًّا سيفعلون ذلك وبلا تردد ؛ مثلما فعلوا بآبائنا الذين ذهبوا إلى الخليل – ليس تحت اسم الصهيونية – كي يموتوا هناك في عامي ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، ومثلما كانوا يأملون في أن يفعلوا في ١٩٤٨ .

إذا لم نجد طريقة لنقلهم من هنا إلى الدول العربية الأخرى خلال ١٥ إلى ٢٠ عاماً؛ فإنهم سوف يقضون علينا وعلى آمالنا؛ خلال ثلاثين عاماً، وعندئذ سيظل

* بيافرا : جمهورية انفصالية أقامها مسلمو نيجيريا في مايو ١٩٦٧ ؛ بسبب الاضطهاد الذي تعرضوا له في ظل الحكومة الاتحادية التي استخدمت العنف للقضاء عليها حتى استسلم جيش بيافرا للقوات الاتحادية في يناير ١٩٧٠ .

الحلم الصهيوني وَهْماً في التاريخ اليهودي . وإذا حدث هذا فلن يصبح لأبنائنا وحفدتنا مكانٌ على سطح الكرة الأرضية ، وسيحتفل العرب بانتصاراتهم .

٩ – هاارتس ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٨

ترانسفير لمئة الف دون ان يقول أحد كلمة واحدة

بقلم : جدعون ليفي

هآرتس ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٨

بقلم : جدعون ليفي

ترانسفير لمئة ألف دون أن يقول أحد كلمة واحدة

إن الذكرى والتذكر هما أمر لطيف ! الهالة والتبجيل ... الصورة المشتركة والتاريخية مع موشيه دايان وإسحق رابين وغاندي على أبواب المدينة العتيقة ... الاحتلال والتحرير والانتصار الحلّو ... كانت تلك أيام بعد حرب الأيام الستة . والآن ؛ أصبح اللواء احتياط عوزي نركيس – وكان – آنذاك – قائد المنطقة الوسطى – بعيداً عن كل هذا . في أمريكا فقط مازالوا يتذكرونه ؛ عندما يقدمون هناك رئيس دائرة الدعاية بالهستدروت الصهيوني أمام جماهير المستمعين ؛ فيقولون عنه : الجنرال عوزي نركيس .

هذا الأسبوع استعدنا الجانب المظلم من هذه الهالة ؛ أتوبيسات في ميدان المدينة ، ولافتة مكتوب عليها « إلى عمان – مجاناً » ؛ في مقدمة هذه الأتوبيسات – جرياً على سذاجة القرويين – وعرضا لتمويل انتقال من يريدون الرحيل برغبتهم ، واتصالا هاتفيا يوميا من بنحاس سابير الذي يهتم بعدد الذين رحلوا اليوم ؛ إنه ترانسفير لنحو مئة ألف عربي ، في عهد لم يكن فيه هذا التعبير قد عُرِفَ بَعْدُ .

يقول عوزي نركيس : « على الجبهة الشرقية أمسكَت الحرب بإسرائيل من عنقها ، ولم يكن لدى الدولة الوقت للتفكير في هذه المعركة. خـلال أربعة أيام وجدت إسرائيل نفسَها على ضفاف نهر الأردن، وكانت مفاجأة ؛ لم يكن يتوقعها أحد ، ولم يكن مستعداً لها ، ولم تكن هناك خطط أو مشروعات مسبقة حول كيفية التعامل مع السكان . ففي الجيش – مثلاً – لم نجد خططاً أو مشروعات حول المشاكل التي ستظهر مع نهاية المعارك . وعندما كنت قائداً لكلية الأمن القومي – في بداية الستينيات – بادرتُ بعمل تدريب * حول ماذا يحدث لو قام الفلسطينيون بالقضاء على الملك حسين وقامت دولة فلسطينية في الأردن ؛ هل ندخل حرباً حول الضفة الغربية ؟ كان الهدف من التدريب دراسة سكان الضفة واقتصادهم ومشاكلهم . مَثَّلَ القوات الإسرائيلية في التمثيلية رحبعام زئيفي ، ومَثَّلَ الدول الكبرى والأمم المتحدة يعقوب هرتزوج ، ومثل دور إسرائيل أحد طلاب الكلية ، وكانت النتيجة المستخلصة من هذه التمثيلية هي أن ندخل الحرب . لكنها كانت التمثيلية الوحيدة ؛ لأن أشكول قام بعدها

---

* المقصود هنا ممارسة ذهنية يشارك فيها مجموعة من الأفراد ؛ من أجل التنبؤ بسلوك أطراف يجمعها موقف واحد ؛ لوضع أفضل الحلول العملية صدد تطور محدد قد يعرض لهذا الموقف .

بإلغاء الكلية ، وقال إنها كانت وكراً لحزب رافي . ويومَ أن انتهت حرب الأيام الستة وجدنا أنفسَنا أمام ثلاث ظواهر ؛ الأولى : جميع العرب الذين كانوا في منطقة بقاع الأردن - لاجئو ١٩٤٨ - تركوها وهربوا إلى الأردن - باستثناء لاجئي معسكرين أو ثلاثة بالقرب من أريحا - مجتازين نهر الأردن ؛ بدون أي تشجيع منا . كان عددهم نحو ستين ألفاً ، وكان هذا الرَّقْم يمثل تقريباً نحو عُشْر سكان الضفة الغربية . آنذاك ؛ كل هؤلاء قد عَبَروا نهر الأردن خلال أيام معدودات ؛ ففي شهر يونيو يكون النهر في أدنى ارتفاع له فيمكن عبوره بالأقدام . لم يحدث قط أن تمسكوا بالأرض ، وبتسعة عشر عاماً قضوها في المخيمات ، ولهذا ؛ هربوا . أمَّا الظاهرة الثانية ؛ فهي خروج جميع أنواع العرب من مختلف الأماكن ؛ بما فيها قطاع غزة إلى الأردن . وبعد يوم من انتهاء الحرب بدأ العرب من شتى الأنحاء يتحركون في اتجاه الأردن ؛ وصلوا إلى جسر ألنّبي الذي كان محطماً ، واجتازوه واستمروا في مسيرهم ؛ عائلات كاملة ذهبت وهي تحمل ممتلكاتها . كان بنحاس سابير يتصل بي مرتين في اليوم ؛ ليسأل : كم خرجوا اليوم ؟ هل عدد سكان الضفة يتضاءل ؟ لقد بدأ العدد بـ ٦٠٠ ثم ٧٠٠ شخص يوميًّا ، ثم بدأ في الانخفاض حتى وصل إلى عدة عشرات ، وبعد شهرين أو ثلاثة توقفت العملية .

عندما شعرتُ بهذه الظاهرة ، وضعتُ عدة أتوبيسات في القدس وفي مدن أخرى ؛ مكتوب عليها : « إلى عمان – مجاناً » ؛ كان الأتوبيس يحملهم إلى جسر ألنْبي المحطم ثُمَّ يعبُرونه . وقد نشرت خبر هذه الأتوبيسات عن طريق أشخاص كانوا على اتصال واسع مع السكان ؛ مثل : أعضاء النقابات المهنية ومكاتب التجارة ، وموجهو الرأي العام ، وكل مَنْ في مقدوره نشر الأخبار . وأعتقد أن سابير كان ينتظر عمليةَ خروجٍ أكبر من تلك . لكنني لا أعلم – تحديداً – ما الذي كان يفكر فيه ؛ برغم أنه ظل في البداية يعارض الحرب ، وبعد ذلك عرفت رأيه : لو أصبحت الضفة الغربية خاليةً لَمَا كانت هناك مشكلة في إعلان ضمها . في هذه العملية خرج ٢٠ إلى ٢٥ ألف شخص . وإلى جانب تخصيص هذه الأتوبيسات ونشر أخبارها ؛ لم نفعل أي شيء باستثناء إجلاء سكان أربع قرى في منطقة لترون ؛ فقد كان اقتناعي أننا سنخرج من الأراضي المحتلة ، ورأيت أن منطقة لترون – على الأقل – ستبقى في أيدينا . ومن أربع القرى خرج نحو ألفين أو ثلاثة آلاف ، وتم ترحيلهم إلى رام الله ، وبعضهم عبر إلى الأردن . كيف تم ذلك ؟ ذهبنا إليهــم ذات يوم وقلنا لهم : أيها الأصدقاء ؛ اذهبوا إلى رام الله . ولا أتذكر مــا إذا كنا قد

وضعنا سيارات مخصصة لنقلهم أمْ لا (!!) إن لديهم أقرباء في جميع الأنحاء ، وهم يذهبون إليهم . كل واحد ذهب إلى حيث يريد ؛ فلـم نكن نعترض على أحد أو نضرب أحداً . بعد ذلك قمنا بهدم هذه القـرى ، وهناك توجـد حاليا حديقة كندا . كما كانت هناك مبـادرات من قادة محليين * قامـوا بتفجير المـنازل وطرد المواطنين في طولكرم وقَلْقيلية ، واستولوا على المنازل ودمروها ، وكان على أهلها الخروج والرحيل ؛ إلى أن جاء موشيه دايان وقال : هذا لن يفيد في شيء ؛ فلن نستطيع هدم المدينة بأكملها؛ دعوهم يلعـبون . وكان هناك أيضاً حادثُ إخلاء الحي الغربي بالقرب من حائـط المبكى . إن كل واحد اليوم يتفاخر بمافعله ، ولكنها في الحقـيقة كانت فكرة قائد مـدينة القدس . لقد حضر إليَّ في التاسع من يونيو وقال : « عوزي ؛ إنني أقترح إخلاء الحي ، فليس به أكثر من ثلاثمئة أو أربعمئة ؛ حتـى نعِدَّه مكانا للصلاة ؛ ففي عيد

---

* القائد المحلي في علم الاجتماع هو شخص مندمج في مجتمعه المحلي ؛ يتوحد معه ويعلق كلّ أهدافه عليه ؛ سواء ما اتصل منها بالوطنية أو القيادة أو الهيبة . ومغزى عوزي نركيس من تحريف المفهوم الاصطلاحي لا يحتاج إلى إيضاح .

الأسابيع *سيحضر – بالطبع – عدد كبير من الجماهير للصلاة » ؛ فقلت له: « حسنا » ؛ وبوصفه صديقاً ؛ قال متسائلاً : « هل سأتشاور في الأمر مع رؤسائي حتى لا تحدث مشاكل ؛ لقد فكرت في حضور نحو ربع المليون شخص في عيد الأسابيع ؛ فكيف سأحافظ عليهم ؟ » . وافقت على الأمر ، وقررت ألا أعرض القرار على أحد . في اليوم التالي ذهبت إلى تيدي كوليك في البلدية ، ومساء السبت كان هناك اجتماع لمقاولين يهود ، وفي يوم الأحد كان الأمر منتهياً ؛ لقد تمّ إخراج الناس من بيوتهم ؛ ربما قُتلتْ إحدى السيدات ، وربما تكون قد ماتت من الصدمة ، ولكن لم يكن هناك أي عنف. لقد قلنا لهم اخرجوا فخرجوا ، وفي مناطق أخرى قمنا بتحديد منازل اليهود سابقاً ودخلناها ، وقلنا لمن فيها إن هذه المنازل كانت ملكاً لليهود ؛ فخرجوا ! كانت هذه هي الإجراءات الإسرائيلية التي دفعت بالعرب إلى الخروج. وبعد عدة شهور – عندما استقرت الأوضاع فعلاً –

---

* عيد الأسابيع : أحد الأعياد الدينية عند اليهود ؛ يوافق آخر مايو وأول يونيو كل عام ؛ يزعمون أنه يناسب وقت نزول التوراة والوصايا العشر على موسى ، وفيه تزوج الله بالشعب ! كما يسمى هذا العيد بعيد الحصاد ؛ حيث كان الفلاحون اليهود يقدمون فيه أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل ، وحديثاً ؛ يأخذ أعضاء المزارع باكورة إنتاج الأرض ويقدمونها إلى الصندوق القومي اليهودي !

جاءني بعض رجال الموساد ... ثم عرضوا على بعض الأفراد مبالغ مقـابل أن يتركوا ممتلكاتهـم ، ومبالغ أخرى كي يقيموا منازل جديدة . ولا أعلم كَمْ كان يبلغ عدد هذه المنازل ، لكن هذه المبالغ كانت ضمن المخصصات الحكومية من أجل هذا الأمر . البعض وافقوا ، ولكن التجربة فَشِلَت ؛ فلم تفلح إلا مع بعض العشرات ، إلى أن قُتلتْ إحدى بناتنا - كانتقام - في سفارتنا في پارَجواي ، وتم إيقاف العملية . وأمَّا الظاهرة الثالثة فكانت الرغبة في العودة ؛ فجأةً وجدنا أنفسنا أمام بعض الذين سبق لهم أن خرجوا ، وكانوا يريدون العودة في الشهر الثاني ؛ بأية طريقة . حاولوا عبور نهر الأردن ليلا ولكنهـم قتلوا ؛ لم نعرف ما إذا كـان هذا غزواً جديداً ؛ فقتلنا المدنيين (!) لقد تلقى الجيش أوامر بإطلاق النار على كل من يحاول عبور نهر الأردن ، لأنك لا تستطيع أن تميز في الليل ما إذا كان هذا مخرباً أمْ لا ؛ لا تستطيع أن تقول له في الليل قِفْ مَنْ أنْت ؛ هذا ما تعلمناه في الجيش . بعد عِدَة أسابيع توقفت هذه المحاولات ؛ فكَمْ بلغ عدد القتلى ؟ ... لا أدري ولا أستطيع التكهن ، ولكنهم كانوا عدة عشرات . لم تكن حكومة إسرائيل هـي التي قررت عمليات الطرد بأوامر منها ، وإنما كانت كلها مبادرات ذاتية محلية . إجماليًّا ؛ اعتقدُ أن عدد الذين تركوا الضفة الغربية وقطاع غزة - بطريقة أو

بأخرى – يبلغ نحو مئة ألف شخص . هناك من يهاجمونني اليوم ؛ متسائلين : لماذا لم تدفع بعرب الضفة إلى الأردن وعرب غزة إلى سيناء ؟ أَلَمْ تكن لديكم الفرصة المواتية لعمل ذلك ؛ مثلما كانت في أثناء حرب الاستقلال ؟ إن هذا السؤال يطرحه رجال غاندي ، والبعض في حزب العمل ذاته .

لم أرَ أنه من الممكن إجلاء كل السكان لسببين : أولهما سياسي دولي ؛ فإن ما كان يمكن عمله عام ١٩٤٨ ما كان يمكن عمله في ١٩٦٧ ، والثاني ؛ أن الأمر كله انتهى بسرعة كبيرة ؛ فما حدث حدث في المعارك ، ولكن بعد ذلك كان من المستحيل عمل شيء ، وأخيراً ؛ فمن الناحية الإنسانية ؛ ما كان في مقدورنا أن نفعل في ١٩٦٧ ما فعلناه في ١٩٤٨ (!) يمكن أن نتساءل – طبعاً : فلماذا قمتم باحتلال كل هذه الأراضي ؟ ... لأنه لم يكن لدينا الوقت لنقرر هل نحتلها كلها – بما فيها المدن الكبرى – أم بعض المناطق الحيوية فقط .. . لم يكن هناك وقت لنقرر ذلك » .

١٠ - دافار ٢٧ / ٩ / ١٩٨٧

حيروت بين نقل العرب ؛ وموشيه عميراف

بقلم : يوسي ملمان

دافار ٢٧ / ٩ / ١٩٨٧

بقلم : يوسي ملمان

حيروت : بين نقل العرب

وموشيه عميراف

« حسناً ؛ أنتم ترون الآن أنهم شركاء لكم » ؛ قالها وزير الخارجية شمعون بيرس ساخراً من عضو الكنيست جرشون شبيط من حزب هتحياه ، والوزير يوسف شابيرا من المفدال ؛ عندما قابلهم مصادفة في الأسبوع الماضي بمكتب رئيس الوزراء ولم يكن بيرس في حاجة إلى إيضاح ماذا يقصد بكلامه هذا .

أمّا الوزير عزرا وايزمن فكان شرساً كعادته : بعد عدة ساعات دخل وايزمن مكتب يوسي احيمئير ؛ المتحدث باسم مكتب رئيس الوزراء ، وقال في حضور بعض الصحافيين : « هل تتحاورون مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟ على الأقل أنا أفرض شروطاً » .

كان بيرس ووايزمن يقصدان بهذا تلك الاتصالات التي أجراها مؤخراً موشيه عميراف ؛ عضو مركز حيروت – مع فيصل الحسيني والدكتور سري نسيبة . إن هذه الاتصالات تثير الآن نقاشاً حاداً داخل حيروت ؛ كعادة هذه الحركة . فهناك عدد من أعضاء الكنيست من حيروت يطالبون بإقالة عميراف من حركتهم ، والبعض الآخر

يدين عميراف فحسب ؛ حين أعلن إسحق شامير رئيس الوزراء - بصورة قاطعة - أنه لم يكن على عِلْم بتلك الاتصالات التي أجراها عميراف . وهذا النفي لا يصرف الأنظار عن عدّة تطورات يمكن أن نراها كحلْقة واحدة ؛ وهي تصورات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأيديولوچية حيروت ونظرياتها السياسية .

فمنذ البداية لم تكن هذه الحركة تميل إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، وهذا أقل ما يمكن أن يقال . ولم تكن مصادفةً أن شعار الصهاينة الإصلاحيين كان « ضفتي الأردن لإسرائيل » فَهُمْ يَرون أن شرقي الأردن هو جزء من أرض إسرائيل الكبرى - المذكورة في التوراة - التاريخية المملوكة للشعب الإسرائيلي . ومنذ أن اعتلى عبدالله بن حسين الحكم في العشرينيات - تحت حماية خناجر الإمبريالية البريطانية - والإصلاحيون ينظرون إليه وإلى السلالة الهاشمية على أنهم مغتصبون ؛ استولوا على ما ليس لهم ، وهذه الكراهية تتوارثها الأجيال . ثُمّ إنّ بيغن لا يُعَدُّ من الذين يميلون إلى حفيد الملك عبد الله ، ولهذا السبب ؛ فضَّلَ أن يطرح الحكم الذاتي ، وأن يكون الزعيم الصهيوني الأول الذي يعترف بالصيغة التي اخترعتها منظمة التحرير الفلسطينية ؛ « الحقوق المشروعة للشعب

الفلسطيني – أو الذين يسميهم بيغن عرب أرض إسرائيل » ، وألا يدخل في مفاوضات مع الأردن .

وهذه الكراهية متبادلة بين الجانبين ؛ فزعماء الأردن – من جانبهم – لا يحبون التعامل مع زعماء حيروت ، ولهذا السبب ؛ رفض الملك حسين أن يلتقي خلال سبع السنوات التي حكم فيها بيغن أيًّا من وزراء الليكود ، كما أنه يرفض لقاء إسحق شامير ، فمازال الملك حسين يلقي بدلاله على حزب العمل .

وهكذا ؛ ظهرت في جيلنا مدرستان : الأولى يعبِّر عنها زعماء حزب العمل الذين فضلوا الحل الأردني ، والثانية هي التي يعبِّر عنها زعـمـاء حزب الليكود الذين يعارضون هذا الحل . وحتى مايو ١٩٧٧ – قبل تولي مناحيم بيغن السلطة لأول مرة – كانت نظرية حزب العمل هي المسيطرة : الحل الأردني الذي يقوم على مصلحة مشتركة للأردن وإسرائيل ؛ لمنع إقامة دولة فلسطينية . وكان هذا الحل هو العمود الفقري للسياسة الخارجية الإسرائيلية . لكن عشرات اللقاءات والاتصالات والاتفاقيات بين الجانبين لم تؤدِ في النهاية إلى سلام رسمي مع الأردن ؛ وعلى هذا حدث انخفاض كبير في أسهم الحل الأردني خلال السنوات الأخيرة . ومن جانب آخر ؛ فإن الأفكار

البديلة التي كان يطرحها الليكود بين الحين والآخر لم تؤتِ ثماراً : وضع بيغن مشروع الحكم الذاتي ، وحاول شارون أن يصنع روابط القرى ، ودخل حرباً في لبنان .

إن الحزبين الكبيرين يقفان الآن أمام غُصْن مكسور ، وفي الخلف تدق القنبلة الزمنية الديموجرافية . إن وجُهات النظر والأفكار والمشروعات لديهما ليست حيوية بل غير مناسبة للواقع . إنهما يواجهان صعوبة في إيجاد سبل تؤدي إلى الواقع السياسي القائم الذي يرتكز على القضية الفلسطينية ، ويبدوان – مثل الجنرالات – يحاربون حروباً قديمة ، ويستخدمون أسلحة صَدِئة ؛ على حين تنمو على الأجناب ظواهر اليأس ؛ مثل ذلك التأييد الذي يتزايد لفكرة نقل العرب إلى خارج الأراضي المحتلة ؛ تلك الفكرة التي تمتد من أقصى القطب العنصري لمئير كاهاناه إلى أقصى اليمين المتطرف لميخائيل ديكل .

وقد حـــاول موشيه عميراف أن ينضم إلى هـــذه الهوجة . إنه – كرجل حركة حيروت – لا يميل إلى قبول الحكم الهاشمي ، ويؤمن بعدم تقسيم أرض إسرائيل ، ولكنه – كإنسان يفكر – يدرك مدى خطورة الجمود السياسي ، واستمرار الوضع السياسي الراهن ، وحجم المشكلة الديموجرافية . والحل الذي اقترحه عميراف هو

محاولة الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية . كان الوزير شارون قد طرح في الماضي اقتراحاً مشابهاً ، لكن عميراف ذهب إلى أبعد من ذلك . كان شارون ينوي أن يعرض على عرفات صفقة ، وهي أن يساعده على إسقاط حكم الملك حسين ، وإنشاء دولة فلسطينية في الأردن ؛ في مقابل أن يتنازل عرفات عن الضفة - أمّا عميراف فهو يقترح شيئاً آخر ؛ فهو يوافق على أن تكون الدولة الفلسطينية التي تقوم في الضفة الغربية متصلة بإسرائيل . فإذا خلعنا عن اقتراح عميراف جميع الشعارات الرنانة وعبارات التجميل ؛ سنجد أنه يسعى ؛ بالفعل - أو أن مشروعه يؤدي - إلى إقامة اتحاد كونفيدرالي فلسطيني / إسرائيلي ، وتقسيم الحكم في الضفة ، وربما إدارتها إدارة مشتركة .

يجب النظر إلى أن ما فعله عميراف كان مرتبطاً بزيارة رئيس الوزراء لرومانيا ، واستعداده لتلقي رسالة من عرفات . لكن جميع المزاعم لن تفيد . لقد كان رئيس الوزراء على استعداد لأن يبعث في جنح الليل أحدَ مستشاريه (يوسي احيمئير) إلى منزل عضو الكنيست شارلي بطون ، وهي خطوة غنيّة عن التفسير ؛ فهناك خط متصل بين ما فعله موشيه عميراف و الخطوة التي قام بها رئيس الوزراء شامير . هذا الخط يدل على أنه بالرغم من الجدل والرفض ؛

إلا أن أعضاء الليكود - في داخلهم - أنه في غياب حلٍّ سياسي فإن المشكلة الديموجرافية ستكون سيفاً مسلطاً على الواقع الإسرائيلي كدولة يهودية ديمقراطية . فإذا كان الأمر كذلك فما الذي جعل زعيم الليكود إسحق شامير يرد بعنف كبير على أفعال عميراف ، ويطالبه بالاستقالة من حركة حيروت ؟ إنه سؤال ليس من السهل الردُّ عليه .

يحتمل أن استعداد شامير لتلقي رسالة من ياسر عرفات كان عملاً ظاهريا ، ومناورة أمام الرأي العام ، ومحاولة للبرهنة على أنه ليس من دعاة الرفض وقَوْلِ « لا » . ولكن يحتمل أيضاً أن شامير كان يقصد - بالفعل - تلقي رسالة من ياسر عرفات ؛ للوقوف على التطورات السياسية - حتى الصغير منها - والذي أثار غضبه ليس الاتصالات التي أجراها عميراف ، وإنما لأنها تسربت إلى وسائل الإعلام ، ومثل أي سياسي ؛ فإن شامير يرفض أن تُمَسَّ مصداقيته .

إن ما حدث يدل على أن التلون السياسي يسود أيضاً حركة حيروت ؛ واحد بالكلام وواحد بالأفكار : يعترضون بالكلام على منظمة التحرير أمام الأضواء ، ويجرون محاولات في الظلام للحوار معها . وأيًّا كان الأمر ؛ فإن خروج عميراف من حركة حيروت لا ينفي

أن الحركة لن تستطيع في النهاية التوصل إلى النتيجة القائلة بأن أمام إسرائيل مشكلة حقيقية يجب مواجهتها ، وهذه المواجهة لا تكون بالجدل الرخيص ، وإنما ببذل المزيد من الجهود والآراء الواضحة التي لا تقبل المناورة .

١١ – عل همشمار ١٤ / ١٠ / ١٩٨٧

وزير الدفاع : الطرد هو السلاح المفيد جدا

بقلم : داليا شاحورى

عل همشمار ١٤ / ١٠ / ١٩٨٧

بقلم : داليا شاحوري

وزير الدفاع :
الطرد هو السلاح المفيد جداً

وزير الدفـاع ؛ إسحق رابين الذي يسعى دائماً إلى الإبحار في التحليـلات السياسية – غير متحمس لهـا هذه المـرة . ربمـا أن السـبب في ذلك يرجع إلى قـلاقل الأيـام الأخيرة المليئة بالنشاط التخريبي وعدم الهدوء في الأراضي المحتلة ، وهناك احتمال آخر هو أن الوضـع السياسي لم يعد يحتل لديه الآن أفضلية أُولَى ؛ لأنه – في تقـديره – لا يحتل الأفضلية الأولى حتى لدى الدول الكبرى .

يرسم رابين صورة عالمية للموقف ؛ فيها تهتم الدولتان العظميان بالحوار بينهما ، وعندما تنظران إلى الشرق الأوسط فإنما تنظران إلى حرب الخليج . إن إسرائيل ليست مصدراً لنزا ع ، ولهذا؛ لا يعطيانها اهتماما . على كل حال ؛ فإن الحديث عن حلٍّ مفروض في المنطقة ، أو في أية منطقة أخرى – لم يَعُدْ له مكان في زماننا . إن الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتي لن يعملا بدلاً من الأطراف في المنطقة ، وهذا يعني بالنسبة إلى رجل مثل رئيس الوزراء ؛

إسحق شامير – وضعا مثاليًا : اجلسْ ولا تفعلْ شيئاً . ورابين لا يقول ذلك ، ولكن هذه هي النتيجة التي قد تُفْهم من كلامه ، وعلى هذا الأساس يجد صعوبة في الرد على سؤالٍ حول سببْ زيارة چورچ شولتز لمنطقتنا .

ومازال رابين يعارض سن عقوبة الإعدام ، ولكنه يريد أن ينفذ أحكـام الطرد على الذين يقومون بأعمال تخريبية في فترات متقاربة ؛ فالإجراءات القضائية تعرقل ذلك ، ولكنه لا يريد تغيير القانون .

وفي مقابل موشيه شحل الذي يقول إنه قد حانت ساعة الجِدٍّ للتقارب مع العراق ؛ فإن رابين يعتقد أن العراق لن تسمح لنفسها بإجراء اتصالات مع إسرائيل ، ولكنها لن تستطيع أن تعرقل خطوات مصر والأردن للتقـارب مع إسرائيل . إنه لا يقول إن الحرب العراقية / الإيرانية مفيدة لإسرائيل ، لكنه يرى أن هذه الحرب قلَّلت من خطر نشوب حرب بين الدول العربية وإسرائيل ، كما أتاحت لإسرائيل أن تخفِّضَ من ميزانية الدفاع ؛ بدون أن يهددها أي خطر عسكري مُلِح ، وهـــو ما أدى إلى تحسين الوضع الاقتصادي لإسرائيل . وبالقدر نفسه ؛ يمكن أن نفترض أن إنهاء هذه الحرب لن يُحدث تغييرات كبيرة في صورة الوضع .

بدأنا الحديث مع وزير الدفاع بتناول الاحداث التي اجتاحت الأراضي المحتلة في الأيام الأخيرة :

س : إن مهاجمة وقتل يغآل سحف في المدينة العتيقة طرح من جديد الجدلَ حول سن عقوبة الإعدام : لقد غير رئيس الوزراء إسحق شامير موقفه ، وهو الآن يؤيد فرض عقوبة الإعدام في « الحالات اللاإنسانية خاصة » – فهل حدث تغيير في موقفك أنت أيضاً ؟

ج : في هذه المرحلة لا أرى أن هناك سبباً لتغيير الأسلوب المعمول به حالياً . هناك إمكانية بالفعل في المحاكم العسكرية لإصدار عقوبة الإعدام ، ولكن التوجيهات الإدارية للنيابة العسكرية هي عدم المطالبة بهذا الحكم . إن الأسباب التي جعلتني في الماضي لا أؤيد هذه العقوبة لم تتغير بَعْدُ .

س : لقد حدث تغيير لدى شامير ؟

ج : ليس فقط لدى شامير . أمنون روبنشتاين يطالب بعقوبة الإعدام ، فالأمر لم يعد يتعلق باتجاهات سياسية .

س : ما هو موقف جهات الأمن ؟

ج : لا أعلم ما هو موقفهم حالياً . في الماضي لم يؤيدوا هذه العقوبة .

س : في أعقاب الاعتداءات الأخيرة عاد مرة أخرى السؤالُ – وبالطبع ؛ سيطرحه آرييل شارون على الحكومة : هل جميع الوسائل المتخذة ضد الإرهاب كافية ، أم يجب استخدام المزيد من الوسائل ؟

ج : إننا نعمل ضد الإرهاب بجميع الوسائل الممكنة في إطار القانون ، ومن وقت لآخر نقوم بتعديل الأساليب ، وأنا لا أرى حاليًا أيَّ أسباب لتغيير التشريع في هذه الأمور ؛ لأنه لا يوجد ما يؤكد لي أنه نتيجة لـذلك سـيطرأ تغيير على الوضـع . مما لا شك فيه أنه من السهل جدًا اتخاذ خطوات مثل الطرد ؛ فهذا سلاح أكثر فعالية .

حقيقة أننا نقوم حاليًا بعمليات طرد ، ولكن الإجراءات معقدة ، والسجن هو – في رأيي – عقوبة أقل خطورة – بالنسبة إلى جزء من الأعمال – من الطرد ومنع العودة إلى الضفة الغربية أو غزة (للحوار بقية تدور حول موقف القوتين العظميين من الصراع العربي / الإسرائيلي وممكنات التسوية ، والعلاقات الإسرائيلية / الأمريكية ، وعلاقة الكيان الصهيوني بحرب الخليج) .

١٢- دافار ١٧ / ٧ / ١٩٨٧

النقل الحقيقى : الحل النهائى بفلسفة مفجعة

بقلم : حاجى أشد

دافار ١٧ / ٧ / ١٩٨٧

بقلم : حاجي أشد

النقل الحقيقي :

الحل النهائي بفلسفة مفجعة

برغم كل التفسيرات والشروح ؛ فإن أحداً لم يفهم حقيقة اقتراح النقل الذي طرحه رحبعام زئيفي (الشهير باسم غاندي) . ليس مهما ما الذي قصده غاندي . فالذي يعنينا أنه أعطى بقوله متنفساً لخروج الطموح الذي في الوَعْي أو اللاوَعْي ، والذي يموج ويسود داخل الكثيرين جدا على جانبي الهضبة – الجانب الإسرائيلي والجانب العربي – لاستغلال الحرب القادمة من أجل عمل إصلاح وتعديل نهائي ودائم للنتائج غير المرضية لحرب الاستقلال التي لم تنتهِ ، ولكل الحروب العربية / الإسرائيلية السابقة . إن هذا التطلع مكبوت وقائم عند كِلا الطرفين : لا نعرف مداه أو طبيعته ، لكنَّه قائم ومُقْلِق ؛ انه يحوم ويحلق في الهواء كوميض السيف .

هؤلاءِ يريدون إعادة العجلة إلى الوراء ؛ « لتحرير القدس » من أجل الإسلام ، وإلغاء وجود دولة إسرائيل تماماً ، ورحيل اليهود إلى أقربائهم وأبناء دينهم في أمريكا ؛ حيث يوجد هناك مكان للجميع .

أمَّا أولئك فيعتقدون في داخلهم بأنهم – بعد كل الحروب والضحايا – مازالوا مغروسين بلا حلّ ؛ بلا سلام وبلا أمن ... من المهم أن نستعد هذه المرة كما يجب ؛ وفي المقام الأول ؛ من الناحية النفسية ؛ بحيث إذا نشبت حرب لا تنتهي مثل كل الحروب السابقة ؛ فهذه المرة يجب إنهاء العملـية تماماً إلى الأبـد ؛ يجب أن ترسم الحدود بصورة مرضية ، وأن يصبح الوضع الديموجرافي على مايرام ، وألا تكون هناك مشكلة فلسطينية بلا حل ؛ هذه المرة يكون الحل « نهائيًّا » .

هذا هو الطموح ! هذا هو الحلم ! لكن القلب لا يصرح به للفم . إلى أن جاء غاندي وطرح اقتراح « النقل بالرغبة ، ومن خلال اتفاق متبادل » ؛ لتنطلق القاطرة بعد ذلك .

إنه اقتراح غير جاد ؛ برغم العبارات المقتبسة عن بيرل ودوبنكين ، واقتراح لجنة بيل عام ١٩٣٧ ، وقرارات مؤتمر حزب العمال البريطاني عام ١٩٤٤ . فمن هو العربي الذي يريد « أن يستبدل برغبته » ؟ وما هي الدولة الكبرى التي ستنفذ لنا هذه العملية الملوثة ؛ مثلما تمنى مَنْ كان لهم أمل في الماضي ؟

لكن مجرد طرح مثل هذا الاقتراح – بكل ما يحمله من عدم الجِديَّة – ليس من قبيل الهَزْل كما يبدو ؛ فهو يملأ حيزا من الواقع .

وإن تبريره لأهـــم بكثير من النتائج العملية ؛ فهم – أولاً – يقومون بتعليم الجمهور – أو جزء منه – نظرية استحالة أن نعيش بدون الأراضي العربية المحتلة ؛ وفي ظل وجود مواطنيها ... حذارِ أن نتنازل عن الضفة الغربية وغزة ، ومن المستحيل استمرار مواطنيهم الفلسطينيين تحت الاحتلال إلى الأبد رغم أنفهم ... إن الأُفُقَ لا يحمل مظاهر موجة كبيرة من الهجرة من شـــأنها تغيير « الخريطة الديموجرافية » ، ويجب العثور على حل آخر .

واقـتراح غاندي ؛ وإنْ لم يكن يقصـــد هذا ؛ هو – في الحقيقة – الاسم الكودي للحرب القادمة التي سيكون هدفها الرئيسي هو إيجاد حل لمشكلة الضفة الغربية وغزة ، ولمشكلتنا الديموجرافية و للمشكلة الفلسطينية ، ولمشاكل الفلسطينيين والأردنيين ؛ كل هذا في ضربة واحدة . ستصبح لنا حدودٌ آمنة مع الأردن ، وستكون للفلســطينيين دولة مستقلة ذات سيادة شرقي نهر الأردن ؛ مع الملك حسين ... (هذه هي خطة آرييل شارون – وآخرين غيره – لتحويل الأردن إلى الدولة الفلسطينية المستقلة التي سوف تستوعب جميع الفلسطينيين الذين سينتقلون إليها ؛ برغبتهم أو قسراً) ، ومن أجل

التعجيل بهذه العملية ؛ يجب نقل أغلب الفلسطينيين عَبْر نهر الأردن ؛ برغبتهم أو بدون رغبتهم ، والأمر لا يحتاج إلى سيارات لوري ؛ فالمسافة سيراً على الأقدام تستغرق يوماً واحداً أو يومين - على أكثر تقدير - حتى بالنسبة إلى العجائز والأطفال .

إن مثل هذه الحلول من الممكن تنفيذها في زمن الحرب فحسب ، وشريطة ألا تكون حرباً ترفيهية ، إنما تدور رحاها داخل المراكز السكانية والمدن الكبرى ، وتتنوع فيها أشكال المعارك وميادينها ، وتستخدم فيها جميع الأسلحة ؛ بما في ذلك الأسلحة الكيماوية (يجب أن يوضـع هذا التصور للحرب القادمة في الحسبان ؛ حيث إن الجيش السوري يتدرب ويستعد لاستخدام الأسلحة الكيماوية في الحرب القادمة ضدنا ، كما أن الجيش العراقي أصبحت لديه خبرة كبيرة في استخدام هذا السلاح) . إن الأمر قد يصبح دماراً وقتلاً بمعايير لم نتعود عليها حتى الآن ؛ فمن المقدر أن عدد القتلى والجرحى في مثل هذه الحرب قد يصل إلى عدة عشرات من الآلاف . ومن المستحيل أن نستدل من الحروب السابقة على ما سيحدث في الداخل ؛ في حرب سيناء ، وحرب الأيام الستة ، وحرب يوم الغفران ؛ لم تُصَبْ مدننا ، ولم يسقط منا

- لحسن الحظ - عشرات الآلاف من القتلى والجرحى ، وكل الشواهد تنطق بأن هذا هو ما تريد سورية وبقية البلاد العربية أنْ يحدث لنا في الحرب القادمة ؛ إذا نشبت .

وفي خِضَمِّ هذا الخراب والقتل الجماعي ؛ قد يظهر في إسرائيل جو من اليأس المحرك لشهوة الانتقام ومعاقبة العرب الذين تحت أيدينا . وبمثل هذه الفلسـفة التي هي بمثابة كارثة ومأساة ؛ فإن كل الأمـور سـتأخذ شكلاً آخر ، وستفقد اقتراحات تدمير القرى وإحـراق المنازل وإطـلاق النار في الهواء للتحفيز على الهرب - كمثال - ما يكتنفها الآن من رهبة ونفور وخوف .

إن طرح فكرة « الانتقال عن رغبة » - في هذا الوقت - يعد تهيئة نفسية مسبقة ، وتمهيداً للنفوس لتقبل نتائج طرد مواطني الأراضي المحتلة بالقوة ؛ في الحرب القادمة التي ستكون بمثابة حرب يأجوج ومأجوج الإسرائيلية / العربية . إنه اقتراح سافر أو علني بإعداد « خطط العملية » المطلوبة توًّا ، حتى لا تضيع الفرصة عندما يحين الوقت .

إن الناس تميل إلى الإصابة بالتبلد والنسيان لمثل هذه المواقف المتطرفة في أثناء الحرب . وبعدما يتعوَّدون الخراب والدمار وسفك الدماء ؛ تنهار قيود الاتزان والأخلاق ، وتتزايد شهية الانتقام

والعقاب ضد كل ما يمكن أن تصل إليه الأيدي ؛ وسيكون الفلسطينيون ضحيةً جاهزة . هـذا ما حدث في الحرب العالمية الثانية ؛ سواء في يوغوسلافيا أو في الولايات المتحدة . إن إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي لم يكن وارداً في التفكير ؛ في بداية الحرب ، وإذا حكمنا الآن ؛ بعد ما يزيد على أربعين عاماً ؛ على بعض أحداث حرب الاستقلال ؛ فإننا نميل إلى نسيان الجو الذي وقعت فيه بعض الحوادث ؛ بعد أن أريقت دماء الآلاف من القتلى والجرحى ؛ بحيث لم يعد هناك من لم يفقد صديقاً عزيزاً أو قريباً غالياً وبعد أن دارت الحرب داخل المدن وضد المدنيين . في هذا الموقف المتطـرف أو شـبه المتطرف ؛ يمـكن أن تتحول خطة « النقل عن رغبة » إلى خطة « النقل بالقوة » التـي يمكن أن تنفذ فقط في حالة « عليَّ وعلى أعدائي » ؛ عندما تنهار جميع القيود والحدود ؛ ولكن ليس الآن .

من الواجب أن نحـذر من أن جمـيع الحلول والأفكار حول « الحل النهائي » بطرد مواطني الأراضي المحتلة (وربما أيضاً جزء من سكان الجليل) هي أحلام خطيرة جداً . إن طرد الفلسطينيين كليًّا أو جزئيًّا لن يضع نهاية لأي شيء ، وإنما سيكون – على الضد

– أداة بدء حرب انتقامية يخوضها العالم العربي والإسلامي كله ضد إسرائيل على مر الأجيال . إن ما يقترحه المتطرفون الآن في العالم العربي والإسلامي سوف يتحول إلى مطلب الجميع ، وسيكون هذا هو البرهان الأبدي على صدق وعدالة المطلب العربي بالقضاء على إسرائيل ؛ من خلال حرب متواصلة وأعمال قتل وتخريب جماعية . وفي أحسن الحالات ستكون هناك خطة عربية لـ « النقل عن رغبة » إلى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ ضد مواطني إسرائيل .

سيكون هذا هو النقل الحقيقي ، وربما يكون هو المبرر الأساسي لضرورة البحث عن بديل ؛ لتقليل الاحتكاك والكراهية بيننا وبين العالــم العربي / الإسلامي ، والحد من العرض الفلسطيني في جـوهر النزاع العربي / الإســرائيلي . إن مثل هذا الجهد يبذل الآن ، وهو يعطي ثماره ، ويجب الاستمرار وعدم الاستجابة لأفكار بلهاء مليئة بالكوارث يرددها ذئاب في شكل كباش .

١٣- هاارتس ٢ / ٣ / ١٩٨٨

الترانسفير قضية فى حاجة الى توضيح جماهيرى

بقلم : شلومو جازيت .

رئيس المخابرات العسكرية

مارتس ٢ / ٣ / ١٩٨٨

بقلم : رئيس المخابرات العسكرية؛

شلومو جازيت

« الترانسفير » قضية في حاجة إلى توضيح جماهيري

في بداية حديثي في الأمسية التي نظمها اللواء (احتياط) رحبعام زئيفي ؛ أوضحت أنني لا أنتمي إلى حزب أو حركة سياسية أيًّا كانت . لقد وافقتُ واستجبتُ لطلبه بالمشاركة في هذه الندوة ؛ لأنه أوضح لي أنها مناقشة فكرية مغلقة سيشارك فيه المؤيدون والمعارضون .

وقد أوفى زئيفي بهذا الوعد ، وليس هناك أي شيء أقوله ضده . فمن بين ستة متحدثين شاركوا في المناقشة كان هناك ثلاثة معارضين يرفضون مشروع الترانسفير .

إن فكرة الترانسفير ، أو نقل العرب الفلسطينيين إلى خارج أرض إسرائيل بإرادتهم ؛ ليست فكرة جديدة ، ولا تؤيدها جماعات هامشية في إسرائيل . إن الاستفتاءات العامة واستطلاعات الرأي تظهر أن الكثير من الإسرائيليين يؤيدون هذه الفكرة ويؤمنون بها .

إن زيادة التأييد والحماس لهذه الفكرة هي – في رأيي – نتيجة لأمرين مهمين لهما تأثير على الرأي العام والشخصيات السياسية أيضاً : الأمر الأول هو البروز الواضح لخطر المشكلة الديموجرافية / اليهودية في أنحاء أرض إسرائيل ؛ فقد جرى العُرْف لسنوات طويلة على وضع هذه القضية أسفل البِساط ، وجاء اليوم الذي تغلّل ويتغلّل فيه هذا الخطر في الوَعْي العام ، وأصبحت مثيرة لقلق الكثيرين ، أما الأمر الثاني – وهو جديد تماماً – فيكمن في صحوة مواطني الأراضي المحتلة وانتفاضتهم ، والقضاء على وَهْم إمكانية التعايش تحت ظلّ الحكم الأجنبي .

فلا عَجَب أنهم – في إطار هذا الموقف – يبحثون عن حلول ومنها الترانسفير ؛ حيث إنه الحل الوحيد المناسب للردّ على المشكلتين السابقتين . وفي رأيي أنه يجب مجاربة هذه الفكرة ؛ ليس بسبب المعاني السيئة واللاأخلاقية التي تتضمنها ؛ وإنما يجب مكافحتها لأنها نوع من الماشيحانية * الكاذبة ، ولكونها فكرة عابثة

---

* الماشيحانية ، Messianism : كلمة في العهد القديم ذات دلالة عامة ؛ تطور معناها فأصبح يشير إلى ملك من نسل داود يجمع شتات المنفيين ويعود بهم

غير واقعية وغير قابلة للتطبيق ؛ من شأنها أن تزيد خطورة الأوضاع الحالية .

ومن يعتقد أنه من الممكن مكافحة هذه الفكرة بلا مناقشة هو مخطيء* ؛ فالرفض القاطع بدون مناقشة وبدون بحث وبدون إقناع يزيد قوة موقف من يؤيدون الفكرة . إنَّ إلقاء الاتهامات والشعارات الرنانة والكلمات اللاذعة : نازيون ، فاشيستيون ... إلخ – لن تفيد ، وليست بالرد المفيد ، فليس بهذه الطريقة يمكن أن نحل مشاكلنا .

وعلى هذا يجب أن نقدم رداً موضوعياً ؛ يتطلب أن نوضح – بدءاً – أن فكرة الترانسفير مطروحة حالياً بصورتين مختلفتين ؛ كل منهما أكثر تطرفاً من الأخرى .

الصورة الأولى هي نظرية الترانسفير بالقوة .. ويؤمن أصحاب هذه النظرية بأنه في المستقبل غير البعيد ستظهر ظروف سياسية

= إلى صهيون ويحطم أعداء إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمةً له . والصهيونية بمعنى من المعاني أيديولوجية ماشيحانية ؛ فالصهيونيون جميعاً يؤمنون بفكرة العصر الماشيحاني ؛ بمعنى استرجاع العصر الذهبي في فلسطين عن طريق العنف والتكنولوجيا ؛ دونما انتظار للمبعوث الإلهي .

*المخطيء هو من أخطأ غير متعمد ، أمَّا المتعمد فهو الخاطيء .

وأمنية تسمح بمثل هذا الأسلوب القهري والمفروض ، وسوف يكون من الممكن إخراج الأغلبية العظمى من السكان العرب الذين يعيشون اليوم معنا (أكثر من مليونين من العرب) خارج حدود أرض إسرائيل . وأكثر من هذا ؛ فإن أتباع هذه النظرية – سواء كانوا يفصحون عن ذلك علناً أو يضمرون ذلك في داخلهم – يعتقدون بأنه يجب على إسرائيل أن تسارع إلى خلق الظروف التي تساعد على تنفيذ هذه النظرية .

أما الصورة الثانية فإنها تتضمن نظرية ترحيل العرب بإرادتهم . ويجري ذلك في إطار اتفاقية سلام شاملة بين إسرائيل والعرب ؛ توافق فيها الدول العربية من جانب ، والزعامة العربية / الفلسطينية من جانب آخر – على مشروع لترحيل السكان العرب الذين يعيشون داخل إسرائيل ، وإعادة توطينهم في الدول العربية ؛ وكلمة « بإرادتهم » تعني أن كل واحد سوف يتم ترحيله وفقاً لمبدأ حرية الاختيار الشـــخصي (هذا لم يحدث لا بين تركيا واليـــونان « السوديت » ولا بين الهند والباكستان) ؛ لكن القيادة السياسية وافقت على المشروع عندما أدركت أن هذا الترحيل هو الخيار السياسي المختار من بين عدة خيارات وبدائل ، وأنه عملية جراحية مؤلمة يكمن فيها الحل الحقيقي للمشكلة .

وإذا تم تحقيق هذا الاتفاق ودخل حيز التنفيذ ؛ فيجب ألا يرفض . وازدياد عدد الذين يؤيدون هذه الفكرة ينبع من سبب واحد : كل هؤلاء الذين رفضوا أو يرفضون - بشدة - فكرة الترحيل الإجباري ؛ تغريهم فكرة الترحيل الاختياري ومقتنعون بها ؛ فما الضرر في ذلك ؟

هذا المشروع يتبناه ... و ... والرئيس الأمريكي ومجلس الأمن (وأطراف أخرى لم أذكرها) ، وهذا شرط للموافقة على المشروع ؛ فلماذا نرفضه - نحن - ولما لا نشجعه ؟ (!!) .

يبدو أنه لا مفر من الدخول في نقاش مركز وجاد . إن فكرة الترحيل هي كلها ماشيحانية كاذبة ، ووهم بعيد عن الواقع ، وهذا الحكم ينطبق ؛ سواء على نظرية الترحيل الإجباري والقهري أو على نظرية الترحيل الاختياري . والمتفق عليه أن الترحيل الإجباري يمكن تنفيذه من الناحية « المنطقية » ؛ حيث قد تظهر بعض الظروف التي يمكن خلالها القيام بتحميل مليوني عربي على ظهور الشاحنات ، ونقلهم إلى خارج الحدود .

ولكن ، من الذي يعتقد أنه بهذه الطريقة سوف تنتهي المشكلة ؟ إذا كان هناك من يعتقد بذلك فهو خاطيء ومضلل . ربما يمكن بهذه

الطريقة إيجاد حل لكابوس المشكلة الديموجرافية ، لكننا سنجلب إلى أنفسنا العنف ، وتصعيد النزاع العربي / الإسرائيلي ؛ في ظل شروط وظروف لا توجد لنا فيها فرصة للصمود لفترة زمنية طويلة .

إن فكرة الترحيل الاختياري المتفق عليها تعد إغراءً ساحراً ، ولكن فرص تحقيقها – أي فرص وجود الزعامة العربية والدولية التي تسهم في ذلك – تساوي صفرا ؛ ولن أدخل هنا في تحليل وتفسير أسباب ذلك . إن من يكون على غير استعداد لأن يناقش فكرة الترحيل ؛ يسهم بذلك في نشر رسالة مئير كاهاناه ، ويشجع اليهود البسطاء علي تأييد فكرة هي في الواقع غطاء لبرنامج رهيب ومفزع لم نشهد مثله من قبل .

لم أكن شريكاً في إعداد قائمة المشاركين في الاجتماع الذي عقد في مقر صهاينة أمريكا ، لكنني استنتجت – على كل حال – أن كل من حضروا ليسوا من عينة واحدة . لقد قابلت هناك أناساً أعرف آراءهم ، من بينهم من يرفضون الفكرة ، ومن بينهم المتخبطون والحائرون ، وبالطبع ؛ لا أعلم هل أدى رأيي هذا إلى تغيير آراء بعضهم ؛ وإن كنت أترقب ذلك .

على كل حال – وبدون مناقشة مفتوحة وموضوعية – لا توجد فرصة في إمكانية التوصل إلى مكافحة هذه الفكرة .

وهذه هي الخلفية التي دفعتني إلى الاشتراك في الندوة التي أقيمت في مقر صهاينة أمريكا .

وهـذا هو الموقف الـذي أعمل طبـقاً له الآن ، وفـي المستقبل .

١٤ – هاارتس ١٩ / ٨ / ١٩٨٨

الترانسفير معناه الطرد

بقلم : زئيف شيف

هآرتس ١٩ / ٨ / ١٩٨٨

بقلم : زئيف شيف

الترانسفير معناه الطرد

لم يسبق لي قَطُّ أن تعرفت إلى رحبعام زئيفي (غاندي) الذي يقع مقاله بجريدة هآرتس « ترانسفير من أجل السلام » * – في شَرَك خطأ سَاذَج غريب ؛ فهو يحاول عرض اقتراح ترحيل عرب الضفة الغربية وغزة كفكرة أخلاقية عليا – وكأن الفلسطينيين في المناطق المحتلة على استعداد لترك ديارهم وأراضيهم – من أجل الحيلولة دون نشوب حرب .

إن اقتراح زئيفي مليء بالثقوب والعيوب ؛ فما هي نظريته ؟ ! إما نحن وإما هم ! إذا لم نطردهم فسوف يطردوننا ! إنها نظرية : « استيقظ مبكراً لتقتله » ! بمعنى آخر ؛ علينا أن نسارع ونفعل هذا قبل أن يطردونا هم ، وكأن الاختيار ينحصر فحسب فِيمَنْ يطرد مَنْ .

لا دهشة في أن أصحاب هذه النظرية يتسلحون بزَعْم أن

---

* نشرته هآرتس في ١٧ / ٨ / ١٩٨٨ ، وقد أعدنا نشره في هذا الكتاب بعد ترجمته إلى العربية .

العرب سبق أن طردوا في حرب الاستقلال ؛ فلماذا لا نكرر ذلك ؛ حتى نطرد بقيتهم من جميع أراضي إسرائيل ؟ إن زئيفي يقلب المفاهيم الأخلاقية رأساً على عقب ؛ عندما يقول إن طرد العرب وترحيلهم من أرض إسرائيل كان من الأهداف الأساسية للحركة الصهيونية منذ بدايتها ، و هذا بالضبط ما يقوله العرب ضد الصهيونية . إن زئيفي يلصق الخطايا بالحركة الصهيونية ؛ بقوله إنها كانت تنظر منذ بداية طريقها إلى طرد العرب كأمر أخلاقي ؟ ما معنى تبادل السكان بالاتفاق ؟ هل هو ساذج إلى درجة الاعتقاد بأن عرب أرض إسرائيل (اليوم عرب الأراضي المحتلة وغداً عرب إسرائيل) سيوافقون برغبتهم الحرة على ترك ديارهم ووطنهم ؟ هل هناك عربي فلسطيني سيوافق على أن يصبح عراقياً أو مصرياً أو يمنياً ؛ لأننا استوعبنا هنا في الخمسينيات – في وطننا – كثيراً من يهود العراق ومصر واليمن ؟ ثم إن المصريين أو العراقيين أو اليمنيين لن يوافقوا على استيعاب الفلسطينيين ، ولن يوافقوا على طردهم من ديارهم ؛ فماذا سيفعل زئيفي ورفاقه ؟ هل سيطردونهم بالقوة ، أم سيفتحون النار عليهم ؟ لا يوجد تشابه بين استئصال اليهود من الدول العربية وهجرتهم إلى وطنهم إسرائيل ؛ واستئصال الفلسطينيين من هنا ؛ حيث إن أغلب اليهود من

الطوائف العربية جاء إلى هنا عن رغبة ، لكن الفلسطينيين سيحاربون بأظافرهم ولن يتحركوا من فوق أراضيهم برغبتهم .

إن زئيفي يعلم هذا ، وهو يغطي نظريته « بالتبادل المتفق عليه » ، بيْدَ أنَّ المقصود هو أن ذلك سيتم في النهاية عن طريق الطرد بالقوة . إنني لا أعتقد أن هناك ما يغري إنساناً بأن يترك موطنه عن رغبة ، وإذا تكلمنا عن مثل هذه الإغراءات فإنني اقترح أن نرى مَنْ سيسارع أكثر في قبول عرض مالي ضخم ؛ من أجل أن يترك بلده ليقيم في مكان آخر ... هل المزيد من الفلسطينيين على استعداد للانتقال إلى العراق أو لبنان مقابل مبلغ من المال ، والتخلص من الأخطار المنتظرة في إسرائيل ، أَمْ أن الكثير من اليهود على استعداد للانتقال إلى لوس أنجليس وبروكلين مقابل وعاء من اللحم ؟ إن الإجابة معروفة ؛ للأسف ! وهي ماثلة في العدد الكبير من النازحين والهاربين من الهجرة إلى إسرائيل . إن النماذج التي قدّمها لنا زئيفي مثل ; بن جوريون وكتسنلسون وروبين وشاريت – ليست حقيقية ، كما أن الكلمات التي استعارها غير كاملة ؛ ففقدت مضمونها ؛ لأنها قيلت في ظروف مختلفة ؛ قبل قيام الدولة ، وفي فترات أخرى . كان بن جوريون وكتسنلسون يقصدان اقتراح الترانسفير الذي طرحه الإنجليز من خلال لجنة بيل عام ١٩٣٧ ؛

عندما تمَّ بحث تقسيم البلاد إلى دولتين : يهودية وعربية . والاقتراح الذي طرحه الإنجليز - آنذاك - قَبِلَه بن جوريون بعد حَيْرَةٍ شديدة ، ولكن في جميع الأحوال - ويجب أن ننتبه لهذا الفارق المهم - لم يقصد بن جوريون طرد العرب ، أو ترحيلهم إلى خارج حدود إسرائيل ، وإنما تبادل السكان بين الدولتين اللتين ستقومان على أرض إسرائيل .

أما تجربة السويدي نانسن فغير واقعية ؛ لقد فاز هذا الرجل بجائزة نوبل بسبب مشروعه للتبادل السكاني ؛ لأنه كان مشروع إنقاذ في الأساس ؛ حيث عاش يونانيون كثيرون في تركيا وأتراك قليلون عاشوا في اليونان ؛ فتمَّ تبادل السكان وعادت كل مجموعة إلى موطنها .

وهناك تناقض آخر وهو نظرة زئيفي لعرب إسرائيل ؛ فما معنى اشتراط العلاقة الطيبة والمساواة في الحقوق باستعدادهم لقبول جميع الواجبات المدنية ؟ وماذا يحدث لو لم يرغبوا في أداء الخدمة العسكرية مادامت الحرب بيننا وبين العرب مستمرة (وأنا واثق بأن الجيش وجهاز الأمن العام سيرفضان التحاق هؤلاء بالخدمة العسكرية في هذه الظروف الحاليَّة) ؟ هل سينتظر هؤلاء - أيضاً -

الطرد مثل عرب الأراضي المحتلة ، أمْ سلب حقهم في التصويت لانتخابات الكنيست مثلما اقترح الوزير شارون ؟ إنَّ الفصل الذي يقيمه زئيفي بين عرب الأراضي المحتلة وعرب إسرائيل هو فصل مصطـنع ؛ فعرب إسرائيل يمثلون حاليًّا نحو ٥٠ ٪ من سكان الجليل ، وزيادتهم الطبيعية لن تنخفض في المستقبل مقارنة بالزيادة الطبيعية ليهود إسرائيل ، وسيصل زئيفي في نهاية الأمر إلى اقتراح ترانسفير لطرد عرب إسرائيل ؛ فلا مفر من هذا طبقاً لهذه النظرة .

إن اليأس هو الذي يتكلم من حناجر أنصار الترانسفير ؛ فهم ينكرون بدءاً الديموجرافية ؛ إنها ظاهرة لا وجود لها - من وجهة نظرهم . إن زئيفي الذي يرى أن الديموجرافية هي أمر غير قائم وغير خطير ؛ يقترح فكرة الترانسفير . الآن يتكلمون عن تبادل سكاني بالموافقة ، وغداً سيتكلمون : هو وغيره من رفاقه ؛ عن الطرد بالقوة . إن هذه الخطة لن تمنع الحرب مثلما يتوهم زئيفي ، إنما هي نفسها لا تقبل التنفيذ إلا عن طريق الحرب . لهذا ؛ سيبحث أنصار الترانسفير عن أية فرصة للقيام بالطرد ، وستكون الحرب هي الفرصة . إنهم سيشتاقون - حتى في اللاوَعْي - إلى الحرب من أجل تنفيذ مشروعهم .

إنني لا أعتقد أن هذا الطرد سيكون ممكناً من عدة جوانب كثيرة . وإذا وصلنا إلى مثل هذا الموقف ؛ فلن نصمد أمامه ؛ كمجتمع وكدولة ؛ لا أخلاقياً ولا من نواحٍ أخرى .

١٥ - هاارتس ٢٣ / ٨ / ١٩٨٨

بنى جوريون والترانسفير

بقلم : شبتاى طيفت

هآرتس ٢٣ / ٨ / ١٩٨٨

بقلم : شبتاي طيفت

بن جوريون والترانسفير

لقد أسدى إلينا رحبعام زئيفي معروفاً ؛ عندما كشف مؤخراً عن أن نظرية « الترانسـفير بالموافقة » التي يتبناها قد أخذها عن بن جوريون وبيرل كتسنلسون وغيرهما . لقد توقعنا - فعلاً - من مثقف مثله أصـبح مؤخراً زعيماً سياسيًّا بفضل ذاته (مؤسس حركة مولدت ، وأحد الذين وضعوا برنامجها) ؛ توقعنا أن يقدم أكثر من برهان ومستند ، ولكن علينا ألا نشكو ؛ ففي هذه الأيام الغريبة ، نعيش تحت وابل كبيرٍ من الأفكار السياسية والكلامية . إن زئيفي أحالنـا إلى الصفحة رقم ٢٩٩ في الفصـل الرابع من مـذكرات بن جوريون التي قال فيها (إن أي شك من جانبنا في ضرورة الترانسفير ، وأي شك لدينا في إمكانية تحقيقه ، وأي تردد يساورنا في هذه الإمكانية - يعتبر تردُّداً في استغلال الفرصة التاريخية) . وبهذا علـينا أن ندرك أن بن جوريون قد وافق على « التبادل السكاني » ؛ على غِرار نظرية زئيفي ، حيث يتم نقل السكان العرب من مناطق الضفة الغربية وغزة إلى الدول العربية .

وبهذا ؛ إذا اعتقدنا أن زئيفي الذي يشهد على نفسـه بأنه قد

تعلم على أيدي آباء حركة العمل - فإنه يقصد أنه قد أخذ عنهم رؤيتهم الإنسانية الواسعة التي يكمن فيها حب الإنسان والمساواة والحرية . وهكذا ؛ جاءت هذه الفقرة السالفة الذكر لتعلمنا أننا أمام حالة سرقة رأي ؛ حيث إنه لا وجود لأي تشابه بين برنامج حركة مولدت و موقف بن جوريون .

لقد أخفى زنيفي في إحالته أن ما قاله بن جوريون كان يتعلق بنتائج لجنة « بيل » عام ١٩٣٧ ؛ ثمَّ فإنه يخفي أو يتجاهل - عن قصد - أسس رؤية وتراث بن جوريون ؛ فلجنة بيل التي تبنتها حكومة بريطانيا لفترة ما ، وتبنت توصياتها كسياسة رسمية لها - اقترحت تقسيم أرض إسرائيل إلى دولة يهودية ودولة عربية ، مع تبادل في الأراضي والسكان : بخصوص تبادل الأراضي لم تكن هناك مشكلة ، على حين أن عملية تبادل السكان كانت مشكلة معقدة وصعبة ؛ حيث كان سيصبح في حدود الدولة اليهودية المقترحة ٢٢٥ ألف عربي ، مقابل ١٢٥٠ يهودي فقط في حدود الدولة العربية . بعد تخبطات استمرت نحو الشهر ؛ توصل بن جوريون إلى نتيجة تقول (إننا لم نرغب قَطُّ في إزاحة العرب ، ولكن ؛ بما أن إنجلترا تعطي جزءاً من البلد الذي وعِدْنا به لدولة عربية - فإنه من الحق أن ينتقل العرب الذين في دولتنا إلى الجزء العربي) - وردت هذه العبارة في

خطاب كان بن جوريون قد أرسل به إلى ابنه . ثمَّ فإن بن جوريون تناول – في تلك الظروف – عملية تبادل السكان على أنها عملية تحويل ونقل (ترانسفير) .

وقد أخفى زئيفي في هذه الفقرة حقيقتين أساسيتين : أولا ؛ الترانسفير الذي ألقاه على عاتق بن جوريون هو اقتراح من بريطانيا العظمى ؛ حيث إنها احتاجت بوضعها الانتدابي إلى موافقة عصبة الأمم . حتى لو كان الأمر كذلك ؛ فإن بن جوريون وافق على الترانسفير إذا كان سيتم بالإرادة الحرة ؛ فقد كتب في مفكرته في نوفمبر ١٩٣٩ (إنني لا أؤمن بالترانسفير القهري ؛ ليس لأنه أمر غير ممكن أبداً وإنما لأن إنجلترا لن تفعل هذا) . إنه بذلك كان يرى أن إنجلترا ليست فحسب دولة أكبر في مقدورها أن تفرض الترانسفير ، وإنما أيضا مِفْتاح الرأي العام العالمي الذي سيوافق على هذا العمل . لقد كان في مقدور زئيفي أن يرى في نفسه من تعلم فعلاً على أيدي بن جوريون لو طالب اليوم بالترانسفير الذي تقترحه الولايات المتحدة ، وتوافق عليه الأمم المتحدة ، ويقبله العرب ، لكن زئيفي حريص على استخدام عبارة « ترانسفير بالموافقة » ؛ من دون أن يوضح ماهي الطريقة أو القوة التي تمكّن من الحصول على هذه الموافقة .

الحقيقة الثانية هي أن الحديث – في ١٩٣٧ – كان يدور حول تبادل الأراضي والسكان بين الدولة اليهودية والدولة العربية اللتين ستقومان في داخل حدود أرض إسرائيل الغربية ، في حين يرفض زئيفي تماماً قيام دولة جديدة بين الأردن وإسرائيل ، ويطالب صراحة بـ" ترانسفير بالموافقة " ؛ يتجه إلى الدول الإسلامية .

إنه يُحمِّل اسمَ بن جوريون عبثاً ، حيث إنه لايحاول أن يشير في إحالته إلى الترانسفير داخل أرض إسرائيل الغربية ، ربما حتى من دون أن يدرك أن بن جوريون قد رفض تماماً الترانسفير إلى خارج الحدود، فمنذ أن ألغت حكومة بريطانيا من جدولها اقتراح التقسيم الذي أثمرت عنه لجنة بيل ؛ رفض بن جوريون تماماً أي اقتراحات خاصة بالترانسفير ، فعندما كان في الولايات المتحدة (١٩٤١-١٩٤٢) عارض مشروع الترانسفير إلى العراق ، ورفضه أيضاً أمام الزعماء اليهود والمسئولين الأمريكيين الذين أيدوه ، وظل متمسكاً بهذا الاقتراح . كما يحمل زئيفي عبثاً اسمَ بيرل كتسنلسون، فقد فكر بيرل ؛ آنذاك (في نوفمبر ١٩٤٢) في عملية ترانسفير عادلة – وتتم بالاتفاق – تقضي بتبادل السكان من خلال علاقات الجيرة ، واتفاقيات سياسية بيننا وبين الدول المعنية .

وقد أصرّ بن جوريون على رفضه هذا حتى بعد أن وافق حزب

العمال البريطاني عام ١٩٤٤ على فكرة الترانسفير ، وحتى بعد أن أعطاه عضو البرلمان الإنجليزي المتعاطف مع الصهيونية ، ريتشارد كروسمان – صلاحيةً أخلاقية . إنّ بن جوريون صاحب العين الثاقبة والملاحظة الدقيقة أدرك أنه لا توجد أية فرصة لتنفيذ الترانسفير عن إرادة ، وأن الفرصة ضعيفة أمام تنفيذ الترانسفير بالقوة بواسطة دولة أكبر ، وكان مشمئزا من أي ترانسفير قد نفرضه بالقوة.

لو كان زئيفي متعمقاً في نظرية بن جوريون – حقًّا وفعلاً – وليس مجرد مقتبس لبعض الرذاذ من كلامه ، لخدمة حركة مولدت – لأدرك بالقطع ذلك الفارق الذي بين أفكار الترانسفير التي طرحت قبل قيام الدولة – عندما كانوا مازالوا يؤمنون بطريق السلام – و الأفكار التي ازدهرت مؤخراً ؛ بعد أربعين عاماً من قيام الدولة وحرب الاستقلال ، فلقد أظهر بن جوريون إخلاصاً نموذجيا ، حتى بعد احتلال الضفة الغربية وغزة في عام ١٩٦٧ ؛ حيث دعا إلى المحافظة على « الطابع اليهودي » لدولة إسرائيل ، وبهذا قصد إعادة الأراضي المحتلة وعدم ترحيل سكانها ، أي رفض الترانسفير . والدليل أنه في مايو ١٩٤٧ – عندما كان بن جوريون – عمليًّا – وزيراً للدفاع – كان واضحاً له تماماً أن الدولة ستقوم بالحرب ، وبرغم هذا رفض فكرة الترانسفير . وقبل فترة قصيرة من قيام

حزب الاستقلال قال لأعضاء حزبه : « إنني أقول إن لنا حقًا في أرض إسرائيل الغربية كلها ، لكنني لا أقول مثل كروسمان ؛ إنه يجب ترحيل العرب . لقد أعلن حزب العمال البريطاني أنه يوافق على ترحيل العرب أمًا نحن فلا نوافق على هذا لأسباب كثيرة ؛ أسباب سياسية ؛ فهذا الأمر غير ضروري لتوطين عدة ملايين من اليهود . إنه من الأفضل ألا يكون هنا عرب ، ولكن يمكن أن يعيش العرب هنا ، وأن يتم توطين أربعة ملايين يهودي . إننا لم نطالب بترانسفير ، وعندما نطالب بحقنا على هذه الأرض ، سيكون ذلك - دائماً - مع وجود العرب فيها » .

من خلال هذه العقيدة قام بن جوريون بصياغة الصورة الأخيرة لوثيقة الاستقلال ؛ حيث أكد فيها أن الدولة ستعمل على المساواة في الحقوق اجتماعيا وسياسيا « ... لجميع مواطنيها بدون التفرقة بسبب الدين والنوع والجنس ... » ، وتقوم على أسس الحرية والعدل والسلام (طبقًا لنبوءات أنبياء إسرائيل) ، وبهذا وضع جداراً أمام أية ثغرة لأفكار الترانسفير ، إلا إذا جاء زئيفي وقال لنا إنه تعلّم على أيدي الأنبياء ، وإن لهم فكراً آخر !

١٦ - هارتس ٤ / ٩ / ١٩٨٨

الترانسفير من الخيال الى الواقع

بقلم : امنون روبنشتاين

هآرتس ١٩٨٨/٩/٤

بقلم : أمنون روبنشتاين

الترانسفير من الخيال إلى الواقع

إن التبرير الذي يحرك وزير الدفاع - ومعه الليكود وآخرون في المَعَرَاخ - للاستمرار في طرد القوى الوطنية الفلسطينية ، هو تبرير واحد : الطرد هو الإجراء الرادع لقادة وزعماء الانتفاضة . وهذا الاعتقاد يستند إلى الخبرة المهنية لأولئك الذين لم يتنبئوا بالانتفاضة ، ولم يخمنوا - بعد اندلاعها - ما هي أبعادها واستمراريتها . ومما لا شك فيه أن عقوبة الطرد تعتبر من أقسى العقوبات ، وبسبب خطورة هذه العقوبة ؛ فإن إسرائيل تصطدم برد فعل عدائي ومؤلم ؛ حتى من جانب أصدقائها ؛ فلا توجد - تقريباً - أية دولة أو هيئة قضائية لا ترى في أعمال الطرد خرقاً صارخاً لاتفاقية چينيڤ التي وَقَّعَتْ إسرائيل عليها . صحيح أن المحكمة العليا قالت إن اتفاقية چينيڤ غير ملزمة لنا مادام الكنيست لم يصدق عليها ، وإن عمليات الطرد التي تتم لا تتعارض مع هذه الاتفاقية ؛ إلا أن هذا الرأي غير مقبول خارج إسرائيل .

إن الرأي الأول ليس متصلاً بالموضوع أبداً ؛ فهو يعني أن إسرائيل قد خرقت تعهدها الدولي ؛ لأنها رفضت إصدار تشريع

يتناسب مع (وينبع من) توقيعها على اتفاقية چينيڤ . وبالنسبة إلى التفسير الذي يسمح بالطرد طبقاً للاتفاقية ؛ فإنه لا يلقى اعتراضاً لدى الدول الخارجية فحسب ، وإنما أيضاً لدى كثير من القضاة ؛ ومنهم القاضي حاييم كاهان ، وكاتب هذه السطور ؛ حيث نختلف مع موقف الأغلبية في المحكمة العليا .

ولكن الجدل القانوني كله هامشي ؛ حيث إن كل ما قالته المحكمة العليا هو أنه مسموح بالطرد . أما مسألة « هل الطرد ضروري ، وهل هو أمر حكيم ومفيد ؟ » فقد ظلت كلها في مجال الموقف السياسي لوزير الدفاع والحكومة كلها . ونظرة متزنة تشير إلى أن استخدام صلاحية الطرد يؤدي إلى خلق ميزان سلبي بالنسبة إلى إسرائيل . ولندرس بعض جوانب هذا الميزان :

□ إن أعمال الطرد لم تعد رادعة مثلما كانت في الماضي . والسبب في ذلك بسيط ؛ وهو أننا لا نتعامل مع حفنة من المحرضين وإنما نواجه انتفاضة شعبية واسعة ؛ فإذا سقط غصن واحد نبتت عشرة أغصـان بدلاً منه . إن كل من لديه عقل ، وقرأ فعلاً في التاريخ ؛ في مقدوره أن يقول ذلك للخبراء العسكريين الإسرائيليين .

□ بما أن المطرودين غير ملزمين بفترة طرد معينة ؛ فليس هناك ما يردعهم إذا فكروا في الانضمام إلى حملة الدعاية

والتحريض التي تشنها منظمة التحرير ضدنا في أنحاء العالم .

□ هذه الدعاية تخلق تحولاً بطيئاً – لكنه مهمٌ – داخل الدول الغربية ، وسبَّبت توتراً في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لم نشهد مثله من قبل . وفي السوق الأوربية المشتركة – وهي الهدف الرئيسي للصادرات الإسرائيلية – وفي دول أوربا ، يوجد لهذا التحول مغزًى اقتصادي لا يشعر به سوى الأسوياء ، ولا يحس به الأعمى . ولهذا السبب ؛ كان يجب رفض نصيحة الخبراء الذين يدفنون رءوسهم تحت أرض الواقع السياسي التي تعمل إسرائيل عليها .

□ الأسوأ من كل هذا هو أن أعمال الطرد المتتابعة تغذي وَهْمَ الترانسفير في الداخل ؛ ذلك الوهم الذي خلقه الثنائي كاهاناه – زئيفي . إنها لحقيقة أن إسحق رابين وشمعون بيرس بعيدان عن هذا الوَهْم ، ويشمئزان من الترانسفير ومن مؤيديه ، ولكن يبدو أنهما لا يدركان نتائج أعمالهما . إن فكرة الترانسفير تزداد قوة كلما أصبحت أعمال الطرد تتم بشكل روتيني ، والحل الوحيد هو التخلص من هذه الظاهرة ؛ لأن البداية كانت بالزعماء ثم امتدت إلى المحرضين ، وفي النهاية ستنتهي بطرد الجميع .

□ أما قمة الغباء فهي تجاهل حقيقة أن من مصلحة إسرائيل في النهاية ؛ التوصل بطريقة أو بأخرى إلى تسوية مع الزعامة

الشعبية ؛ فهذه التسوية المؤقتة ستتيح التقليل من الاحتكاك اليومي بالمواطنين ، وإخراج الجيش من مناطق التجمعات السكنية ، وإدارة شؤونهم بأنفسهم ؛ كمرحلة انتقالية ؛ إلى أن تتم المفاوضات حول السلام . وهكذا ؛ فإن طرد هؤلاء الذين يمكن التوصل معهم إلى تسوية من هذا النوع ؛ يوسع دائرة العنف والكراهية ، ويضعف فرصة التوصل إلى أي تفاهم .

بالطبع ؛ ستؤيد المحكمة العليا أوامر الطرد الجديدة كما أيّدتها من قبل . ولكن ؛ ما هي العلاقة بين هذا التأييد والميزان السلبي بالنسبة إلى إسرائيل ؟ من جانب ؛ ليس من الصحيح أن الطرد يردع العنف ويضعف الاضطرابات ، ومن جانب ثانٍ ؛ فإن كل التبريرات الأخرى تشير إلى أن الطرد هو عمل استبدادي ، وغير مفيد ، وضار لإسرائيل ، ونافع لأعدائها .

١٧ - هاارتس ١ / ١٠ / ١٩٨٨

تطور فكرة الترانسفير فى الفكر الصهيونى (١)

بقلم : شبتاى طيفت

هآرتس ١ / ١٠ / ١٩٨٨

بقلم : شبتاي طيفت

تطور فكرة الترانسفير في الفكر الصهيوني (١)

قامت الصهيونية منذ بدايتها كحركة لها هدف واحد هو نقل الشعب اليهودي إلى أرض آبائه ؛ أرض إسرائيل ؛ من جميع أنحاء الشتات في المنفى . وإذا كان الأوائل ؛ أحبّاء صهيون ؛ قد طالبوا دائماً بالرحيل والتوطن فإن هرتسل رأى في حلمه أن الشعب اليهودي كله قد قام وهاجر في موجة واحدة أكبر ؛ أي ترانسفير ذاتي وإرادي . لقد وثّق هرتسل باليهود وبأنهم – مع سماع ندائه – سوف يهبّون هبةَ رجلٍ واحد ويندفعون إلى أرض إسرائيل ، ولهذا ؛ أجّلَ نشر كتاب « دولة اليهود » إلى أن تنضج خططه بالنسبة إلى إنشاء شركة الملاحة الصهيونية ؛ فلقد أراد أن تذهب أموال وأرباح هذا المشروع إلى جيوب اليهود وليس الأغيار .

لقد تنبأ هرتسل برحيل طوائف يهودية كاملة من أوربا وغرسها كما هي في أرض إسرائيل ، وهكذا ؛ يتجنب اليهود آلام الوداع وبعض معاناة التأقلم في موقعهم الجديد . لقد توقع أن (الأحبّاء القادمين سيأخذون معهم حتى موتاهم) ؛ ليدفنوهم في هذه الأرض ؛ فهناك سفن خاصة أطلق عليها اسم « صندوق الموتى

العائم » سوف تبحر في الممرات والمسارات البحرية ؛ وبذلك يكون الرحيل والاقتلاع من المنفى نهائيًا وتامًّا ، لكن تسلسل الأجيال لن ينقطع ، وترسيخ الجذور في أرض الأجداد سيكون عميقاً . ويبدو أن تنبؤ هرتسل هذا قد حظي بتناول – مقصود أو غير مقصود – للشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي قال في إحدى قصائده إنَّ على الإسرائيليين أن يحملوا موتاهم معهم ويرحلوا . ومن المنطقي – بالنظر إلى الماضي – أن تظهر فكرة الترانسفير اليهودية التي كانت فكرة عامة وشاملة في فكر هرتسل ؛ من بعده – أو بما يوازيها ، ولو مجرد ثقل مقابل – كفكرة عامة وشاملة للترانسفير ؛ أي « إجلاء » العرب ؛ فإذا لم يحدث ذلك فكيف تستوعب أرضٌ صغيرة كأرض إسرائيل مليونَ يهودي سوف يهاجرون إليها .

وعلى الرغم من ذلك ؛ فلم تظهر فكرة ترانسفير عربي أو تبادل سكاني من خلال برنامج الهستدروت الصهيوني ؛ منذ أن تأسست عام ١٨٩٧ حتى اجتماع المؤتمر الصهيوني عام ١٩٣٧ *؛

---

* المؤتمر الصهيوني العشرون الذي انعقد في زيوريخ في أغسطس من العام ١٩٣٧ ، وقد نوقش فيه تقرير لجنة بيل حول التقسيم ، وصاغ فيه الصهاينة سياسةً لنقل الفلسطينيين من المنطقة المحددة لقيام الدولة اليهودية ؛ بالاستناد إلى التقرير .

حيث تم بحث مشروع التقسيم وتبادل السكان الذي اقترحته لجنة بيل البريطانية . لقد حدث فعلاً أن أُعجب بعض الصهاينة وأصدقاء للصهيونية – منهم شخصيات شهيرة – بالفكرة ، وبتنفيذ ترانسفير للعرب . وهؤلاء ما كنَّا لنتذكرهم لولا أن تمسك بهم – وكأنهم فروع عالية – من يروِّجون خلال عشر السنوات الأخيرة – وخاصة في العام الأخير – لحل لمشكلة الهُوِيَّة والأمن الإسرائيليين ؛ عن طريق ترانسفير للعرب بإرادتهم .

وفيما يلي سنعرض لآراء آباء فكرتهم الذين لا يعرفون عنهم إلا القليل :

يسرائيل زنجفيل ؛ أديب يهودي إنجليزي حَظِي بوضع عالمي بفضل كتابه (أطفال الجيتو) الذي ألفه عام ١٨٩٢ ، وكان من أوائل مساعدي هرتسل ، وقد زار أرض إسرائيل عام ١٨٩٧ . ويبدو أن الوجود العربي في أرض إسرائيل قد ولَّدَ لديه انطباعاً فائقاً ؛ عَبَّر عنه بقوله : « إن أرض إسرائيل أضيق من أن تستوعب شعبين ... لن يعيش العرب واليهود في سلام » .

وقد توصَّل إلى نتيجة تقول إنه لا مناص من إجلاء العرب وترحيلهم بالقوة إلى الدول المجاورة ، لخصها في إحدى خطبه في نيويورك عام ١٩٠٤ ؛ باستخدام لغة عنيفة : « علينا أن نكون على

استعداد لطردهم من الأرض بقوة السيف ؛ مثلما فعل أجدادنا ضد القبائل التي عاشت فيها » ، وأحياناً كان زنجفيل يكبح لسانه ويقول « علينا أن نحفز العرب بلطف كي يهاجروا ، إن لديهم شبه الجزيرة العربية التي تبلغ مساحتها ملايين الكيلو مترات المربعة » .

وقد ظهرت فكرة مماثلة لدى اثنين من كبار الصهاينة كانا مختلفين عن زنجفيل مثلما كانا مختلفين كل عن الآخر وهما البارون أدموند روتشيلد ونحمان سيركين ؛ كان « أبو الاستيطان » على استعداد لدفع المال للعرب ؛ كي يشتروا لأنفسهم أرضاً أخرى ؛ بشرط أن يخرجوا من أرض إسرائيل ، أما « أبو الصهيونية الاشتراكية » فقد اقترح صفقة تبادل كبيرة : ففي مقابل المساعدات التي سيقدمها « الصندوق القومي » (أموال ، متطوعون ، ... إلخ) ؛ من أجل تحرير الشعوب الواقعة تحت الاستعمار العثماني – يحصل اليهود على أرض إسرائيل (على أرض إسرائيل ذات العدد القليل من السكان أن تصبح فارغة من أجل اليهود – سيركين) .

أمّا القاضي الدكتور يهوشع بوخميل فكان من أوائل من انضموا إلى هرتسل – وكان واحداً من المستشارين الشبان من صهاينة روسيا – إلى أن انفصلا بسبب مشروع أوغندا . وقد اقترح

عام ١٩١١ - سراً - أن يقوم اليهود بشراء أراضٍ في شمالي سورية وما بين النهرين ؛ كي يتم ترحيل عرب أرض إسرائيل إليها .

وأمّا ليئو موتسكين - وهو أيضاً من أوائل الذين انضموا إلى هرتسل وممّن قامـوا بتوجيه وايزمن الصغير في برلين ، وأسّس معه « الكتلة الديمقراطية » فـي الحركة الصهـيونية - فقد اقترح صراحة في ١٩١٤ ؛ من أجـل إيجاد حـل « أن يعمل اليهـود والعرب - كمجموعتين قوميتين - لتحقيق العمق المتساوي ؛ بواسطة اتفاقية سياسية حول نقل السكان من منطقة إلى منطقة » . صحيح أنه اتخذ خلال سنوات قادمـة أسـلوباً جديداً - وهو في رأيه أكثر واقعـية - مـؤداه أن « الاستيطان يجب أن يسير في اتجاهين : استيطان يهودي في أرض إسرائيل ، وتوطين عرب أرض إسرائيل في مناطق خارج إسرائيل » ، ونظر إلى وجهة نظره القديمة على أنها الأفضل مادامت السلطة القديمة تسيطر على أرض إسرائيل - لكن وجهة نظره تلك - تحديداً - تلقي بأضواء على بعض النيّات الخفيّة لوايزمن ؛ من خلال الاتفاقية التي وقعها مع الأمير فيصل في ٣ يناير ١٩١٩ : فقد كانت هذه الاتفاقية - على حدّ قول موتسكين - بـين جمـاعتين قوميتين ؛ بين الشـعب العربـي والشـعب اليهـودي

« ... حيث إن أفضل طريق لتحقيق أهدافهما الوطنية هو التعاون القوي بقدر الإمكان ، وتنمية هذه الأرض العربية وأرض إسرائيل » .

وتضمَّن المادة السابعة في هذه الاتفاقية أن تقوم الهستدروت الصهيونية (عن طريق لجنة خبراء تبحث الإمكانيات الاقتصادية لهذه الدولة العربية *) بعمل أقصى ما يمكنها من أجل مساعدة الدولة العربية ؛ من خلال تزويدها بالوسائل التي تنمي الثروات الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية فيها ، أما هدف التنمية وعلاقاتها بنقل السكان ؛ فسوف يتم التعبير عنه بشكل آخر .

ثم هناك أهارون أهرونسون ؛ من رواد العلوم في إسرائيل ، وقد أطلق تعبيراً يمكن أن نسميه « النقل بالإقناع » : « يجب تحويل الوادي الواسع الواقع ما بين دجلة والفرات إلى (جنة العالم) ؛ مثلما كان الأمر في العصور القديمة ، كما يجب عرض مساحات من الأراضي الخصبة جداً هناك على عرب إسرائيل ، وبهذا ؛ سيقتنع الكثير من هؤلاء العرب بالهجرة إلى العراق » . وقد نقل فكرته هذه إلى صديقه الدبلوماسي الأمريكي ويليام . ك . بوليت عام ١٩١٩

---

* الدولة العربية التي وعد بها الحلفاءُ الشريفَ حسين ؛ بِنَاءً على المفاوضات السرية التي جرت بينه وبين بريطانيا ؛ في أثناء الحرب العالمية الأولى .

الذي عَمِلَ فترةً سفيراً لبلاده لدى موسكو ثم باريس ، والذي طرح فيما بعد على بن جوريون – في أثناء زيارته لواشنطن عام ١٩٤١ – فكرة ترحيل العرب إلى العراق . وفي واشنطن – أيضاً – وفي العام نفسه ؛ قام واحد من أكبر خبراء المحافظة على الأراضي بالدعاية لفكرة أهرونسون ؛ وهو صديق الصهيونية الأمريكي ولتر كلاي لاودر ميلك الذي كتب في كتابه « أرض إسرائيل : الأرض الموعودة » عام ١٩٤٤ : ... إذا وجد العرب أنهم لا يستطيعون العيش في بلد صناعي ؛ سيكون في مقدورهم الاستيطان في وادي دجلة والفرات ؛ أرض العراق الخصبة ؛ حيث توجد المياه بوفرة للري ... إن إسرائيل هي « ملاذ المستوطنين » .

ويبدو أنه من المناسب أن نختتم هذه القائمة باسم الدكتور إبراهام شارون (شفدون) . وقد قام الدكتور موشيه ياجر ؛ المسئول بوزارة الخارجية – ببحث نظرية شارون الذي يصفه بأنه من الشخصيات المدهشة : كان يسير هائماً على وجهه في شوارع القدس (حيث كان مظهره الخارجي مهملاً ، وملابسه رَثَّة ويبدو كالمخبول) ، وكان ينفعه الأجر البسيط – الذي يحصل عليه مقابل عمله في المكتبة القومية – في تمويل كتاباته وتوزيعها ، وكان يوزع صوراً من مقـالاته ومؤلفـاته على كل من كان علـى اسـتعداد لأن

يستمع إليه . وما أنْ عرف شارون قيمة الإرادة الصهيونية ، وتأكد أن الدفعة الداخلية هي شرط أساسي لقيام « الشعب اليهودي » ؛ وجد أن الذهاب إلى صهيون ، والرغبة في الهجرة إلى أرض إسرائيل ؛ غير كافيين لإنقاذ الشعب اليهودي في أرضه ، لهذا ؛ دعا إلى ترانسفير لليهود بالقوة ؛ أي أن تقوم الحكومات التي تتعاطف مع الفكرة الصهيونية والتي تريد حشد شعب إسرائيل في أرض إسرائيل - بالتوقيع على معاهدات دولية ، وتحدد في قوانينها « أنه على اليهود أن يضعوا بعضاً من قوتهم البشرية والمالية تحت خدمة المشروع الصهيوني » .

وقد ربط شارون هذا الترانسفير القهري لليهود بتطبيق ترانسفير قهري أيضاً على العرب ؛ ففي عام ١٩١٦ - في مقال نشره بصيغتين - طرح لأول مرة فكرة تبادل السكان ؛ حيث طالب بنقل عرب إسرائيل إلى الدول العربية المجاورة ، وإحضار يهود الشتات إلى إسرائيل (كحل وحيد لمشكلة أرض إسرائيل) . وفي مقال شامل ومفصل تحت عنوان : « المُستَعْمِر العربي » نشره عام ١٩٣٠ ؛ متأثراً فيه - على ما يبدو - بالمذبحة التي وقعت ضد يهود الخليل ؛ في أثناء أحداث عام ١٩٢٩ - قال : « إنَّ الصراع القائم في أرض إسرائيل يمكن إيجاد حل له ؛ عن طريق ترحيل

منظم لجزء من شعب أو كله إلى دولة أخرى » . وقد استخدم بلا تردد تعبير « إجلاء السكان » ؛ سواء في ذلك اليهود الذين في الشتات والعرب القاطنون في أرض إسرائيل . ورأى أن الاتفاق المخصص لهذا الجلاء المزدوج للسكان يتكون من جزأين : « اتفاقية هجرة » ؛ من أجل ضمان استيعاب منظم لليهود في أرض إسرائيل ، و « اتفاقية خروج » لعرب إسرائيل ؛ من أجل ضمان (تخلص تدريجي مع الممتلكات ؛ على أساس خطة تمويل معينة تتفق عليها الحكومات والأطراف الدولية) . ومن أجل إقامة الدولة ؛ طلب شارون البدء في مفاوضات بلا شروط لنقل السكان ، ونقل ملكية الأراضي مقابل تعويضات مناسبة وعادلة .

إن شارون الذي رأى في نفسه مؤسسا للصهيونية المتكاملة أو الصهيونية الوحشية – حَسَبَ تعبيره – كان بعيداً في وصفه العام عن الذين ذكرناهم في هذه القائمة ، ولم يكن مشهورا مثلهم .

ويرجع التوسع في مناقشة أفكاره هنا إلى ثلاثة أمور : أولاً ؛ لأنه يعتبر الصهيوني الوحيد الذي ظلَّ حتى مماته – ١٩٥٧ – مؤمناً بترحيل عرب أرض إسرائيل ؛ في حين كان الترانسفير بالنسبة إلى الآخرين مجرد فكرة عابرة ، أو مجرد تأملات غير ملزمة جاءت خلال حوارات عشوائية : لقد غيَّر زنجفيل مواقفه ؛ إذْ تخلى عن فكرة

الترانسفير ، وتمسك بالحل الإقليمي وأيد مشروع أوغندا ، وعندما ُرفض المشروع ترك الهستدروت الصهيونية ، وقام بتأسيس الهستدروت اليهودية الإقليمية ، وفي عام ١٩١٤ ؛ عاد إلى فكرة الترانسفير وتمسك بها حتى مماته . أما نحمان سيركين فقد كتب - صراحة - أنه إذا خاب أمله في إنشاء « الدولة اليهودية الاشتراكية » في أرض إسرائيل ؛ في أعقاب حرب التحرير التي ستقوم بها الشعوب الواقعة تحت استعباد الإمبراطورية العثمانية - « فليبحث اليهود لأنفسهم عن أرض تفرَّغ لهم بالمال » . وقد تخلى عن هذه النظرية عام ١٩٢٠ .

والأمر الثاني أنه هو الوحيد - أيضاً - الذي طلب إجراء ترانسفير قهري ومزدوج ؛ هو فقط الذي ربط نقل العرب من أرض إسرائيل إلى الدول المجاورة بنقل اليهود إليها من الشتات . وهنا ندرك أن تبادل السكان : يهود الدول العربية وعرب أرض إسرائيل - فكرة جديدة طُرِحَتْ في أعقاب المأساة النازية ، وبعد قيام دولة إسرائيل وحرب الاستقلال .

وأمَّا الأمر الثالث و الأكثر أهمية فهو أن اطلاع ياجر على نظرية شارون كان المصدر الأصلي لانتشار الأخطاء الفادحة التي سادت مؤخراً عن موضع الترانسفير في الفكر الصهيوني ؛ حتى إن

أنصار طرد (نقل) العرب – حاليًا – تمسكوا بها كبرهان نموذجي على صدق الزعم بأنهم يعتبرون استمراراً لطريق زعماء الصهيونية ؛ ثُمَّ فإنهم حفروا هذه الأفكار بأظافر من حديد في برامجهم الانتخابية .

إن الخطأ الأول الذي ارتكبه ياجر يدور حول ماكس نورداو : إن ياجر هو الذي جعل نورداو – فيما يتعلق بفكرة الترانسفير العربي – الأبَ الرُّوحي لإبراهام شارون . والحقيقة أن نورداو – الذي وضع مشروع بازل ، والشخصية الكبرى بعد هرتسل في الهستدروت الصهيونية ؛ خلال عشر السنوات الأولى لنشاطها – لم يقترح قَطُّ أيَّ مشروع للترانسفير : لا نقل اليهود إلى أرض إسرائيل ، ولا نقل العرب من أرض إسرائيل ؛ ثَمَّ فإنَّ أي كلام يدَّعيه ياجر صَدَدَ ترحيل العرب – كإسهام فكري أساسي للصهيونية بديل للحلَّيْنِ اللذين كانا معروفين تاريخيًّا – هو كلام لا أساس له من الصحة .

ليس عسيراً أن نتتبع جذور هذا الخطأ ، ولكن علينا أن نعـرض أولاً بعض النقاط الجوهريـــة في كتاب يهـــودا بن أري : « مشــروع إجلاء السكان لجابوتينسكي ونبوءته عن مصير يهود بولندا » الذي صدر عام ١٩٦٩ ، واستوعبه ياجر كليةً .

لقد ورد في الكتاب أنه بتأسيس الهستدروت الصهيونية عام

١٩٣٥ – كان من المهم لجابوتينسكي وحركته أن يقدموا أنفسهم على أنهم يمثلون الاستمرار المخلص والحقيقي لهرتسل . وقد تضاعفت أهمية الارتباط بهرتسل – من وجهة نظرهم – منذ العاصفة التي أحدثها – عام ١٩٣٦ – مشروع إجلاء السكان الذي وضعه جابوتينسكي والبروفيسور اليكس كوليشر – الذي كان أساس السياسة الإصلاحية – تلك العاصفة التي لم يعلم بها يهود وصهاينة بولندا والعالم (!) إن خطر الإبادة والمطاردة والتعذيب النفسي والاقتصادي والجسدي الذي هَدَّدَ يهود بولندا وشرقي أوربا ، هو الذي حرَّكَه جابوتينسكي لتبرير اقتراح « إجلاء » مليون يهودي خلال عشر سنوات عن بولندا – وبمساعدة من حكومتها – ونقلهم إلى أرض إسرائيل ونهر الأردن ، وحتى يعزز التحذير من هذا الخطر ؛ رفع شعاره المعروف : « إذا لم نقضِ على الشتات فإنه هو الذي سيقضي علينا » . من هنا نرى أن القضية العربية لم تكن هي أساس مشروع الجلاء لدى جابوتينسكي ، لكن بن آري لا يقول ذلك ، إنما يزعم أن « جابوتينسكي كان أول الزعماء الصهاينة الذين أدركوا أن الوقت هو أحد العناصر الحيوية في السياسة اليهودية » : لقد تنبأ هذا الزعيم الكبير بأن الزيادة الطبيعية العربية « ستحبط جهود الصهاينة من أجل خلق دولة يهودية » ، و « أن حركة

الإصلاحيين هي التي دفعت المشكلة الديموجرافية إلى الفكر الصهيوني » ، ولهذا ؛ رأت الصهيونية أن تشجيع الهجرة اليهودية إلى أرض إسرائيل هو أمر حيوي . ومن أجل تأكيد هذا الزعم ؛ نقل بن آري عن جابوتينسكي بعض الأقوال التي كان قد قالها في المؤتمر الصهيوني عام ١٩٢٧ .

وسنقول لصالحه إنه لم ينسَ أن يذكر أنه لا جابوتينسكي ولا كوليشر استخدم لفظ « إجلاء » ، لكنهما فضلا تعبير « الهجرة الجماعية » . إلا أنه كان غير دقيق بما يكفي ؛ حيث ذكر في الكتاب نفسه أنه في عام ١٩٣٢ أعلن جابوتينسكي في برنامجه الذي طرحه أمام المؤتمر الإصلاحي العالمي الخامس أنه « يجب على بضعة ملايين من اليهود أن يتركوا في المستقبل القريب جداً المراكز الرئيسية في أوربا الشرقية ليقيموا دولة يهودية قومية في أرض إسرائيل » . وأعتقد أن هذا التناقض يكشف عن سعي بن آري إلى التقـريب – قدر الإمكان – بين « مشـروع الإجلاء » لجابوتينسـكي ونبوءة هرتسل ، ولكن ؛ نظراً لأنه لايستطيع أن يتعلق بهرتسل ؛ فإنه أمسك بنورداو : يقول بن آري : « إن ماكس نورداو هو الذي أدخل فكرة الهجرة الجماعية كمشروع عملي في الفكر الصهيوني في عام ١٩١٩ ... حيث قدم المشروع الثوري للانتقال الفوري إلى أرض

إسرائيل ؛ لإجــلاء نصف المليون الأولى من المهاجرين – في آن واحد – من جميع أرجاء دول أوربا الشرقية » ، وإن نورداو الذي تنبأ مبكراً بصمود القومية العربية المحاربة ، وبتغيير محتمل في السياسة البريطانية في الشرق الأوسط ؛ « كان مهتمًّا أولاً – وقبل أي شيء – بخلق حقيقة ديموجرافية ، وبأن يكون تواجد اليهود في أرض إسرائيل شيئاً ماديًّا محسوساً ... لكن صهاينة ذلك الزمان لم يستجيبوا له أو لمشروعه وأسلوبه الثوري الشامل لمشكلة أرض إسرائيل ؛ فتمَّ حفظه ، وبعد فترة تم إخراج المشروع من الأدراج » .

إن إصلاح جميع الأخطاء التي تكدست في الفقرة السابقة يتطلب مقــالاً في حدٍّ ذاته ، ولهذا ؛ سنكتفي هنا بملاحظة أن تعبير « القومية العربية المحاربة » لم يكن قائماً في عام ١٩١٩ ؛ لا في عالم المفاهيم الصهيونية ولا في مفاهيم عرب أرض إسرائيل ؛ فاستخدامه يفنِّد آراء من يرَون فيه تعزيزاً لأقوال صاحبه . ولم يحدث قَطُّ أن قدم نورداو إلى أية هيئة صهيونية رسمية أي مشروع للترانسفير ، وفي بروتوكولات اللجنة التنفيذية الصهيونية التي اجتمعت في لندن عام ١٩١٩ ؛ لا نجد أيَّ ذكرٍ – حتى في كلام نورداو نفسه – لمشروع هجرة جماعية ، مثلما لا نجد أي ذكر لهذا المشروع في كتاباته السياسية . بَيْدَ أنَّ نورداو دَأَبَ منذ يوليو ١٩١٩

على نشر نداء في الصحف من أجل الهجرة الكبرى ؛ فمثلا في صحيفة « أخبار الأرض » عدد ١ / ٨ / ١٩١٩ ؛ نجد هذا النداء :

« لقد حان الوقت لأن نطالب بصوت مرتفع - بلا أي تردد - بفتح أبواب البلاد أمام اليهود بدون أي حواجز . يجب علينا أن ندخلها مرة واحدة ؛ بأعداد كبيرة ، وبدون تردّد » .

لقد طالب نورداو بإدخال ٦٠٠ ألف يهودي إلى البلاد ؛ من أجل خلق أغلبية يهودية خلال عدة شهور ؛ لكن المياه الباردة التي ألقوها عليه من كل جانب أثّرَتْ عليه ، وجعلته يفكر بنوع من الواقعية . وفي مارس ١٩٢٠ ؛ كتب في مقال له بصحيفة كونتراس : (علينا أن نكون - على الأقل - ٥٠٠ ألف يهودي في البلاد بعد أن يصبح الانتداب في يد إنجلترا) - موضحاً أنه مادام الطرفان المتحاربان في الحرب العالمية الأولى قاما بنقل ٢٢ مليون شخص بكامل أسلحتهم وعتادهم - برًّا وجوًّا - سواء من الشرق الأقصى أو من سيبيريا أو من أطراف كندا الغربية ؛ فلماذا لا يستطيع اليهود نقل نصف المليون من أبنائهم وبناتهم إلى أرض إسرائيل ؟ (لماذا لا نتعلم من النماذج الناجحة في أحداث الحرب ؟) .

وردًّا على سؤال : كيف سيعيش ٥٠٠ ألف مستوطن ؟ كتب نورداو أن هناك ٢٢ مليون محارب لم يزرعوا ولم يحصدوا ، وبرغم

هذا لم يموتوا جوعاً ؛ لقد عاشوا على حساب حكومتهم ، وهكذا ؛ يجب على الشعب اليهودي أن يحتفظ برواده إلى أن تأتي ساعة الحصاد الأولى لحصول أموال قرضٍ دُوَليٍّ كبير تحصل عليه الإدارة الصهيونية من أجل هذا الغرض . ولم يفسر نورداو كيف يمكن الحصول على هذا القرض . ولهذا ؛ فإن هذه النداءات المرتجلة لا تُعَدُّ أبداً بمثابة مشروع ؛ حيث إنه لم يرسم أي طريق من أجل تحقيق دعاواه .

إن مسمى « مشروع نورداو » أُطلق على نداءات نورداو بواسطة اتباع جابوتينسكي بعد أن تحدَّد « مشروع الإجلاء » كمشروع لعشر سنوات للحركة الإصلاحية عام ١٩٣٨ . وعندما قال بن آري إن مشروع نورداو قد تم إخراجه من الأدراج بعد فترة ؛ فإنه كان يرمز إلى برنامج بلتيمور ؛ محاولاً إقناعنا بأن مشروع بلتيمور الذي وافق عليه المؤتمر الصهيوني الأمريكي في مايو ١٩٤٢ بنيويورك ، والذي يطالب « بفتح أبواب أرض إسرائيل ، وبأن تتولى الوكالة اليهودية الإشراف على الهجرة ... وبأن تهيأ أرض إسرائيل مثل كومونولث يهودي متكامل في إطار العالم الديمقراطي الجديد » – بما يعني سرقة حقوق المؤلف من صاحبها القانوني ؛ نورداو . والغريب أن هذا الزعم قَبِلَه واضعو دائرة المعارف العبرية ؛ و حتى

البروفيسور بن تسيون نتنياهو الذي أصدر الطبعة العبرية لكتابات نورداو – يقــول إن نورداو لم يُطلِق على دعــوته إلى الهجرة اســم « مشروع » ، ولم يستخدم لفظ « إجلاء السكان » . وأخيراً : نضيف إلى أخطاء ياجر ذلك الخطأ الفادح الذي يدور حول مهندس الاستيطان الزراعي الصهيوني وأحد كبار الفكر والعمل الصهيوني : الدكتور آرثر روبين . لقد رأى روبين أن « القضية العربية » هي المشكلة الرئيسية أمام الصهيونية ، وفي بحثه عن حل لها قام بتأسيس « حلف السلام » ثم انفصل عنه ، وفي عام ١٩٣٦ : كان قد يأس من إيجــاد أي أســـاس إيجابي مشترك للتفاهم بين العرب واليهود ، وهو الذي وضع – عام ١٩٣١ – التعبير الذي طالما ردّده فيما بعد وزير الدفاع موشيه دايان : « إن ما نستطيع أن نحصل عليه الآن من العرب غير مُلِح لنا ، وما هو ملح لنا لا نستطيع الحصول عليه » . لكن روبين أدرك – في النهــاية – مثلمـــا أدرك بن جوريون وغيره ، أن « الحقائق » فحسب – أي تواجد استيطان عــبري كبير وقوي – هــي التي ســتؤدي إلـــى امتصـــاص التوتر بين الشعبين . وخلال بحثه الدءوب الذي لم يتوقف عن السلام ؛ لم يطرح روبين حلا عن طريــق ترحيل عرب إسرائيل إلــى الدول المجاورة ؛ لقد كان طــوال حياته بعيداً تماماً عن نظرية إجلاء

السكان المزدوج التي اقترحها إبراهام شارون ، وما كان قوي الخيال بالدرجة التي يقدر معها على الربط بينهما ، إلى أن قام ياجر وفعل ذلك بجرة قلم ؛ عارضاً في كتابه فقرات عن إجلاء السكان المزدوج على لسان إبراهام شارون ، مدعياً أن شارون أخذ هذه الأفكار عن الدكتور روبين : « ختاماً ؛ أقول ... إن فكرة الصهيونية هي فكرة نقل متفق عليه ومنظم ؛ نقل هناك إلى أرض الأصل ونقل هنا إلى آخر محطة لشعبنا » .

إن هذا الكتاب المتسرع الذي أصدره الدكتور موشيه ياجر أصبح وثيقة معتمدة ؛ سواء لمن يعارضون ترانسفير عربي من اليسار – مثل توم ساجيف الذي لم يفهم ما هي أخطاء ياجر – أو لأتباع الترانسفير من اليمين ؛ ففي مقال « النقل كحل صهيوني » – هآرتس ٨٧/٧/٩ ؛ استخدم الدكتور يسرائيل الدار المقدمة التي أخذها ياجر من بيرل كتسنلسون ، والتي تشير إلى أن عرب إسرائيل سوف ينتقلون مستقبلياً « إلى سورية والعراق » ، وذكر أسماء روبين وسيركين ودوبنكين باعتبارهم شركاء في هذه النظرية ، بالإضافة إلى دافيد بن جوريون . أما رحبعام زئيفي ؛ مؤسس حركة « مولدت » ، وكاتب برنامجها – فقد اتجه إلى ما هو جاهز ، واعتمد مصدراً « نصفَ عمر » هو يسرائيل الدار ؛ عندما قال « ... إنني

أنادي بفكرة الترانسفير (بمعنى تبادل السكان عن طريق الاتفاق والموافقة) لعرب الضفة الغربية وقطاع غزة ... تلقيتها من معلميني وزعمائي في الحركة الصهيونية ؛ مثل بن جوريون ... وهذا ما تعلمته أيضا من بيرل كتسنلسون وآرثر روبين ويوسف فايتس وموشيه شاريت وغيرهم » *. ولن نتوقف هنا عند ما تعلمه زئيفي ، لكن يبدو أن فايتس الذي أضافه إلى قائمة معلميه وزعمائه في الحركة الصهيونية ، قد أخذه عن مقال كتبه توم ساجيف في مجلة كوتريت راشيت .

إن ثبوت عدم بحث فكرة أو مشروع ترانسفير عربي حتى عام ١٩٣٧ في أي مؤتمر أو اجتماع صهيوني ؛ يبرز سؤالاً عن حقيقة موقف جابوتينسكي ؛ فمنذ هرتسل لم يطرح أحدٌ غيره فكرة إجلاء السكان ؛ قاصداً بذلك ترحيل يهود بولندا وأوربا الشرقية إلى أرض إسرائيل – أَلَمْ يطلب أو يفكر قَطُّ في القيام بعملية ترحيل مقابلة لعرب أرض إسرائيل ؟ وبرغم أن جابوتينسكي قد كتب في مذكراته أنه لم يحدث ذلك قط ؛ إلا أن هناك جدلاً قد دار فيما بين مفسري أقوال هرتسل ؛ ومِنْ دون أي سبب ، وقد ثار هذا الجدل – أساساً –

---

* ورد ذلك في مقاله المعنون : « ترانسفير من أجل السلام » الذي نشرته هآرتس في ١٩٨٨/٨/١٧ ، وأعدنا نشره هنا بعد ترجمته .

من خلال الاعتقاد بأن جابوتينسكي هو نفسه الذي وضع النظرية التي قامت عليها الحركة الصهيونية الإصلاحية .

لقد نشر جابوتينسكي فكرة تأسيس حركته في عام ١٩٢٣ ؛ في مقـــاله الذي حمــل عــنوان : « على الجدار الحديدي ؛ نحن والعرب » ، وكـان الزعيم الصــهيوني الأول الذي أفصح علـناً عن نبوءته المظلمة : « لا يمكن التفكير أبداً في التوصل إلى اتفاق إرادي بيننا وبين عرب أرض إسرائيل ؛ لا الآن ولا في المستقبل القريب ... من المستحيل تماماً أن نحصل على موافقتهم الإرادية حتى نحول فلسطين إلى أرض ذات أغلبية يهودية ... » .

وكانت هذه النتيجة قاطعة : في أرض إسرائيل يمكن أن تتطور الأغلبية اليهودية إلى دولة يهودية « ... بفضل استخدام القوة فحسب ... من خلف الجدار الحديدي الذي لن يستطيع السكان المحليون أن يخترقوه » . والحديد في لغته هو السلاح ، وجدار الحديد هو الجيش . إن نبوءته بأنه يجب على عرب الدولة اليهودية أن يعيشوا تحت شروط الاحتلال العسكري – وكان جابوتينسكي يتمتع فعلاً بقدرة التنبؤ – وضعته في صورة سبَّبت له المتاعب ، وقد احتجَّ على أنهم يرونه (عدو العرب الذي يريد استئصال أقدام العرب من أرض إسرائيل) .

وفي فرص ومناسبات أخرى – وخاصة في المسوَّدَة التي أعدتها إدارة الحركة الإصلاحية ، وتلاها جابوتينسكي أمام لجنة بيل في فبراير ١٩٣٧ - أعلن ؛ بشكل لا يقبل التأويل « أن اليهود على استعداد لأن يضمنوا للأقلية العربية في أرض إسرائيل العبرية ؛ الحدَّ الأقصى للحقوق التي طلبوها لأنفسهم ، ولم يحصلوا عليها قَطّ في الدول الأخرى » (أي المساواة في الحقوق المدنية ، والمساواة في اللغة ، والتمتع بالثقافة الذاتية ، وتقسيم الأراضي بدون تفرقة ، ... إلخ) بمعنى أن نظريته تقوم على استعداده للعيش والتعايش مع العرب . لكن الشكَّ في أن هذا كان بالفعل هو موقفه الوحيد قد أُثير عام ١٩٣٣ ؛ ففي هذا العام طرح الدكتور أفيجدور يعقوبسن (من أهم الدبلوماسيين الصهاينة ، وعضو الإدارة الصهيونية في السنوات ١٩١١ إلى ١٩٢٠ و ١٩٣٣ / ١٩٣٤) اقتراحَه بتقسيم أرض إسرائيل إلى دولتين ، ومطالبة إنجلترا بأن تُوجِدَ أغلبيةً يهودية في الدولة اليهودية ؛ بواسطة نقل ٦٠ إلى ٧٠ ألف عربي إلى الدولة العربية . وقد قال يعقوبسن للإدارة الصهيونية في لندن إن جابوتينسكي يعلم بمشروعه ويوافق عليه ، وهذا ما كتبه بن جوريون – أيضاً – إلى شاريت في العام نفسه . كان هذا أول

رمز يشـــير إلى التغيير والتحـول في أسـلوب جابوتينسكي تجـاه (المشكلة العربية) . أما الرمز الثاني فقد ظهر بعد مرور نحو أربع سنوات ؛ ففي ديسمبر ١٩٣٧ ؛ التقى جابوتينسكي في لندن المتبرعَ اليهودي الأمريكي إدوارد نورمان الذي أيَّد فكرة ترحيل عرب أرض إسرائيل إلى العراق ، وبدأ التفاوض حول تنفيذ الفكرة مع ممثلي حكومة العراق . وقد وضع نورمان مفكرته تحت أمر يوسف شيختمان المكلف بكتابة السيرة الذاتية لجابوتينسكي ؛ حيث سجلها متضمنةً ردَّ جابوتينسكي على الفكرة : « لقد سبق أن قرأ جابوتينسكي نسخة من اقتراحي ... وقد وافقته الفكرة جيداً وراقت له ... وعلَّق بقوله إن الجزئية الصعبة جداً ستكون هي كيفية حَمْل العرب على الخروج من أرض إسرائيل ... وقد اقترح جابوتينسكي خطوة أساسية : إذا وصل المشروع ذات مرة إلى مرحلة تكون العراق فيها على استعداد للتعاون ؛ بدعوة عرب إسرائيل صراحة إلى الهجرة إليها - سيكون من الحكمة أن تعارض الهستدروت علانية خروج العرب ، وبذلك فحسب يقتنع العرب بأن اليهود ليسوا هم الذين اقترحوا الفكرة ، وبأنهم يتطلعون إلى أن يظل العرب في البلاد لكي يستغلوهم ، وعندئذ سيسعى العرب إلى الهرب إلى العراق بنفس ساعية جداً ... إن هذه الفكرة تبدو ميكيافيلية جداً ، ولكنها جَدُّ فذة في التعامل مع

جماهير خرجت من وَعْيها وتسودها الشكوك مثل الجماهير العربية» .
وفي مايو ١٩٣٩ ؛ زار بن تسيون نتنياهو جابوتينسكي في منزله بلندن ؛ حاملاً إليه هدية ؛ وهي النسخة التي أعدها عن كتابات زنجفيل ؛ بما فيها الفصل الذي تحدث فيه مؤيداً للترانسفير ، وقَبِلها جابوتينسكي معلقاً بأنها ستكون رفيقة سفره إلى پولندا . وفي يونيو - في أثناء وجود جابوتينسكي في پولندا - تم التوقيع على اتفاقية بين ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية ؛ أتاحت لـ ٢٦٦ ألف ألماني من مواطني جنوبي تيرول الإيطالية الانتقال إلى ألمانيا ، وقد اختار ١٨٥ ألفاً منهم الانتقالَ ، ويبدو أن هذا الترانسفير قد أثر تأثيراً إيجابيًّا في جابوتينسكي ؛ ففي أعقاب قراءة أفكار زنجفيل ، وتحت تأثير الترانسفير الألماني / الإيطالي - كتب جابوتينسكي مقــاله : « حوار مع زنجفيل » الذي نشر في ٢١ يوليو ١٩٣٩ ؛ حيث عرض فيه مناقشةً بينه وبين زنجفيل في ١٩١٦ ؛ حول فكرة الترانسفير .
وقد قال الدكتور يوسف هلر (هآرتس ٨٢/١/٢٩) إن مقال جابوتينسكي هذا كان يحمل - بلا شك - علامات واضحة على أنه غيَّرَ موقفه صدد قضية الترانسفير ، وأكد هلر أن حديث جابوتينسكي لنورمان كشف عن موقفه الحقيقي ؛ لأن هذا الكلام قيل سراً .

وبنظرة إلى الوراء ؛ يبدو « الحوار مع زنجفيل » كاستعراض التخبطات النفسية التي تملَّكَتْ جابوتينسكي في أثناء تغيير موقفه ؛ لقد بدأ بعرض تفاصيل أسباب معارضته للترانسفير : « خصوصاً مسألة الهجرة الإنسانية ؛ كان أبناء جيلي يرفضونها من الناحية الأخلاقية » ، الهجرة « التي جاءت ليس من خلال إرادة حرة ... » ، ثم أضاف أن السابقة التركية قد زادت من اعتراضه « حيث إن ما يقولون عنه حاليًّا « تبادل » ليس إلا لفظاً مهذباً ؛ إنه - بالفعل - مجرد عملية طرد وحشية ، ولطمة لجميع المفاهيم السابقة لدينا حول العدل والظلم والإنسانية وسلوك الحيوانات المفترسة » .

لقد نظر جابوتينسكي باستياء إلى عملية الطرد المتبادل للمواطنين الألمان والإيطاليين ، وإلى أتاتورك الذي أعاد مليون ونصف المليون يوناني « على ظهور السفن ، ودفع بهم إلى البحر وإلى مقدونيا » ؛ في حين طرد اليونانيون نصف المليون تركي .

لقد رحل جابوتينسكي عام ١٩٤٠ ، وكان مقاله : « حوار مع زنجفيل » هو آخر كلمة له حول الترانسفير . ولكن في فصل : المشكلة العربية بلا دراما ؛ من كتابه « جبهة الحرب لشعب إسرائيل » الذي نشر بالإنجليزية عام ١٩٤٢ - نجد تناولاً آخر لقضية الترانسفير ؛ فبعدما يَعِدُ عرب إسرائيل بالتمتع بجميع الحقوق في

الدولة اليهودية – وهو تكرار لما سبق أن قاله أمام لجنة بيل – يضيف جابوتينسكي : « وهناك قضية شرطية هي : إمَّا أن يجد العرب أن هذا أساسٌ كافٍ لتحفيزهم على التواجد والبقاء في الأرض العبرية ، و إمَّا أن يرفضوا البقاء ، وإنني أرفض النظر إلى استعدادهم للهجرة باعتباره مأساة أو كارثة ... إذا اتضح أن العرب يفضلون الهجرة ؛ فيمكن بحث هذا الاحتمال بدون إظهار أي قلق ...» .

إن كلمة « تحفيزهم » قابلة لعدة تفسيرات ؛ منها تفسير يرمز إلى زنجفيل الذي استخدم هو أيضاً التعبير ذاته ، على حين أن المؤمنين بصدق جابوتينسكي يقولون إن الترجمة الصحيحة للأصل الإنجليزي Inducement – يجب أن تكون : إذا وجد العرب أن كل هذه المزايا غير مغرية لهم كي يبقوا في الأرض العبرية ؛ وهذا رأي البروفيسور نتنياهو ، وفي المقابل يعتقد هلر – وأنا أؤيد رأيه – أن جابوتينسكي عندما كتب مثل هذا الكلام القابل لأكثر من تأويل ؛ فإنه قد فعل ذلك إذ أدرك أن بقاء القضية محلَ خلاف خطير يوجب الاحتراس في الصياغات والأقوال العلنية ، أما الدكتور يسرائيل الدار فيصر – في مقاله السابق – على التغيير الذي طرأ على موقف جابوتينسكي ، وتطلَّب منه إنجاز كتابه الأخير . ويفسر الدار لماذا لم

يسلم جابوتينسكي في البداية بفكرة الترانسفير ؛ بقوله إنه في الوقت الذي قبل فيه زعماء صهاينة في حركة الماباي فكرة ترحيل العرب من داخل الدولة اليهودية إلى الدولة العربية التي طرحتها لجنة بيل عام ١٩٣٧ ؛ اتخذ جابوتينسكي موقفاً مختلفاً ؛ فقد كتب الدار : إن الذي اعترض على ترحيلهم في تلك المرحلة كان - بالتحديد - جابوتينسكي ؛ سواء لأسباب مبدئية ترجع إلى ليبراليته ، أم بدافع ثقته بهجرة ملايين اليهود إلى إسرائيل ليصبح فيها أقلية عربية يبلغ حجمها ٢٠ ٪ فقط من الدولة اليهودية .

إنه تفسير حاسم : لقد سعى جابوتينسكي إلى دولة يهودية على ضفتي الأردن يبلغ تعداد سكانها ثمانية ملايين يهودي ؛ على أن تكون هذه الدولة اليهودية قادرة على منح الأقلية العربية داخلها كاملَ المساواة . و في ظلّ هذه الظروف كان في مقدور جابوتينسكي المحافظة على المبادىء الليبرالية التي تربى عليها - ويضيف الدار : « لكن جابوتينسكي قال أيضاً - في كتابه الأخير - إنه لن يأسف ولن يندهش إذا وافق ٩٠٠ ألف عربي على الهجرة من الدولة اليهودية » .

على أية حال ؛ فالنتيجة المنطقية التي يمكن استخلاصها مما سبق ؛ أن جابوتينسكي كان سيؤيد الترانسفير ؛ لو عاش ورأى

المأساة النازية التي وضعت نهاية لأمله في هجرة ثمانية ملايين يهودي ، ولو شاهد ذلك الانفجار الديموجرافي لعرب إسرائيل الذي يهدد وجود الدولة اليهودية . ويبدو من ذلك أن تفسير الدار هو الأكثر قبولا .

إن توقيع مناحيم بيغن على اتفاقيات كامب ديڤيد – بما فيها الحكم الذاتي – قد يدل للوهلة الأولى على أنه على استعداد لإعطاء العرب المساواة التي وعدهم بها جابوتينسكي ، لكن سياسته في الأراضي المحتلة أظهرت أن ذلك لم يكن إلا واجهة عرض فحسب ، وهكذا ؛ فضّل بيغن أن يفسر آراء جابوتينسكي طبقاً للترجمة العبرية .

١٨ - هاارتس ٢ / ١٠ / ١٩٨٨

تطور فكرة الترانسفير فى الفكر الصهيونى (٢)

بقلم : شبتاى طيفت

هآرتس ١٩٨٨/١٠/٢

بقلم : شبتاي طيفت

تطور فكرة الترانسفير في الفكر الصهيوني (٢)

كان المؤتمر الصهيوني الذي انعقد عام ١٩٣٧ هو المؤتمر الوحيد الذي بُحِثَ فيه ترحيل العرب ، ويمكن القول بأنه كان بحثاً شاذاً ، ودعت إليه الظروف التي خلفتها خطة أو مشروع لجنة بيل . وكان يجب - على مايبدو - أن ترفع الهستدروت الصهيونية هذا الموضوع عن جدول أعمالها في ديسمبر ١٩٣٧ ؛ عندما تراجعت حكومة بريطانيا سراً عن تأييدها لمشروع التقسيم ، أو في يناير ١٩٣٨ ؛ عندما أوضحت « رسالة » وزير المستعمرات أن حكومة بريطانيا تتحفظ صدد توصية الترانسفير . وقد تكتمت الحكومة البريطانية أمر تغيير موقفها الذي سينكشف أمام الجميع عند انتهاء مناورة الخداع الكبرى التي استمرت سنة كاملة ، وانتهت بصدور الكتاب الأبيض * عام ١٩٣٩ .

إزاء السياسة الجديدة بفرض دولة إسرائيلية على اليهود ذات

---

* يقصد الكتاب الأبيض الثالث الذي أصدرته الحكومة البريطانية في ٧ مايو ١٩٣٩ ، وكان أهم ما جاء فيه وأغضب اليهود ؛ تقييدُ الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

أغلبية عربية ؛ بدت فكرة ترحيل العرب بمساعدة بريطانيا وهماً وخيالاً جامحاً . وعلى الرغم من ذلك ؛ فقد ظلت إدارة الوكالة اليهودية تتفاوض مع حكومة بريطانيا - حسب تعليمات المؤتمر الصهيوني - حول توسيع حدود الدولة اليهودية ، واستعدت للقاء لجنة الخبراء الإنجليزية التي خُصِّصَت من أجل رسم خريطة التقسيم ، وتحديد خطوات تنفيذها ، أما غرضها الحقيقي والخفي فقد كان التأكد من أن مشروع التقسيم غير قابل للتنفيذ . ولَمَّا لم تكن الوكالة اليهـــودية قد شعرت بعد بأنهم يخدعونها ، فقد قام القسم السياسي للوكالة بتشكيل عدة لجان من الخبراء ، من بينها لجنة لشؤون الحدود ، ولجنة للشؤون المالية ، ولجنة لشؤون حيفا ، ولجنة شؤون القدس ، ولجنة لنقل السكان ، وكان القسم السياسي سيقدم مذكرة بشأن هذه اللجان إلى اللجنة البريطانية الجديدة؛ لجنة وودهيد .

في بداية نوفمبر ١٩٣٧ ؛ ترأس الدكتور يعقوب تهون - مدير شركة تمهيد اليشوف ؛ عام ١٩٢١ - لجنة نقل السكان ، وكان من أعضائها الاقتصادي الدكتور كورت مندلسون ، وعاميندا ف اشفل ؛ من كبار المسئولين في شركة تمهيد اليشوف ، ، وإبراهام جرانوت ، ويوسف فايتس ، ويوسف نحماني ؛ من رؤساء صندوق التأسيس الإسرائيلي ، والدكتور دوف يوسف ؛ المستشار القانوني للقسم

السياسي ، وعوفيد بن هامي ؛ ممثل اتحاد الفلاحين ، والدكتور ميخائيل سيمون ، والياهو إيلات ؛ من القسم السياسي . وقد كتب يوسي كاتس الذي أجرى دراسة حول عمل هذه اللجنة ؛ أنها بحثت ثلاثة احتمالات لتنفيذ الترانسفير : نقل العرب إلى ما بعد نهر الأردن ، أو إلى سورية ، أو إلى العراق . ولكن عدم الوضوح الذي نبع من غياب بعض التفاصيل ؛ وضع صعوبة أمام بَلْوَرة خطة متفق عليها وواضحة ، وإنْ تمكن الأعضاء من التوصل إلى صيغة عامة ؛ اتفقوا عليها بالإجماع في ١٩ ديسمبر ١٩٣٧ ، وتضمنت ما يلي :

أ - لن تكون لدى دولة اليهود التي ستقوم القدرة على حماية وجودها مادام بها أقلية عربية كبيرة . إن نقل قدر كبير من السكان العرب يعتبر شرطا مسبقا لقيام الدولة ، لأن وجود مثل هذه الأقلية سوف يمثل خطراً دائماً من جانب الحركات التي ستعمل ضد قيام الدولة اليهودية الجديدة . إلى جانب قضايا الأمن ؛ سيكون من الضروري - نظراً للمساحة الصغيرة للدولة الجديدة - إفراغ الأراضي المكتظة حالياًّ بالعرب الذين يعملون فيها بالأساليب القديمة . من أجل تنفيذ مشروع شامل للحصول على الأراضي ؛ يجب الاستناد إلى مختلف وسائل التنظيم الزراعي ؛ مع الحصول على صلاحية وقوة حكومية .

ب – في حالة اعتراض العرب ومقاومتهم لعملية النقل تلك التي لن تنفذ بواسطة إنجلترا ؛ بالتعاون مع مؤسسات دولية أو بدونها – لن يكون من الممكن تنفيذ عملية النقل .

ومن أجل إعداد خطط كاملة ؛ كانت اللجنة في حاجة إلى بحوث دقيقة لم تستطع الحصول عليها ؛ إذ كانت تنقصها معلومات بدونها لا تستطيع إعداد مشروع للترانسفير وإعادة الاستيطان . وازداد الشعور لدى أعضاء اللجنة بأن صياغة مشروع ترانسفير واضح تعتبر مهمةً مستحيلة . وأكثر من هذا ؛ فقد أدرك أعضاؤها أنه لا يوجد طرف واحد في مقدوره فرض الترانسفير ، وأن المداولات النظرية لا يمكن ترجمتها إلى لغة عملية . وقد قام شاريت بإبلاغ الأمر إلى إدارة الوكالة اليهودية ، بلُغَتِهِ الحذرة (لقد بحثت اللجنة عملية نقل السكان ، ونشأ عن ذلك بعض الاحتمالات التي لم تتضح بعد بالشكل المطلوب . والاعتقاد العام هو أنه لايمكن أن نتكلم عن القيام بعملية نقل قهري للسكان) . وما أن هَمَّت اللجنة بتقديم نتائج عملها حتى طلبتْ منها إدارة الوكالة وضع خطة واضحة . وكان من بين الذين طلبوا ذلك أوسيشكين الذي قال (في رأيي أنه يمكن الحديث عن نقل العرب إلى المناطق التي تحت الحكم الإنجليزي) ، أما اليعازر كبلن فقد أضاف (من واجبنا أن نثبت أن هناك أماكن

للاستيعاب في الدول العربية المجاورة ، ولا داعي لأن نلعب ألعاباً دبلوماسية) . وفي يونيو ١٩٣٨ ؛ وضع بن جوريون ضمن القضايا الثلاث المهمة المطروحة ؛ موضوعَ نقل العرب ، والمشاركة المالية من جانب الدولة اليهودية في عملية النقل ، ووسائل تنفيذها . ولكن هذا لم يكن كافياً لتوضيح الطريق أمام اللجنة ؛ ففي شهر يونيو عقدت اجتماعها الأخير - ولم يكن قد أعلن آنذاك عن حلها رسمياً - ولم تجتمع بعد ذلك ، ومن بين ثلاثين مذكرة تقدمت بها الوكالة إلى لجنة وودهيد ، لم تكن هناك مذكرة عن الترانسفير .

وعندما واجهت فكرة الترانسفير اختبارَ صعوبات الواقع - حتى من قِبَل المتحمسين للفكرة - لم يكن من الممكن قَطُّ بَلْورة خُطَّة عامة في هذا الشأن . يقول كاتس في البحث المشار إليه : إن الحماس قد ترك مكانه على مايبدو للحساب الناضج والبحث العملي ؛ لقد اتضح أن الترانسفير غيرُ قابل للتنفيذ ، ولفظت اللجنة أنفاسها الأخيرة . وهذا درس مهمّ للغاية ؛ فمن الواجب على أنصار الترانسفير أن يدرسوا المشاكل والقيود التي واجهت - آنذاك - الإدارة الصهيونية ؛ قبل أن يطلقوا التصريحات ، وقبل أن يبنوا برامجهم الانتخابية على فكرة غير قابلة للتنفيذ .

بعد أن قرأ بن جوريون تقرير لجنة وودهيد ، وبعد أن تأكد أن

حكومة بريطانيا قد أدارت ظهرها لمشروع بيل ؛ اعتقد أنه من الممكن إعادة الروح إلى فكرة التقسيم ، كما تمسك بفكرة ترحيل العرب إلى العراق التي سبق أن صاغها إدوارد نورمان ، وضاعف فحواها ؛ فقــد كتب إلــى اللجنة التنفيذية الصهــيونية في ديســـمبر ١٩٣٨ (لنعرض على العراق عشرة ملايين جنيه من أجل توطين عشرة آلاف أسرة عربية من أرض إسرائيل لديها . إن العراق في حاجة إلى استيطان عربي كبير ، وبالطبع ؛ لن يرفض كل هذه الملايين) .

إن هذا الكلام ومثله قيل في ١٩٣٨ ؛ حيث كان الحماس لفكرة الترانسفير القهري في الرمق الأخير . ومن هنا فصاعداً يمكن أن نتتبع تطور نظرة بن جوريون من الإيجابية إلى السلبية التامة تجاه الترانسفير القهري والإرادي معاً ؛ وحتى يقوم بتوضيح موقفه للأغلبية ؛ كان عليه أن يدخل في صراع غير سهل . ففي يناير ١٩٣٩ ؛ كتب بن جوريون في مفكرته (إن هكستر ؛ عضو إدارة الوكالة عن غير الصهاينة – لا يعتقد إمكانية عملية النقل ... قلت له إنني أيضاً لا أرى هذه المرة اقتراح النقل كأمر عملي ، ليس لعدم تنفيذ الترانسفير ، وإنما لأن الظروف السياسية والمفاوضات غير مناسبة) . وفي شهر فبراير التقى بن جوريون – مثلما فعل جابوتينسكي من قبله – إدوارد نورمان الذي أراد أن يقْنعه بإمكانية

تنفيذ ترانسفير عربي إرادي إلى العراق ؛ تكون أمامه فرصة نجاح أكبر إذا بدت الفكرة وكأنها ظهرت في العراق ذاته ، وبأن العراق في حاجة إلى هؤلاء العرب ، وقد أجابه بن جوريون بأنه (إذا كان من الممكن تنفيذ ترانسفير عربي إلى العراق - وكان بعدد كبير جدا - فإن هذه هي الصورة الوحيدة لقبوله) . وفي ١٧ نوفمبر ١٩٣٩ ؛ كتب بن جوريون (إنني لا أؤمن بترانسفير قهري ليس لاستحالته ، وإنما لأن إنجلترا لن تفعل ذلك . ولكن من الممكن قيام دولة يهودية في غربي أرض إسرائيل حتى بدون ترانسفير إجباري ؛ إذْ يكفي الترانسفير الاختياري) .

وقد صاغ موقفه الرافض للترانسفير الإجباري وإمكانية قبول الترانسفير الإرادي في مجلة حزبه في إبريل ١٩٤١ : إن ارتباط الشعب اليهودي والشعب العربي (بأرض إسرائيل) ليس متطابقاً ؛ إن الشعب اليهودي يرى في إسرائيل الوطن الأوحد والوحيد له ... أما العرب الذين تعتبر هذه الأرض وطناً لهم فهم جزء صغير جدا من الشعب العربي كله ، وهناك وطن واسع الأرجاء للشعوب العربية ... هذا الافتراض يفتح إمكانية وضع تنظيم نهائي لمشكلة العلاقات بين العرب واليهود ... إمكانية ترحيل العرب إلى الدول العربية ... ولكن هذا مرتبط فقط بموافقة العرب . ومن الجدير بالذكر ؛ أنه لم يفلح

في أن يقنع الأغلبية بهذا الرأي ؛ حيث إن سحر الترانسفير الذي انطلق من مشروع بيل زاد تعمية أنظار الكبار - صهاينة وغير صهاينة - حتى بعد أن مات المشروع .

وفي عامي ٣٩ و ١٩٤٠ ؛ انخدع وايزمن بتصديق مشروع فيلبي : مقابل ٢٠ مليون جنيه إسترليني ، وتقديم أسلحة لابن سعود ملك السعودية ، ومساعدة يهودية لإقامة وحدة عربية قومية برئاسته - يحصل اليهود على أرض إسرائيل الغربية فارغةً من السكان العرب . ويقول البروفيسور يهوشع فورات (الصهيونية - ١٩٨٤) إن وايزمن أبلغ السناتور جون فيلبي أنه عندما يزور الولايات المتحدة يتوقع لقاء الرئيس روزفلت ، والحصول على تأييده لأي مشروع كبير ذي طابع كهذا . وفعلاً ؛ في ١٩٤٢ تحدث وايزمن في واشنطن أمام رجال السياسة والصحافيين ؛ مستهلاً كلامه بموضوع إقامة الدولة اليهودية ، وطرح اقتراح الترانسفير العربي . أما بن جوريون فقد تحدث في اجتماع نيويورك الصهيوني الاستثنائي (برنامج بلتيمور) ضد الترانسفير .

وفي لندن اقترحت مجموعة إنجليزية برئاسة أرنولد لورانس ؛ شقيق لورانس العرب - قيام فيدرالية بين أرض إسرائيل وسورية والأردن ؛ تشمل دولة يهودية بلا عرب ؛ تمتد - إلى جانب المساحة

التي اقترحها في مشروع بيل - إلى النَّقَب وقطاع الجزيرة في سورية . وقد أوضح بن جوريون لرجال هذه المجموعة أنه (لا يريد الجزيرة وإنما يريد كل أرض إسرائيل الغربية كدولة يهودية ؛ وبدون ترانسفير إجباري) ، وكان من رأيه أيضاً أنه يمكن أن تقوم دولة اليهود على كل أرض إسرائيل بمن فيها من العرب .

وفي أكتوبر ١٩٤١ ؛ عشيَّة إبحاره من لندن إلى نيويورك - صاغ بن جوريون (أهداف الصهيونية في هذه المرحلة) ، وبَدَا أن عينيه قد تفتحت على الواقع بكل عُقَده ومشاكله ، وأنه لن يدعو مرة أخرى إلى الترانسفير ؛ لا الإجباري ولا الاختياري : (يوجد أناس في إنجلترا وأمريكا يوصون بنقل عرب إسرائيل إلى العراق وسورية كحل متميز لِمَا يسمونه بالمشكلة العربية ... إن إجراء عملية نقل بدون إجبار هو أمر لا يمكن التفكير فيه ... لا يجب أن نعتقد أن القطاع الأكبر من الفلاحين وأهل المدن سيرحلون زُمَراً ؛ أيًّا كان الإغراء الذي أمامهم . في الحرب (الحالية) يواصل الترانسفير اقتحام النفوس كعلامة مضمونة لحل مشاكل الأقليات ... إن (قضية) نقل سكان بحجم كبير في أوربا الشرقية والجنوبية ستحتل مكاناً مهماً في مشروعات تسوية القضايا بعد الحرب ... ولكن لن يكون من الحكمة إذا أوصينا بنقل العرب من أرض إسرائيل قهرا وإجبارا ...

من الصعب أن نعتقد أن إنجلترا المنتصرة سوف تساعد على إجبار العرب على الرحيل؛ من أجل صالح الشعب اليهودي فحسب . لهذا سيكون خطأ سياسيًّا - وأخلاقيًّا أيضاً - أن نوصي بعملية ترانسفير إجباري ضد العرب ... هل هناك مجال لأن نفكر في عملية نقل بالاختيار ؟ إذا كانت الدول العربية المجاورة - خاصة سورية والعراق اللتين ترغبان في زيادة عدد السكان العرب فيهما - على استعداد للتعاون على عملية النقل ؛ فيمكن أن نجد عدداً معيناً من عرب أرض إسرائيل على استعداد لترك أرض إسرائيل والاستيطان في سورية والعراق ؛ مقابل مزايا اقتصادية معقولة ، وحتى وقتها سيكون النقل مرتبطاً بحدود التجمع العربي ، أما الأغلبية العربية فلن نتوقع أن ترحل بإرادتها . إن وجود مليون عربي في أرض إسرائيل ؛ حتى لو كان يثير مشاكلَ ومصاعبَ سياسية بالنسبة إلى الدولة اليهودية - لا يجب أن يعرقل - بقدر جاد - مسيرة الهجرة والاستيطان بحجم كبير . علينا ألا نثقل على كاهلنا - إلى جانب نشاطنا السياسي المعقد جداً - بهذه القضية المشكوك في أمرها المسماة بالترانسفير . إن هذا الأمر لن يسهل عملنا ، وإنما يمكن أن يقوِّض موقفنا الأخلاقي ، ويشوِّه صورتنا ، ويعتِّم حقيقة أن أرض

إسرائيل - بحاضرها - يمكن أن تستوعب نظاماً سياسيًّا مناسباً لملايين اليهود ؛ من دون أن يسبب متاعب للعرب) .

وخلال الأعوام ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢ التي قضى بن جوريون معظمها في الولايات المتحدة ؛ صدَّ - بإصرار - اليهود وغير اليهود الذين آمنوا بفكرة الترانسفير العربي كأفضل حلٍّ للنزاع بين الشعبين . والمثير هنا هو نوعية هذه المجموعة ؛ فقد برز من بين اليهود لوي برنديس ، وفليكس فرانكفورتر ؛ من قضاة المحكمة العليا الأمريكية ، وكوريشن ادلر ؛ مؤسس اللجنة اليهودية / الأمريكية ، ومن بين غير اليهود الرئيس السابق هربرت هوفر - حيث استماله الإصلاحي اليهودي الياهو بن حورين إلى فكرة الترانسفير إلى العراق - وأحياناً الرئيس فرانكلين روزفلت . وهذه الحقيقة المفاجئة (!!) ظهرت في الحوار الذي دار بين روزفلت وأوليفر ليتلتون ؛ وزير الإنتاج البريطاني - في أكتوبر ١٩٤٢ ؛ كما سجل في وثائق الأرشيف البريطاني (كان الرئيس * يميل إلى الاعتقاد

---

* أي الرئيس فرانكلين روزفلت ؛ الرئيس الحادي والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية ؛ أعيد انتخابه رئيساً للمرة الثالثة عام ١٩٤٠ على غير المعتاد ! وكانت زوجته اليانور روزفلت رئيس لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة !

بإمكانية سحب العرب من أرض إسرائيل تحت إغراء الأراضي والأغنام ، وتوطينهم في منطقة حلب) ، ولهذا ؛ كتب بن جوريون لشاريت في واشنطن – ٨ / ٢ /٤٢ : (أرى أصدقاءنا في الحكومة يشبهون جميعاً كدوري (وكدوري هذا هو الاسم الحركي لرجل استخباراته السفير بوليت) ؛ عندما قال لي كدوري إن الأمر الذي يجب عمله في البلاد بسيط : ترحيل جميع العرب الذين على ضفتي الأردن ، وتسليم اليهود دولةً كاملةً خاليةً – حاولت أن أوضح له أن الأمر ليس سهلاً ، ولا داعي أبداً لترحيل العرب ، و عندئذ سقطت صهيونيتي في نظره ، ولم يكن فليكس فرانكفورتر راضياً عن محاولتي هدم وَهْم لطيف) . وهكذا ؛ تلقى بن جوريون عند عودته إلى إسرائيل قوة صدٍّ كبيرة .

إذا صح أن نقول إن اقتراح الترانسفير الذي صدر عن لجنة بيل جذب كالسحر الكثيرَ من الصهاينة ؛ فإن المأساة النازية في أوربا ، وخطر الإبادة في البلاد الذي هدد الكيان اليهودي – زادا الحاجة إلى الأمل : عندما يحل السلام ؛ سيعترف العالم بالظلم الذي وقع على الشعب اليهودي ، والجزاء العادل الذي يجب أن يحصل عليه ، والسماح لليهود بإقامة دولتهم بمعاونة ترانسفير عربي .

وقد اتضح هذا الاتجاه خلال المؤتمر الخامس للهستدروت في

إبريل ١٩٤٢ ؛ ففيه ألقى يسرائيل بن شيم ؛ المعتدل ؛ عضو المركز الزراعي ، ومن زعماء حركة العامل الصهيوني - خطاباً من فوق منصة المؤتمر ؛ مؤيداً للترانسفير (يجب أن نفكر إلى النهاية في جميع جوانب الأمر . هذه الأرض إمّا أن تكون لنا وإمّا أن تكون للعرب . لا يمكن أن نعيش معاً عليها ... إن أجيالنا الأخيرة نجحت في حل مثل هذه المشاكل وبشكل إيجابي ... إنني أقصد القيام بنقل السكان ... يجب أن نذهب إلى العالم ونطلب تسوية أساسية ... وهذا الأمر له احتمالات إيجابية . لقد استوعبت العراق والدول العربية ذات مرة عدة ملايين ... هكذا يجب أن نعرض الأمور ، ونوقف البحث عن جميع الأشكال التي من شأنها في النهاية تشويه صورة الصهيونية) .

من الصعب ألا نقول إنه في لحظة الضيق بالذات ، وفي المواقف الحرجة التي لا مخرج منها ؛ قَوِيت فكرة الترانسفير كأمل أخير يائس ، وبهذا ؛ أصبحت المواجهة أمام بن جوريون أكثر صعوبة ؛ حتى إن الخبير الزراعي ؛ عقيبة اتينجار ، وهو من آباء الاستيطان الزراعي الصهيوني - دعا إلى شراء أراضي شمالي سورية وأرض الرافدين ، ونقل عرب أرض إسرائيل إليها ؛ ولم يفته أن يضيف جانباً من الأهمية السياسية إلى اقتراحه .

وفي نوفمبر ١٩٤٢ ؛ قال بن جوريون في اجتماع اللجنة التنفيذية الصهيونية : (أعتقد أن الفكرة التي قيلت في أمريكا وإنجلترا في أثناء الحرب ، وهي أن حل المشكلة العربية سيكون عن طريق الترانسفير – هي فكرة ضارة لقضيتنا ؛ لأنه لاداعي لأي ترانسفير من أجل توطين ملايين اليهود في إسرائيل . إن وجود العرب يمثل عائقاً لكنه لا يمثل مانعاً ... هناك أراضٍ لا يقيم فيها العرب . وفي الصناعة ؛ لسنا – بالطبع – في حاجة إلى العرب ... البحر مفتوح فهو ليس عربياً أو إنجليزياً ... إذا كانوا يرغبون (سورية والعراق) في زيادة السكان العرب من أجل مواجهة إيران ؛ فهذا شأنهم . أية عملية إجلاء للسكان نقوم بها سوف تكون ضارة . إن القضية الصهيونية الكبرى ليست في حاجة إلى هذا ؛ وإنْ كان من الأفضل أن يستوطن العرب في العراق ؛ لكن هذا شأنهم . إنني أقول إنه مع التغيير الذي طرأ على شكل العالم ، والمشاكل الإنسانية الكبرى ، واضطرار أمريكا لأن تطعم عشرات الملايين لعدة سنوات ، والثورة في عالم المواصلات ، ونقل السكان ؛ أقول إذا قمنا نحن – على أساس تجربتنا الاستيطانية في المدينة والقرية ، ومعرفتنا بالأرض ، وخوفنا على هؤلاء الناس (بقايا المأساة النازية) – وقلنا للعالم إنه يمكننا أن ننفذ عملية ترانسفير (لليهود) ونوطنهم

اقتصادياً ؛ بدون المساس بأي عربي – فسوف يقبل هذا ، وقد قام اليونانيون وهم أقل كفاية منا بنقل مليونين خلال ١٨ شهراً فقط) .

منذ هذا الحين حتى وفاته ؛ تمسك بن جوريون برفض الترانسفير ؛ حتى في عام ١٩٤٤ ؛ عندما كانت موضة الترانسفير تسود بريطانيا – مثلما قال شاريت في إدارة الوكالة – لم يسلم بن جوريون لبواعث الإغراء . وعندما انضم إلى الدعوة اثنان من وزارة حزب العمال : وزير شؤون المواصلات ؛ نوئيل بيكر الذي تكلم عن مبلغ ١٠٠ مليون جنيه إسترليني – وكان هذا المبلغ – آنذاك – يُعَدُّ خيالياً – لإعادة توطين عرب إسرائيل ، ثم يودلتون ؛ وزير المالية الذي أدخل عملية ترجيل العرب ضمن البرنامج الانتخابي الذي صاغه لحزب العمال ؛ لم يتخلَّ بن جوريون عن رأيه . وفي مايو من العام نفسه ؛ أعاد شرح موقفه لإدارة الوكالة بما أسماه بالموقف الخطير : (لو سألني (رجال حزب العمال) كيف يجب أن يكون برنامجهم ما كان سيخطر على بالي أن أقول لهم ضعوا الترانسفير ؛ لأن الحديث عن هذا الموضوع سيكون ضاراً من جانبين : ضاراً أمام الرأي العام العالمي ؛ حيث سيخلق انطباعاً بأنه لا مكان لنا في أرض إسرائيل إلا إذا خرج العرب، ثم إن البعض سيقول إن اليهود ظالمون . ما كنَّا في حاجة أبداً إلى أن نقترح أمراً كهذا ؛ لأننا لا نستطيع تنفيذه) .

ويبدو أنها كانت واحدة من المرات القليلة التي حدث فيها اتفاق بين بن جوريون والدكتور سنتور ؛ مندوب غير الصهاينة في إدارة الوكالة اليهودية ؛ فقد لخص موقفهما في ديسمبر ١٩٤٤ بقوله : (إنني أعرف أمراً واحداً ؛ أن الذي لن يحدث هو أن نضطر إلى التعايش مع العرب ؛ ليس فقط في أرض إسرائيل ، ولكن على الأقل في الشرق الأدنى ... إنني لا أرى في ترحيل العرب من أرض إسرائيل أية قضية أخلاقية ؛ إنما أفكر في مأساة خمسة ملايين يهودي وترحيل مليون عربي ... إنني أقول بضمير نقي وطاهر إنه لمسموح بأشياء كثيرة سيئة إلا أنني أشك في إمكانية تنفيذ هذا الأمر بمفهوم سياسي) .

وظل بن جوريون رافضاً فكرة الترانسفير العربي ؛ حتى بعد أن أعطى عضو البرلمان الإنجليزي المتعاطف مع الصهيونية ؛ ريتشارد كروسمان - وكان واحداً من الزعماء الشبان في حزب العمال - لفكرة الترانسفير بعداً أخلاقياً جديداً في عام ١٩٤٦ . وعندما تولى بن جوريون منصب مسئول الدفاع عام ١٩٤٧ ؛ رفض مشروع الترانسفير تماماً ؛ برغم أنه كان يعلم (أن الدولة سوف تهاجَمُ من جانب العرب فَوْرَ قيامها) . وقال في شهر نوفمبر أمام أعضاء حزبه (إنني أقول إن لنا حقًّا في أرض إسرائيل الغربية

كلها ، وإنني لا أطالب مثل كروسمان بترحيل العرب ؛ لقد قال حزب العمال البريطاني إنه يجب ترحيل العرب ، أما نحن فلا نقول هذا ؛ لعدة أسباب ؛ أسباب سياسية . ليس هذا ضرورياً من أجل توطين ملايين اليهود . إنه لمن المريح - حقًّا - ألا يوجد عرب هنا ، ولكن يمكن أن يكون العرب هنا ، ونستطيع نحن توطين أربعة ملايين يهودي . لم نطلب ترانسفير ، وعندما نطالب بحقنا في أرض إسرائيل سيكون هذا دائماً مع وجود العرب) .

وعلى هذا الاعتقاد وضع بن جوريون آخر صيغة لميثاق الاستقلال ؛ حيث أكد أن الدولة ستنفذ مساواة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لكل مواطنيها ؛ بدون الفارق في الدين و النوع و الجنس ، وأنها ستقوم على أسس الحرية والعدل والسلام ؛ طبقاً لنبوءات أنبياء إسرائيل .

وقد احتاج بن جوريون بعد أن أصبح رئيساً للوزراء ؛ إلى موضوع الترانسفير ؛ عندما أراد بلّورة موقف إسرائيل تجاه اللاجئين العرب ؛ ففي بيانه أمام الكنيست في ١١ أكتوبر ١٩٦١ قال بن جوريون : « إن عدد العرب الذين عاشوا قبل قرار الأمم المتحدة في المنطقة التي خصصت لدولة اليهود - ليس أكبر من عدد اللاجئين اليهود النازحين من الدول العربية ، وهو ما أدى إلى حدوث تبادل

سكاني هنا لم نخطط له . هذا ما جرى بالفعل ، وليس هناك أية إمكانية فعلية أو أساس أخلاقي لإعادة العجلة إلى الخلف » .

ومنطقيًّا ؛ من المفهوم بالقدر نفسه عدم إمكانية دفع العجلة إلى الأمام ؛ لا فعليًّا ولا أخلاقيًّا . وكبرهان على المنطقية النموذجية فإن بن جوريون طبَّقَ هذا الموقف أيضاً بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان عام ١٩٦٧ ؛ حيث دعا إلى المحافظة على الصبغة اليهودية لإسرائيل ، وبهذا ؛ أراد أن يقول إن إعادة هذه الأراضي أفضل من ترحيل سكانها .

١٩ – مجلة « دراسات فلسطينية »

التى تصدر باللغة الفرنسية فى باريس

عدد ٢٩ ، خريف ١٩٨٨

فكرة النقل (الترانسفير) فى العقيدة الصهيونية

بقلم : اسزائيل شاحاك

رئيس الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان

مجلة « دراسات فلسطينية » التي تصدر باللغة الفرنسية في باريس ، عدد ٢٩ ، خريف ١٩٨٨.

بقلم : إسرائيل شاحاك ؛
رئيس الرابطة الإسرائيلية
لحقوق الإنسان

فكرة النقل (الترانسفير) في العقيدة الصهيونية

منذ ما يقارب العام أو للمزيد من الدقة ؛ في يونيو / يوليو ١٩٨٧ – نشأت حركة في المجتمع اليهودي الإسرائيلي ، ومنذ ذلك الحين أصبح لها أتباع . إنها الحركة التي تنادي بطرد الفلسطينيين من المناطق ، أي من الضفة الغربية وغزة ؛ باتجاه البلدان العربية ؛ أو أية منطقة خارج فلسطين ، وأبعد ما يمكن عن فلسطين . وقد لا يشمل مفهوم الطرد الفلسطينيين ذوي المواطنية الإسرائيلية ، وبذلك تفرق هذه السِّمَة بين تلك الحركة وحركة « كاخ » التي يتزعمها كاهاناه ، ويبدو أن هذا أيضاً ما يجعلها أخطر من حركة « كاخ » .

لقد حاول الصهاينة – في الماضي – أو خططوا فحسب لطرد الفلسطينيين ، وكانوا يسمون ذلك بـ « الترانسفير » ، وهو ذاته المصطلح الذي تستخدمه الحركة الحالية ؛ اقتداءً بذلك النموذج ،

وبهذا الاسم أصبح المشروع معروفاً لدى الجميع في إسرائيل منذ العام الماضي .

عنصران يجعلان فكرة « الترانسفير » خطيرةً للغاية : التشجيع الذي تلقاه من قبل أقلية كبيرة جداً (٤١ ٪ في يونيو ١٩٨٨ ؛ حسب ما جاء في إحدى الإحصائيات التي لا تقل بصفة دائمة عن ٣٥ ٪) ، ثم موافقة الشخصيات النافذة على هذه الفكرة ، أو على الأقل ؛ عدم معارضتها لها . هذا هو السبب الأول الذي يضفي - في تقديري - أهمية كبيرة على محاولة إدراك المشروع ، وفهم تاريخه ، ودوافعه ، ومترتباته ؛ فالأمل الوحيد لإفشال هذا المشروع يكمن في أن نتعلم كيف نعرفه بالتفاصيل . ومن جهة أخرى ؛ يمكن للتحليل المتعمق لفكرة الطرد وتاريخها أن يوضح الأيديولوچية الصهيونية برمتها ؛ وبالأخص الأوجه الفريدة للصهيونية التي ولدت من داخل الطائفة اليهودية - وهي ذاتها فريدة ؛ ثمَّ لا يمكن تصنيفها ضمن الأنظمة الاستعمارية الأخرى ، أو ضمن مجتمعات أخرى من المستعمرين ؛ تلك التي لم تحاول قَطُّ أن تطرد السكان ؛ وإنما عَمِلت على الإخضاع والاستغلال (للشعوب التي استعمرتها) ؛ فلابد من التذكير بأن الطرد والاستغلال هما ممارستان متناقضتان : يمكن القيام بالأولى ، ويمكن القيام

بالثانية ، ولكن ليس بالاثنتين في وقت واحد .

ولكي نفهم جسامة المشروع يجب مقارنته بالمخطط الرسمي للحزب النازي ذلك المخطط الهادف إلى « الحل النهائي للمسألة اليهودية » الذي طُرِحَ قبل استلام السلطة في العام ١٩٣٣ ، والذي حمل اسم « الترانسفير » حتى عام ١٩٣٩ ، ثم تحول إلى « إبادة اليهود » . واليوم يسلم الجميع - بما في ذلك معظم الصهاينة - بأن أحد العوامل المهمَّة في نجاح النازيين الباهر كان عامل المفاجأة ، فالواقع أن النازيين كانوا قد عرضوا مشاريعهم علناً ولكنها لم تلقَ إلا القليل من الاهتمام ، ويُخشى أن يحدث الشيء نفسه فيما يتعلق بتخطيط « نقل » (ترانسفير) الفلسطينيين ، وهو التخطيط الجدير بالنازيين - إذا لم يُعِرْه العالمُ خارج إسرائيل الاهتمام المطلوب ؛ حيث يحمله بعض الإسرائيليين على محمل الجد .

ونظراً لوجود أقلية من اليهود الإسرائيليين الذين يعيرون مشروع « الترانسفير » اهتماماً بالغاً ، ولا يخشَون الكتابة أو التصريح بأنه تعبير عنصري شبيه بأسوأ النماذج التاريخية بما فيها عنصرية النازيين - تضم هذه الأقلية في صفوفها عناصر صهيونية وعناصر صهيونية يمينية أيضاً ، وبالفعل - وكما سنبين لاحقاً - فإن فكرة « الترانسفير » البغيضة هذه قد نبتت أولاً في الأوساط

الصهيونية ؛ خاصة في أوساطها « اليسارية » أو « الاشتراكية » المزعومة ؛ لكل ذلك يمكن القول – بشكل عام – إن معارضة « الترانسفير » في إسرائيل نفسها تصدر عن جميع قطاعات الرأي العام ؛ إلا أنها تظهر بقوة أكبر عند اليهود العلمانيين منها عند اليهود الأرثوذوكس، وسنرى فيما بعد أن هناك أسباباً وجيهة لذلك .

ونعرض فيما يلي بعض الأمثلة للإنذارات الجِدية المنشورة في الصحافة الإسرائيلية ؛ فيما يتعلق بالإمكانية المادية للقيام بعملية « الترانسفير » :

نشر إسرائيل إيلات – العضو السابق في «ليحي» (مجموعة شتيرن) – في « حدشوت » ؛ بتاريخ ٨ مارس ١٩٨٨ ؛ مقالا ذا عنوان معبر : « الحرب الأهلية أفضل » ؛ يستنكر فيه الإعلام المفتوح لبعض رفاقه القدماء لصالح « الترانسفير » . ويقارن مشروع العملية هذا بـ « نقل » (ترانسفير) اليهود البولونيين والمجريين على يد الحكومة المجرية الموالية للنازيين الذي أدى إلى إبادتهم ؛ خلال الحرب العالمية الثانية ، ويعلن عن نيته القتال ضد مثل هذه المحاولة ، ولو كان الثمن وقوع حرب أهلية في إسرائيل . ولقد وافق البعض على هذا الإعلان ، وفي اعتقادي أن بعض اليهود في إسرائيل مستعد للقتال ضد يهود آخرين ؛ لمنع حدوث عملية طرد جديدة للفلسطينيين .

وقام صحافيان إسرائيليان حسنا الاطلاع – يوسي ملمان ودان رفيف (يناصر الأول حزب العمل بدرجة أو بأخرى) – بنشر مقالين متشابهين إلى حد كبير ، وفي وقت واحد تقريباً ؛ نُشر الأول في « دافـــار » والثاني فـــي « الواشـــنطن بوست » (أعادت نشره « الجارديان ويكلي » بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٨) . المقال الأخير عنوانه : « حل نهائي للمسألة الفلسطينية » ، والإشارة واضحة : إذ يعلم الكلّ – أو من المفروض أن يعلموا – أن المخطط النازي الهادف إلى « نقل » (ترانسفير) اليهود في البداية ثم إلى إبادتهم ؛ كان يحمل اسم « الحل النهائي للمسألة اليهودية » ؛ ويقول المثل العبري : « الرجل الحكيم يكفيه إنذار واحد » . وأَخْ ؛ كم هو قليل عدد الحكماء في العالم ؛ فالقليل القليل من الناس يبذل جهداً لفهم إنذار واضح للغاية .

وتجــدر الإشـــارة إلى أمر آخر : بين الإسرائيليين المعارضين « للترانسفير » – الذين يتمتع بعضهم بالنفوذ – كثيرون لايستندون إلا إلى أسباب براجماتية ، ويتجنبون الرجوع إلى المبادىء وإلى القيم الأخلاقية ، وهم يمتنعون – بعناية – عن القول بأن طرد الفلسطينيين من وطنهم هو عمل قبيح ، ويكتفون بملاحظة أن

المشروع قليل الواقعية ، أو أنه صعب التنفيذ ، وبذلك يعوّدون الناس على الفكرة . ومِنْ هؤلاء شخصيات بأهمية جنرال الاحتياط شلومو جازيت الذي شغل منصب قيادة المخابرات الحربية ؛ فهو يعلن بدءاً أنه فيما يتعلق بموضوع « الترانسفير » ؛ يكون السؤال الأول المفروض طرحه هو : هل يشكل ذلك حلا لمشكلتنا؟ (التشديد من عندنا - إ . شاحاك) ، ثم يشرح كيف أن هـذا « الترانسفير القسري » يرتكز على « طرد الأغلبية العظمى من السكان العرب القاطنين اليوم إلى جوارنا ؛ أي ما يربو على مليوني عربي من أرض إسرائيل » . هذه هي الحقيقة في الواقع ، لكن شلومو جازيت يقصر تعليقـه بعد ذلك على القول بأنه « من غـير الممكن تحقيق ذلك » (هآرتس ، ٢ مارس ١٩٨٨) * . أما عالم الجغرافيا والديموجرافيا الشهير في جامـعة حيفا ؛ الأستاذ آرنون سوفير ؛ القريب جداً من أعـلى الدوائر الحكومية الإسـرائيلية ؛ فلا يجد لمعارضة «الترانسفير» سوى الحجة التالية : « عندما يذكر البعض هذه الفكرة أذهب بها إلى النهايـة ، وأصف عملية الإبعاد بكل التفاصـيل ، كم

* المقـال المقتبسة منه هذه العـبارات معنـون : « الترانسفير - قضية في حاجة إلى توضيح جماهـيري » ، وترجمته منشـورة في هـذا الكـتاب .

سيكلف ذلك ؟ كم ستحتاج إلى شاحنات ؟ وعلى طريق الإبعاد ؛ أين ستقام معسكرات العبور، والمعسكرات المُسيَّجة ؟ وبصفة خاصة ؛ ما هو عدد الأشخاص الذين سيمكننا إبعادهم قبل تدخل القوى العظمى ؟ إن أنصار « الترانسفير » أنفسهم يفهمون (عند ذكر الأمر الأخير) أن المشروع غير قابل للتحقق » (« كوتريت راشيت » ، ٣ فبراير ١٩٨٨ ، التشديد من عندنا - إ . شاحاك) .

وتوضيحاً لمن يريد فهم الأمر على حقيقته ؛ نتناول - على سبيل المثال - حالة فرنسا ، ولنتصور ماذا سيكون رد الفعل لو حدث ذلك على أراضيها وتعلق الأمر باليهود : لو أعلن ٤١ ٪ من الفرنسيين تأييدهم لطرد اليهود ، ولم يواجه ذلك سوى بحُجَجٍ براجماتية كالتي ذكرتها ؛ لأدركنا بواعث الخبث وعدم الاستقامة المخيفة لبعض الشخصيات المرموقة في الحركة الفرنسية المناهضة للعنصرية ؛ من أمثال برنار هنري ليفي الذين يرفضون إبداء أدنى استنكار لهذه العنصرية ؛ لمجرد أنها عنصرية يهودية وليست موجهة ضد اليهود ؛ وبذلك يشجعونها في الواقع . وأخشى أن نكون بحاجة إلى مثل هذا النوع من التشبيه ؛ لرفع الحجاب عن الأفكار المسبقة ؛ ولإظهار الوضع الإسرائيلي على حقيقته مع ما يكمن فيه من أخطار .

فكرة « الترانسفير » فيما قبل التاريخ :

يجب أن يكون واضحاً – حتى من دون اللجوء إلى التشبيه – أن فكرة الترانسفير ذات جذور عميقة في الفكر اليهودي ؛ وإلا ما استطاعت اكتساب مثل هذه الشعبية في إسرائيل وبين اليهود في الشتات . ينسى العديد من الناس – أحياناً عن « حسن نية » ، وأحياناً عن جهل ، أو لأسباب انتهازية – أن الصهيونية هي حركة يهودية ، وأنه لا يمكن فهمها بدون دراسة التـاريخ اليهـودي . وإذا ما اكتفينا بمفـاهيم عامة ؛ كمفهوم « مجتمع الرواد » ، أو مفهـوم « الاستعمار » ... إلخ ؛ من دون أن نضيف إليها الماضي الخاص بالشعب اليهودي – سنخطىء تماماً في تقديرنا للواقع ، وعلى وجه الخصوص ؛ في تقديرنا لبعض المسائل كقضية « الترانسفير » ، ولهذا ؛ يجب تناول فكرة طرد غير اليهود من أرض إسرائيل ؛ على ضوء النصوص المقدسة لليهود ولا سيما تلك التي تؤثر حاليًّا على المجتمع اليهودي الإسرائيلي .

لاشك أن العامل المؤثر اليوم في الأغلبية العظمى للإسرائيليين الذين يتكلمون ويقرءون العبرية هو التوراة ؛ أي العهد القديم بالنسبة إلى المسيحيين . تتمتع التوراة بمزايا أدبية وشعرية إلى حدٍّ أن أكثر

الذين يعارضون – مثلي – بشدة جزءاً من نفوذها السياسي والاجتماعي ؛ لايمكنهم الإحجام عن حبها – ليس ممكناً وصف هذا الشعور بغير هذه الكلمة – لجمالها ، إلا أن التربية الإسرائيلية تشجع ذلك النفوذ بكل ما تملك من قوى ، وهي هائلة . فَلْنُلْقِ نظرة سريعة على السلوك الموصوف في التوراة تجاه السكان غير اليهود أو غير الإسرائيليين (المصطلحان يترادفان بالعبرية) المقيمين على أرض إسرائيل .

الأمر الأول الذي يفرض نفسه على ذهن القارىء – وبخاصة إذا كان طفلاً – هو عدد المرات التي يُذكر فيها أن الله نفسه يأمر أطفال إسرائيل بعدم ترك ولو واحد غير يهودي حيًّا على أرض إسرائيل بل يأمر بإبادة غير اليهود . وبالفعل ؛ فإن « الفرض المقدس » فوق كل الفروض القاضي بإبادة أي شعب غير يهودي يعيش على الأرض المقدسة – يسيطر بدرجة فائقة على التاريخ التَّوْرَاتي ، ولا يوجد تعبير واضح عنه ، لكنما المعنى كامن إلى حد أن « الترانسفير » يمكن أن يظهر لشخص مشرَّب بالمفاهيم التَّوْرَاتية بشكلها المفرِط في التبسيط ، أو « الخالص » كحل « إنساني » . والمثل الأكثر نموذجية هو الوصية الواردة في سفر « التثنية » : الإصحاح ٢٠ : فبعد أن أصدر موسى تعليماته – بوداعة نسبية –

التي قضت بأنه في حالة المدن البعيدة التي لا تقبل الخضوع والتي انتصـــر عليها أبناء إسرائيل ؛ فقط « جميع ذكورها » ؛ أي الراشدين ، سيتم قتلهم ، ويستبعد النساء والأطفال (الآيات ١٠ - ١٥) ، وباسم الخالد ، نبَّه موسى بمَهَابَةٍ إلى أن هذا التسامح لن يسري على أرض إسرائيل نفسها : « وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً » (الآيات ١٦ و ١٧ وتتبعها قائمة بالشعوب المطلوب إبادتها كليا « كما أمــرك الرب إلهك ») . وكذلك يبدأ الإصحـــاح ٧ من سفر « التثنية » بما يلي : « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك (الشعوب التي كانت تقطن البلاد) ... ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم » (الآيات ١ و٢) . وهناك عدد لايحصى من الفقرات المشابهة ؛ وعلى وجه التحديد ؛ تلك التي تختارها المدارس الإسرائيلية لأسباب تاريخية وأدبية معروفة (وهذه هي حالة المقتطفات التي نذكرها ، ويعرفها جيداً كل تلميذ) . هناك أيضاً عدد كبير من الآيات التي توصي بذبح الأطفال الصغار وإن كانوا من سجناء الحرب ؛ كما جاء في القصة الشهيرة التي لامَ فيها موســى بمهابة جيشَ إسرائيل ؛ لأنه ترك الأطفال الذكـور والنســاء

المتزوجات على قيد الحياة ، ثم ألقى بهذا الأمر : « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ... » (سفر « العدد » ، الإصحاح ٣١ ، الآيات ١٣ - ١٨) . وفي الأسفار التالية ؛ تتناول مقتطفات عديدة موضوع الإبادة الجماعية ؛ حيث تظهر كفعل ومُرضٍ تماماً ، وتقوي الانطباع بوجود أمر لإبادة الجنس . ولنتجنب الدخول في النقاش التاريخي حول حقيقة عمليات إبادة الجنس هذه ؛ فبعض الإخصائيين الإسرائيليين من أكثر المتبحرين في التوراة والأكثر نفوذاً ؛ مثل يحزقيل كوفمان - يعتقدون أن عمليات الإبادة قد حدثت بالفعل ، ويبرهنون على وقوعها في عدة مؤلفات علمية ، لكن ليس هناك شكٌ في أن تاريخ الشعب اليهودي يعطي عملية إبادة الجنس قيمةَ الأسطورة المقدسة التي أحيطت بإجلال منقد باعتبارها حقيقة . ويمكن أن يساعدنا هذا على فَهْمِ الاختلاف الاجتماعي المهمّ جداً الواقع حاليا بين اليهود الإسرائيليين الميالين إلى قبول فكرة « الترانسفير » ، وممارسة جميع أشكال الأعمال الوحشية ضد العرب - من جانب ، والذين يعارضون ذلك ؛ من جانب آخر . في المجموعة الأولى نجد نسبة كبيرة من اليهود المتدينين السلفيين المستندين إلى تبريرات « يهودية » وتَوْرَاتية ، على حين تتكون المجموعة الثانية - غالباً - من عناصر غير متدينة ، وأخرى مناهضة

للدين (ممَّا يُفسَّر في إسرائيل كمنَاهَضةٍ لليهودية ، وهذا منتشر في الخارج أكثر بكثير مما يعتقد) ؛ تجد نفسها في نظام من القيم الغربية . ومن الصعب جدًّا أن نجد حاخاماً إسرائيليًّا ذا أهمية ألقى في يوم من الأيام بكلمة توصي بالعدالة أو بالرأفة تجاه العرب ، والذين قُدِّموا خارج إسرائيل على أنهم من المتبنينَ لمثل هذه المواقف ؛ اكتفوا بإبراز مصالح اليهود ، ولكنهم لم يسلكوا قَطُّ مسلكاً إيجابيًّا تجاه غير اليهود . وهناك نموذج وافٍ في أقوال الحاخام الأكبر السابق والمرشد الروحي الحالي صاحب النفوذ الكبير لحزب « شاس » : الحاخام أوفاديا يوسف - المشجعة لإعادة محتملة للمناطق ؛ إن كان ذلك يسمح بالحفاظ على حياة أناس من اليهود . لقد أعلن الحاخام العَالِم أن اليهود لو كانوا أقوياء بما فيه الكفاية لطردوا جميع المسيحيين من أرض إسرائيل ؛ وبخاصة من القدس (سنتناول - فيما بعد - الواجبات المختلفة المحددة لطرد المسيحيين ولطرد المسلمين) ، ولَمَّا كنا نحن اليهود ضعفاء ؛ بما لا يسمح لنا بتأدية هذا الفرض المقدس من دون أن يترتب ضرر كبير علينا (هكذا يقاس ضعفنا الحالي) ؛ فمن الممكن أن توجد ظروف نرى فيها أنفسنا مجبرين على إعادة المناطق . نحن نشاهد يوميًّا أمثلة مشابهة أو أسوأ ، ولاشك أن اليهود يواجهون في الشتات ظروفاً

كهذه ، ولكنها لا تناقش صراحة ؛ فيتعاظم الخطر الذي يبدو أقل حدة في إسرائيل ؛ حيث النقاش يتم بحرية نسبية – على الأقل منذ بضْعة أعوام – وحيث يتراجـع أكثر فأكثر التعلق بالدين عـند العديد من اليهود الإسرائيليين .

وفي الكتابات المقدسة تلقى إبادة غير اليهود على أرض إسرائيل الحُظْوة نفسها ؛ مثلما هو الحال في جميع التفسيرات المهمة للتوراة ؛ إلا أن هناك مقاطع نادرة تخفف بعض الشيء من فظاعة إبادة الجنس الكاملة . والواقع أن فكرة « الترانسفير » تظهر كواحد من بدائل إبادة الجنس ؛ فنحن نرى – في مقطع مشهور من التَّلْمُود – يشوع قبل دخوله إلى فلسطين التي سيفتحها يوجه إنذاراً إلى السكان : إمّا أن تخضعوا وتقبلوا بالعبودية وتصبحوا « حطابين وسقايين » ؛ كما حدث لأهل جبعون (الإصحاح ٩ ، الآيات ٢١ و ٢٣ و ٢٦ و ٢٧) ، وإمّا أن تهاجروا « بإرادتكم » ، وإذا ما استمر هؤلاء بالقتال فستتم إبادتهم ؛ كما جاء في سفر يشوع . ومن الجدير بالذكر ؛ أن تعبير « حطابين وسقايين » باللغة العبرية الحديثة إشارة إلى الفلسطينيين الواقعين تحت السيطرة اليهودية ، ويستخدمه جزءٌ من السكان بطيب خاطر ، في حين يكرهه الجزء الآخر ، والاثنان متأثران بالتوراة . إلا أنه في التوراة ذاتها لم يأت ذكر « الترانسفير »

إلا مرة واحدة في سفر « الخروج » ؛ الإصحاح ٢٣ ؛ الآيات ٢٧ – ٣٢ ؛ حيث وعد يهوه بإيقاع « الذعر » ، وبإرسال الزنابير لطرد سكان أرض الميعاد أمام العبرانيين ، ولكن بتمهل وليس فجأة ؛ كما في الفصول الأخرى : « لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البَرِيَّة ، قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض » (الآيات ٢٩ و ٣٠) . وفي هذا المقطع المهمّ يبدو حجم البلاد التي ستطرد أهاليها أكبر بكثير من حجم فلسطين (الآية ٣١) ؛ إذ إنها تمتد حتى الفرات . وحسب ما جاء في شهادة الشاعر الصحافي المشهور الذي يكتب باللغة العبرية ؛ حاييم جوري – نفهم لماذا كان هذا المقتطف يلقى إعجاباً بالغاً من قِبَل بن جوريون في العامين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ؛ حتى إنه كان يحتفظ به في غرفة العمل تحت لوح الزجاج على مكتبه !

الإطار الديني الأوسع :

يجب ألا نضعَ على المستوى نفسه كل ما يأتي من التوراة ؛ إذْ يوجد فيها – من جهة – مايشرع « الترانسفير » أو إبادة الجنس ، كما توجد فيها – من جهة أخرى – باقي وصايا اليهودية (الممثلة الآن في شكلها السلفي بالأرثوذكسية) التي تصوغ المجتمع اليهودي الإسرائيلي على مستويات مختلفة . واليهود

« المتدينون » (نحو ٢٠ ٪ من السكان اليهود) يتبعون – وحدهم – قوانين اليهودية الأرثوذكسية كما دونت عبر القرون ، وتصنف شريحة أخرى من السكان (من ٢٥ إلى ٣٠ ٪) تحت مصطلح غامض هو « السلفية » ، وهؤلاء يمكنهم أن يذهبوا إلى الكنيس في الصباح وأن يركبوا سيارتهم بعد الظهر لحضور مباراة في كرة القدم ؛ مرتكبين بذلك خطيئةً مميتة مزدوجة تجاه اليهودية ، وبشكل أكثر عمومية ؛ فكون المرء سلفيًا يعني أن يكِنَّ كل الاحترام لبعض عناصر اليهودية التاريخية ولحراسها؛ الحاخامات الأرثوذكس . والطبيعة البشرية جُبِلَت على أن الاحترام يذهب خاصة إلى الخرافات وإلى الحاخامات الكاريزمية ، ويهمل الباقي ، وهناك أديان أخرى تعرف الظاهرة نفسها .

ولسوء الحظ ؛ فقد علَّمنا التاريخ – والتاريخ اليهودي ليس استثناء – أن الذي يصمد بقوة ولفترة أطول في كل دين ؛ هو ما يحث على الحقد على الكافرين ، وهذا الحقد هو الذي يدوم عند من يفقد الإيمان ويتهرب من العبادة . تحدثنا قصة يهودية مشهورة عن أناس مسيحيي النشأة برغم أنهم غير مؤمنين بوجود المسيح ؛ فَهُمْ مقتنعون بأن اليهود حكموا عليه بالإعدام . وفي نُكْتَة إسرائيلية معاصرة ؛ يظهر هؤلاء اليهود غير المؤمنين بوجود الله ؛ إلا أنهم

يعتقدون أنه منح أرضَ إسرائيل لليهود . ويمكننا الإضافة أنه أمر بإبادة ، أو - على الأقل - « بنقل » (ترانسفير) غير اليهود إلى خارج أرض إسرائيل . يجب إذن أن نحمل على محمل الجد وصايا الأرثوذكسية اليهودية ، كما يجب أن نحمل على محمل الجد مناهضة السامية المرتكزة على الأديان ؛ لأن تأثير هذه الوصايا يتخطى بكثير الدوائر الدينية أو مجرد السلفية ، وأهم هذه الوصايا تلك التي تتعلق بوضعية غير اليهود في إسرائيل .

علينا أولاً تعريف « أرض إسرائيل » هذه حسب الأرثوذكسية اليهودية وليس حسب التوراة التي تعطيها حدوداً متغيرة ومتناقضة . وكما تجري القاعـــدة في كل دين تتضمن نصوصه المقدسة تناقضات ؛ تمَّ القيام بعمل ضخم للتوصل إلى حل واضح ، وكانت هذه مهمة الحاخامات منذ العصور التلّمودية حتى أيامنا هاته ؛ حيث تبرز مدرستان فكريتان : مدرسة الأقصويين ومدرسة الأدنويين . ولنقل منذ البداية إن الأجوبة المقترحة لا ترتكز على التوراة إلا بشكل غير مباشر ، لكنها تستند أساسا إلى التلمود وإلى سلطات الحاخامية التي أعقبت التلمود . وهكذا ؛ فإن الذين يذكرون هذه الآية أو تلك من التوراة ؛ دعماً للمشاريع الإسرائيلية (أو اليهودية غير الإسرائيلية) المتعلقة بالحدود المستقبلية ؛ مثل الآية الشهيرة « من

نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (التكوين ، الإصحاح ١٥ ، الآية ١٨) - يخطئون أشد الخطأ ، وكذلك الحال عندما يستندون إلى مقاطع تعطي تبريراً دينيًّا إلى رغبتهم في التوسع ؛ فليس للتوراة أية صلة بمشاريعهم التوسعية !

لن أدخل في تفاصيل الأسباب التاريخية التي دفعت حاخامات ذوي أهمية بين القرن الثاني والخامس بعد الميلاد - إلى محاولة التقليل من مساحة أرض إسرائيل - حسب اليهودية - إلا أن هذا المَيْل يظهر بوضوح كبير ويرافقه في كل الأحوال ميل نقيض . حسب مدرسة الأدنويين ؛ يشكل وادي العريش وسط سيناء الحدود الجنوبية لأرض إسرائيل ويحدها من الشرق نهر الأردن ، ويعد منبعه يصعد خط باتجاه الشمال حتى منطقة ما (لم تتفاهم حولها مدرسة الأدنويين) إلا أن هذا الخط يذهب أبعد من الحدود الشمالية الحاليَّة لإسرائيل بكثير ، ويصعد أحياناً نحو الشمال حتى خليج الإسكندرونة في تركيا ، وأحياناً ينتهي عند مكان ما في لبنان ، ومن الغرب يحدها البحر . أمَّا مدرسة الأقصويين فهي أكثر كرماً بكثير حيث يرى أنصارها أن الحدود الجنوبية يرسمها - أحياناً - أحد فرعي النيل ، وأحيانا مجراه الرئيسي حتى القاهرة تقريباً ، وتقع الحدود الشرقية داخل العربية السعودية ؛ ثُمَّ فإن الأردن يصبح في

قلب أرض إسرائيل ، وكثيراً ما تقضم الحدود الشمالية / الشرقية جزءاً كبيراً من العراق ، وأحياناً تبتلع الكويت . وتلتف الحدود الشمالية حول الجزيرة السورية برمتها ، وتتقدم إلى عمق تركيا فتشمل - بالطبع - لبنان وسورية والأردن كلها . ويجب إضافة مناطـق واسعة من أرض مصر ، والعربية السعودية ، والعراق ، وتركيا . وعلى هـذا الأسـاس ؛ فـإن المؤمنين بهـذه الحـدود وبـ « الترانسفير » يريدون طرد سكان كل هذه البلاد .

وتكمن المفاجـأة الحقيقـية للذين يجهلون الجغرافيا المقدسة في الحدود الغربية : إذ تصبح قبرص جزءاً لا يتجزأ من أرض إسرائيل ، ويضيف إليها بعض الحاخامات النافذين من مدرسة الأقصويين جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية وسردينيا . وسنرى كيف تستبعد المدرستان الفرات من مضارباتهما الحدودية ؛ مما يشكّل حُجّةً معقولة لعدم استخدام آيات التوراة دون تفسيراتها الحاخامية في أي مشروع توسعي إسرائيلي . كما سنرى أن مختلف المشاريع التوسعية الصهيونية والعلمانية ارتكزت - ولاتزال - على أسباب خارجة تماماً على الدين أو على التوراة ؛ مثل بيغن الذي قبل بإعادة سيناء كاملة إلى مصر ؛ برغم إجماع التفسيرات الحاخامية على أن المنطقة الشمالية / الشرقية من سيناء - منطقة يميت - هي

جزء من إسرائيل .

وأيًّا كانت النظرية المتعلقة بالأراضي التي تتبناها هذه المجموعة أو تلك من اليهود الأرثوذوكس ؛ فإن المجموعات برمَّتها ملزمة باتباع بعض القواعد في معاملتها لغير اليهود القائمين منذ زمن تحت السـيطرة اليهودية : نعني الوصية الدينية المسماة بالحلاشا التي يطالب - بالفعل - الحاخامات والأحزاب الدينية بتطبيقها ، لكن طلبهم مرفوض من قِبَل النظام الإسرائيلي ، غير إن مجرد الإشارة إلى الحلاشا ليست دون تأثير ؛ وبخاصة في الدوائر الدينية والسلفية ، وتعليماتها هي التالية :

١ - لا يحق لليهود أن يبيعوا أو أن يشتركوا في مبيعات أملاك ثابتة لغير اليهود في إسرائيل . وعلى الضد ؛ يوصى ببيع أملاك غير يهودية إلى اليهود . وعلى سبيل المثال ؛ إذا كان محظوراً على اليهودي أن يمارس الكتابة يوم السبت تحت طائلة ارتكاب خطيئة مميتة ؛ يصبح الأمر شرعيًّا حينما يتعلق بتوقيع عقد بيع عقار يحتازه غير يهودي إلى شخص يهودي . ويُظْهِرُ مثالٌ يعود إلى عام ١٩٨٦ التطبيقَ الديني لهذه الوصية على غير اليهود جميعاً وليس العرب فحسب : سأل سمسار عقارات من يافا - وهو يهودي تقيّ - أحدَ كبار حاخامات المدينة ؛ الحاخام بكشي دورون - إذا كان يمكنه

القيام بشراء بيت لحساب أحد البهائيين ؛ فمنعه الحاخام من ذلك .

٢ – لا يسمح بتأجير منازل إلى غير اليهود إلا بشرط ألا تكون ثلاثة منازل مشتركة الفاصل مؤجرة إلى أشخاص غير يهود . ومعظم الحاخامات الإسرائيليين الذين تعمقوا في بحث هذه المسألة يفسرونها بمعنى أنه لا يجب الإبقاء على ثلاثة منازل (أو أكثر) يقطنها غير اليهود . وبعد اتفاقيات كامب ديڤيد ؛ نوقشت في إسرائيل مسألة « الحكم الذاتي » ، وعقد مؤتمر قومي لحاخامات إسرائيل ؛ للبحث في مسألة « الحكم الذاتي » ؛ على ضوء وصايا الحلاشا ، وطلبوا إلى بيغن إدراج قاعـدة البيوت الثلاثة في مشروع « الحكم الذاتي » ؛ فرفض بيغن ذلك . وهذا يبين ما ذكرته آنفا حول النفوذ الديني وحدوده في إسرائيل .

٣ – لا يسمح اليهود ؛ في كل مكان يملكون فيه سلطة على غير اليهود – لهؤلاء الأخيرين بالعيش على أرض إسرائيل ؛ إلا بشروط سياسية ودينية قسرية إلى حدٍّ بالغ . ونشير هنا إلى أن الحظر أكثر صرامة بكثير فيما يتعلق بالمسيحيين مما هو عليه فيما يتعلق بالمسلمين ، وقد يكون أشد أيضاً إذا ما تعلق الأمر بالهندوس مثلاً . وعلاوة على ذلك ؛ يجب أن يطرد كل شخص غير يهودي من القدس ، وبدون استثناء ؛ يمكن التساهل مع وجود غير اليهود في

مناطق أخرى من إسرائيل ، ولكن بشرط أن يعلنوا عن معتقداتهم الدينية أمـام سـلطة دينية يهودية ، وأن يقبلوا نهائيًا بوضعية متدنية ؛ تصفها علناً بعض أبرز السلطات اليهـودية – كالميمونية ؛ مثلاً – « بالعبودية » .

وأريد التشديد – مجدداً – على أن هذه الأمثلة وأمثلة أخرى عديدة ؛ تربطها علاقة وثيقة بالوضع السياسي في إسرائيل ، ولكنها ليست حاسمة ؛ لأن العديد من الإسرائيليين – كما سبق القول – غير متدينين ، وبعضهم مناهض للدين ، إلا أن الدين عامل مؤثر في جزء غير قليل من السكان .

الصهيونية و « الترانسفير » :

المهم – بالدرجة الأولى – في مفهوم « الترانسفير » ليس الطرد في زمن الحرب ؛ برغم فظاعة هذا السلوك الذي علينا أن نرفضه ، كما يتوجب علينا المطالبة بحق العودة ، وإنما المثير للغضب أكثر هو مشروع « الترانسفير » المحسوب بدم بارد ؛ أي الطرد في زمن السلم النسبي – على الأقل – الواقع بعد تحقيق النصر ، وفي وضع من التفوق العسكري الساحق . وإذْ أهتمُّ بهذين الجانبين فذلك لأني أعقد – وبكل وَعْي – مقارنةً بألمانيا النازية التي بدأت جريمتها ضد اليهود – بالتحديد – بعملية « الترانسفير » المنظم بدم بارد

الذي تحول بعد ذلك - بشكل طبيعي - إلى إبادة مخططة . التعليل هو نفسه في الحالتين ؛ إنها تلك التجربة الفظيعة (التي كنت أنا نفسي ضحيةً لها) المدبرة بملء التفكير التي دفعتني إلى استنتاج خلاصة أعتقد أنه من واجبي عرضها وإعلانها ، وإن كنت أُعبِّر عنها كلما سنحت الفرصة : أعتقد أن الطرد المنظم لشعب بأكمله هو بحد ذاته شكل من أشكال النازية ، وينتهي ذلك بالضرورة بعملية إبادة . وإن منظمي « الترانسفير » هم أقبح بكثير من منفذي المذبحة ، ويستحقون تماماً لقب « النازيين اليهود » ، فلا غضاضة في مقارنة الذين يعلمون بهذه الخطط ، ويلتزمون الصمت بهؤلاء الألمان الذين عرفوا أن إبادة اليهود قد تقررت والتزموا الصمت ؛ حينما كان لايزال بالإمكان إنقاذهم ؛ لأنه وقت بدء تنفيذ العملية لم يبقَ أي شيء ذو قيمة يمكن عمله من أجلهم ، وينطبق هذا كله على المشاريع القديمة والجديدة « لنقل » الفلسطينيين .

لن أشرح فكرة « الترانسفير » كما عبَّرت عنها شخصيات معزولة (من القادة المهمّين أحياناً) في الزمن البعيد الذي كانت الصهيونية ضعيفة فيه ، لكني سأبدأ بعرض أول مديح صريح وعلني « للترانسفير » ورد على لسان زعماء صهاينة من الصف الأول ؛ في فترة بدأت فيها الصهيونية تشعر بقوة في فلسطين . وسنرى أنه منذ

ذلك الوقت حتى أيامنا هذه ؛ كان لفكرة « الترانسفير » تاريخ متواصل ، وهذا في تقديري أمر بالغ الأهمية .

في عام ١٩٣٧ ؛ كانت تتواصل الانتفاضة* الفلسطينية الكبيرة منذ سنة تقريباً ، ودفعت بريطانيا العظمى من خلال لجنة بيل باقتراح تقسيم فلسطين إلى دولتين : الأولى يهودية ، والثانية فلسطينية ، ومن جهة أخرى ؛ ازداد عدد السكان اليهود بدرجة بالغة منذ بضع سنوات ؛ بعد استيلاء هتلر على السلطة ، ورافقت هجرة يهودية كبيرة تكاثف المناهضة للساميّة في ألمانيا وفي بلدان عديدة انتشرت فيها النازية . ولنذكر بعض الأرقام ؛ ففي عام ١٩٣٢ ؛ أي قبل وصول هتلر إلى السلطة ؛ مباشرة – لم يكن يوجد في فلسطين سوى ١٨٠٠٠٠ يهودي ، وعند مقارنة هذا الرقم ببيانات عام ١٩١٤ التي قدرت عدد اليهود بـ ٩٠٠٠٠ نسمة ؛ نستنتج من ذلك أنه خلال ١٨ عاماً ، وبرغم ضخامة الدعم البريطاني ، وشبه غياب المعارضة من قبل الفلسطينيين ؛ كانت الزيادة في عدد السكان اليهود ضئيلة ؛ ففي العام ١٩٣٣ ؛ هاجر ٣٠٠٠٠ يهودي إلى فلسطين ، وفي العـــام

---

* يقصد الثورة الفلسطينية التي اندلعت في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ؛ بدأت بمظاهرات وحركة إضراب عربية في إبريل ١٩٣٦ ، ثم تطورت إلى معارك رهيبة استمرت حتى سبتمبر ١٩٣٩ .

١٩٣٤ ؛ هاجر ٤٢٠٠٠ يهودي ، وفي العام ١٩٣٥ ؛ هاجر ٦٢٠٠٠ ، وفي ١٩٣٦ ؛ بلغ عدد المهاجرين ٣٠٠٠٠ نسمة . وبلغ العدد الإجمالي للمهاجرين اليهود الألمان خلال هذه السنوات ؛ على التوالي : ٧٦٠٠ ، ٩٨٠٠ ، ٨٦٠٠ ، ٨٧٠٠ نسمة . وهذه الأرقام لا تمثل سوى الهجرة القانونية المصرح بها من قِبَل السلطات البريطانية ، وإنْ كانت تشير إلى تضاعف عدد السكان اليهود - تقريباً - خلال أربعة أعوام ، حتى إن الطائفة أخذت لأول مرة تثق بقواها الذاتية .

تلك كانت الظروف التي عَقدت فيها أعلى المراجع في حزب « مباي» (حزب عمال أرض إسرائيل) مؤتمراً جمعها وحلفاءها القادمين من بلدان أخرى في زيوريخ بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٣٧ ، وهو المؤتمر الذي أعدت فيه بدم بارد سياسة « الترانسفير » المقرة من قبل أهم القادة ؛ من دون أن تلقى أية معارضة تستند إلى أسباب أخلاقية (وَثَّقَ بن جوريون شخصياً قرارات المؤتمر التي أعلنت فيما بعد في تل أبيب عام ١٩٣٨ ، وسأذكر النشرة الرسمية هذه لاحقاً) . ويجدر التشديد هنا على أن القادة الصهاينة قد شجعهم إلى حد بالغ بريطانيو لجنة « بيل » الذين أشاروا لأول مرة إلى فكرة « نقل » (ترانسفير) السكان الفلسطينيين من المنطقة المحددة لقيام الدولة اليهودية ؛ وإن لم تلقَ الخطة قَطّ موافقة رسمية من قِبل الحكومة

البريطانية .

وجـاء في تعليق بن جوريون أن : « اللجنة لا تنــوي سلب العرب ؛ إنها توصــي « بنقلهم » ، وبإعادة توطينــهم في الدولة العربية . لا أرى ضــرورة لشرح الفرق الجذري بين الطرد والترانسفير . حتى الآن ؛ قمنا بنقل السكان من مكان إلى آخر لإنشاء مستعمراتنا ... ولم نتمكن إلا نادراً من التوطن دون أن نكون مجبرين على نقل السكان السابقين » .

وقد أكمل القادة الصهاينة الآخرون ما اكتفى بن جوريون برسم خطوطه العريضة ؛ فقال كبلان الذي أصبح أول وزير إسرائيلي للمالية ، والذي كان منذ تلك الفترة قائدا مهماً : « لن أتعرض هنا للتفاصيل الكاملة لمسألة نقل العرب ، ولكنه ليس من العدل أن نقارن هذا الاقتراح بطرد اليهود من ألمانيا أو من أي بلد آخر . لا يتعلق الأمر هنا بطرد بعض العرب (في الواقع ؛ مايقارب ٤٠٠٠٠ نسمة – إ . شاحاك) ولكن بنقلهم من أرض معينة إلى دولة عربية ؛ أي بتقريبهم من شعبهم » .

ولم يجد ما يقوله أحد زعماء « يسار » الحزب ؛ العضو في كيبوتس رامات حاكوفيش ؛ رابيه الفاتح – سوى الآتي : « فيما يتعلق بالنقل القسري ؛ فإنني ؛ بصفتي عضو كيبوتس رامات

حاكوفيش – سأكون سعيداً جداً إذا ما أمكن تحريرنا من الجيرة المتعة لأهل مِسْكَة ، والطِّيرَة ، وقَلْقيلية (الفلسطينيين) ... » . ثم عبَّر عن خوفه الوحيد متسائلاً : « هل يمكن أن نأمل بأن يقبل العرب بذلك عن طيب خاطر ؟ » .

وكان تصور شلومو لافي ؛ زعيم آخر في تلك الفترة – للعدالة كما يلي : « المطالبة بأن يرحل العرب ويتركوا لنا المكان ؛ لأن لديهم ما يتسع من المساحات يستطيعون الذهاب إليها ... ، هذه المطالبة هي بحد ذاتها عادلة وأخلاقية تماماً . غير إن الظروف الراهنة لا تمكّننا من تقديمها إلى العالم السياسي كمطلب ثابت ، وعلينا أن نعمل مكرهين برأي البريطانيين » .

وكان لدى زعيم « يساري » آخر هو أ . سيزلينج الذي أصبح أحد قادة المبام ووزيراً في الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ؛ مفهومٌ خاص عن الأخلاقية ورؤية معينة عن المستقبل : « لا أنكر حقّنا الأخلاقي في اقتراح تبادل السكان . لا يوجد أي شيء مخل بالآداب في هذا الاقتراح الذي يهدف إلى إتاحة الفرصة أمام تمركز الحياة القومية . إن الأمر على النقيض ؛ فقد يتحقق ذلك في ظل نظام عالمي جديد ويجسد مشروعاً إنسانياً كبيراً ... إلا أن الاقتراح سيكون أقرب إلى التحقق ، وسيكون أكثر حكمة ؛ إذا ارتكز على

تبادل سكان بين أرض إسرائيل الموحدة في المستقبل والعراق أو بلدان عربية أخرى بعيدة ؛ يمكنها أن تقوم بدورها في نقل اليهود الذين يعيشون فيها إلى أرض إسرائيل » .

ولا يجب أن يظن القارىء أن فكرة « الترانسفير » لم تقابل بأي احتجاج في ذلك المؤتمر الذي اعتبر نفسه « اشتراكيًا » ، واعتقد آخرون أنه اشتراكي بالفعل . ونعرض هنا نموذجاً لنوعية المعارضة التي واجهت تلك الفكرة ؛ فيما جاء على لسان أحد المفكرين النافذين في الحركة وهو أ . تراتاكوفير : « غير إنني أتساءل عمًا إذا كانت مسألة « الترانسفير » قد أحيطت بالاهتمام الكافي ؛ فيما يتعلق بالأجيال اليهودية القادمة في بلدان الشرق الأوسط الأخرى ؟ ألا يوجد خطر إذا ما انطلقنا من المبدأ القائل بأن الدولة القومية يجب أن تكون خالية من الأقليات القومية ؛ في أن نواجه بالحجة نفسها ... أليس هذا ثمن باهظ سندفعه مقابل تخليص الدولة العبرية من بضع عشرات الآلاف من العرب ؛ حيث إنه من المرجح ألا يسمح لنا بإبعاد أكثر من ذلك العدد ؟ » (التشديد من عندنا ، والعبارة مطابقة لتلك التي استخدمها هتلر بالنسبة ليهود ألمانيا في الفترة نفسها ، لولا الخوف من عدم التمكن من تحقيق هذا

العمل الفظيع على مستوى كبير بما فيه الكفاية ؛ فالأيديولوچية الكامنة هي ذاتها - إ . شاحاك) .

أستطيع أن أعدد الكثير ممَّا جاء على لسان الخطباء الكثيرين الذين تكلموا في هذا المؤتمر ، لكن المجال ضيق هنا . وسأكتفي بذكر مقطعين آخرين اخترتهما لأهميتهما : الأول من بيرل كتسنلسون القائد الذي تميز بأهمية بالغة من عام ١٩١٠ - تقريباً - حتى وفاته عام ١٩٤٤ ، والذي كان كثيراً ما يلقب بـ «ضمير الصهيونية العمالية»، وهذا ما كان يقوله «الضمير» فيما يتعلق بـ «الترانسفير» : « كانت مسألة الترانسفير موضوع جدال بيننا : هل هو مسموح أم ممنوع ؟ إن ضميري مرتاح تماماً فيما يخص هذه النقطة ، والجار البعيد خير من العدو القريب . لن يخسروا شيئاً بهذا الترانسفير، وبالتأكيد لن نخسر شيئاً نحن أيضاً من جرائه ... وقد اعتقدت منذ زمن طويل أن هذا هو أفضل الحلول، وفي الأيام الصعبة عزَّاني اليقين بأن ذلك سيتحقق يوماً ما . إلا أنني لم أفكر قَطُّ في أنهم سينقلوا (أي العرب) فقط إلى ضواحي نابلس ، وإنما فكرت دائماً في أن المقدر لهم هو أن ينقلوا إلى سورية أو العراق » .

وبالمناسبة تحمل اليوم المدرسة الرئيسية والمركز الثقافي

لحزب العمل ، اسم « بيت بيرل » ؛ تيمُّناً باسم ذلك القائد ذي النظريات النازية . والمقطع الثاني من غولده مئير (مئيرسون في ذلك الوقت) التي لم تتغيرأفكارها - لو صح أن لديها أفكاراً - منذ تلك الفترة حتى وفاتها : « سأوافق على أن يغادر العرب هذا البلد ، وسيكون ضميري مرتاحا تماما ، ولكن هل يمكن تحقيق ذلك ؟ » .

وبعد عدة سنوات ؛ بلغوا مرحلة جديدة في هذه الجريمة المدبرة . وهنا أيضا نجد البراهين في المصادر الصهيونية ، ودائما يجب البحث عن الجرائم الصهيونية في هذه المصادر ! فمن المفروض - مثـلاً - الاطلاع على مؤلفات يوسف فايتس الضخمة : « يومياتي » و « رسائل إلى الأطفال » . وقد مثل يوسف فايتس لفترة طويلة وجهاً مهمًّا جداً في الحركة الصهيونية ، وكان موظّفاً في المنظمة الصهيونية العالمية ، وفي عام ١٩٣٢ شَغَل مَنْصِباً بالغ الأهمية كمدير للصندوق القومي اليهودي (ص . ق . ي .) في فلسطين ، وكانت مهمة هذا الصندوق - ولاتزال - شراء الأراضي غير اليهودية في فلسطين ؛ لتحويلها إلى أملاك مقصورة على اليهود وعلى « انتفاع اليهود وحدهم » ، كما كان فايتس عضواً رفيعاً في حزب « ماباي » لفترة طويلة ، ومن خلال هذين المنصبين ؛ كان على

صلة رسمية وشخصية مع جميع القادة الصهاينة في عصره ؛ من العام ١٩٣٢ حتى وفاته - تقريباً - في بداية السبعينيات . وقد كتب يومياته الخاصة المفصلة للغاية التي نشرت أولَ خمسةِ أجزاء منها دارُ سادا في تل أبيب عام ١٩٦٥ ؛ غطَّتْ الفترة ما بين ١٩٣١ و ١٩٦٤ ، وفي عام ١٩٧٣ ؛ نُشر الجزء السادس الذي يغطي السنوات ما بين ١٩٦٤ و ١٩٧٠ ، وسأستخدم التواريخ كما وردت في النص عند الإشارة إليه .

بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٤٠ ؛ يروي أنه ذهب إلى مكتب أحد موظفيه في الصندوق القومي اليهودي ؛ ليفشيتز الذي كان مازال يتبع الطريقة القديمة القاضية « فقط » بشراء الأملاك الفلسطينية ، والذي كان قد أعدّ خريطة لفلسطين مفصلة جداً لمساعدة فايتس في مهمته ، وقال له فايتس إن الأمور ستتغير « بعد الحرب » ؛ أي بعد الحرب العالمية الثانية القائمة ضد هتلر : « يجب أن يكون واضحا تماما - فيما بيننا - أنه لا يوجد مكان لشعبين في هذا البلد الصغير : إذا رحل العرب ؛ سيكون مفتوحاً وشاغراً لنا ، وإذا بقي العرب ؛ سيظل البلد ضيقاً وبائساً . عندما تنتهي الحرب ، ويكون

الإنجليز قد انتصروا فيها ، وعندما يصعد القضاة على عرش القانون ؛ سيتوجب على شعبنا أن يعرض عليهم احتياجـاته وحقوقه ، والحل الوحيد هو أرض إسرائيل ، أو على الأقل الجزء الغربي من أرض إسرائيل (أي فلسطين « فقط » - إ . شاحاك) وبدون العرب . فلا توجد مساومة ممكنة حول هذه النقطة (!) حتى الآن ؛ حقَّقت المنشأة الصهيونية عملاً جيداً بتمهيدها لقيام الدولة العبرية ، وحتى الآن كان يمكن الاكتفاء بـ « حيازة الأراضي » . لكن هذا لن يؤسس دولة إسرائيل ؛ يجب أن يتم ذلك بضربة واحدة كيوم خلاص البشر (هذا هو سرُّ الفكرة « الماشيحانية ») . وليس هناك مخرج سوى نقل العرب من هنا إلى البلدان المجـاورة ، ونقلـهم جميعاً ؛ باستثناء بيت لحم ، والنـاصرة ، ومدينة القـدس القديمة . وربما يجب ألا نتحمل وجود لا قرية واحدة ، ولا قبيلة واحدة . يجب أن يتم النقل باتجاه العراق ، أو سورية ، أو حتى الأردن . سنجد المال الضروري لذلك ؛ الكثير من المال . لن يتمكن البلد من استقبال الملايين من إخواننا إلا بفضل هذا النقل ، وستُحَلُّ المسألة اليهودية نهائيًّا ، وليس هناك حل آخر » (التشديد من عندنا - إسرائيل شاحاك) .

وقد أشرت إلى هذا المقطع الطويل ليس فقط لأهميته بحدٍّ ذاته ؛ وإنما لأنه أيضاً نموذجي من حيث يهوديته ؛ فهو مليء بصدى القيم الدينية ، برغم وروده على لسان أحد أعضاء الحزب الاشتراكي العلماني جدا ! والواقع أنه لا يمكن فهم الصهيونية دون النظر إليها كحركة يهودية ، أيًّا كانت العناصر الأخرى المضافة إليها .

ولم تبقَ الفكرة ملكاً لفايتس وحده ؛ فقد اتَّفق معه ليفشيتز من الفور ، ثم قام فايتس بسرعة بضم قادة صهاينة مهمين أكثر بكثير إلى مشروعه القاضي بالنقل وبالفكرة الملحقة (٢٢ يونيو ١٩٤١) القائلة بأن « أرض إسرائيل ليست صغيرة على الإطلاق إذا ما أفرغناهـــا من العرب ، وإذا وسعناها قليلاً ؛ حتى الليطاني شمالاً ، ومرتفعات الجـَوْلان شرقاً ، يجب أن ينقل العرب إلـى العـــراق وإلى شمالي سورية » (التشديد من عندنا – إ . شاحاك) . لقد انضـم إليه أولاً أوسشكين المتقدم جدًّا في السن الذي توفــي بعد فترة ، ولم يكن إقناعه صعباً (٢٣ يونيو ١٩٤١) ؛ حيث كانت كراهيته للعرب معروفة لدى الجميع . إلا أن فايتس أشار – بتاريخ ١٠ يوليو – إلى لقاء أجراه مع شاريت (وكان اسمه شرتوك في ذلك

الوقت) وكبلان الذي سبق ذكره فيما يتعلق بمؤتمر زيوريخ سنة ١٩٣٧ . في ذلك الوقت ؛ كان شاريت رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية : الجهاز التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية ؛ أي كان بمثابة وزير خارجية هذه المنظمة ؛ وكان كبلان أمين صندوقها ؛ وكان الاثنان موافقين على المشروع ، ويفكران في ضرورة البحث من الفور عن مكان لاستقبال الفلسطينيين . وبتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٤١ ؛ أجرى فايتس مقابلة مع بيرل كتسنلسون الذي كان قد التقاه في مؤتمر زيوريخ الذي لـم يضعفْ نفوذه ، وقال له بيرل إنه يدافع عن فكرة « الترانسفير » منذ سنوات ؛ « على الأقل عن جزء من أرض إسرائيل أو كلها » (كلمة تنبؤية) ؛ فحصل منه فايتس من دون صعوبة على وعد بعرض أفكاره على شاريت وكبلان . وعندئذ كلف فايتس بمهمة رسمية تقضي بذهابه إلى سورية (خريف ١٩٤١) قبل أن تتورط الحكومة الفرنسية الحليفة للنازيين تماماً في عملية تعذيب اليهود ، ودفعهم إلى الهلاك والإبادة . كان الغزو الألماني للاتحاد السوفييتي قد بدأ، وبوشر بإبادة اليهود في الأراضي المحتلة ؛ عندما كتب فايتس (١ سبتمبر ١٩٤١) أنه حصل على «تأشيرة دخول فرنسية إلى سورية ولبنان » و « أجهز نفسي لهذه

الرحلة . أريد أن أدرس هناك الأوجه الملموسة لمخطط نقل السكان» .

و بتاريخ ٦ سبتمبر ؛ انطلق . وفي طريقه إلى سورية توقف عند كيبوتس مشمار هايميك الـــذي كان – كما هو اليوم – مركزا لحركـة « هاشومير هاتزايير» العنصر الرئيسي في حزب المبام . كان الكيبوتس والحزب يتباهيان – وما يزالان – « بعلاقاتهما الطيبة » مع العرب . وبرغم ذلك ، أو بسببه ؛ لم يتردد فايتس في عرض مخطط الترانسفير على أعضاء الكيبوتس . وكتب قائلاً : « عرضتُ المشروع بالتفاصيل » . وجاء الردُّ على لسان أحد قادة الحزب ؛ يعقوب حزان (مازال يترأسه حتى الآن) ؛ قال حزان إنه شخصياً وسكان الكيبوتس من حزبه يعارضون المشروع « العـــديم الجدوى ؛ لأن تحقيقه مستحيل » . و « أحاط بي أعضاء آخرون من الكيبوتس وأمطروني بالأسئلة ، وقالوا باختصار : لا نعتقد أن هذا المخطط قـــابل للتحقيق برغم إعجابنا بالفكرة » (التشديد من عندنا – أ . شاحاك) . والأفظع من هذا الميل إلى التخطيط للطرد الجماعي ؛ هو الخبث الرهيب الذي يتكشف عنه ؛ فقد مرت عدة سنوات قبل المضي في المشروع ، وخلال الفترة كلها تميز هؤلاء الخبثاء جميعاً بمحاولاتهم لإقامة العلاقات مـع الفلسطينيين ، ولإنشاء المنظمات

المشتركة ؛ معلنين بملء فيهم ومن أعلى الأمكنة - رغبتهم الحارة في « العيش معاً » ، ولم يتعبوا من تكـرار ذلك . وطوال هذه الفـترة لم يبوحوا بكلمة واحـدة لتنبيه « أصدقـائهم » من كارثة الطرد الجماعي الـتي كانت تحظى « بإعجابهم » وبموافقتهم المسبقة ؛ إذا ما تبين أنها ممكنة التحقيق . حقًّا ؛ لا يمكننا القول بأننا نعرف الحركة الصهيونية في ذروة قوتها مع جهلنا بطابعها الشمولي الجوهري الذي يظهر جيدا في هذه الحادثة .

وبتاريخ ١٠ سبتمبر ؛ كان فايتس في دمشق . وفي اليوم التالي أخذ يبحث عن خرائط بمساعدة العميل المحلي للصندوق القومي اليهودي ، واهتم أساساً بشمالي سورية ، وعلى وجه الخصوص ؛ بالجزيرة (المنطقة الشمالية الشرقية المتاخمة لنهر الفرات) التي أراد تفحُّصها . وقد وصلها بتاريخ ١٨ سبتمبر ، وذكر أن « هذه الجزيرة ستصبح مركزاً ضخماً لاستقبال الفلسطينيين الذين سيتم طردهم ؛ حيث توجد فيها أراضٍ جيدة كثيرة وكمية من الماء الجاهزة للاستخدام » . ولكنه يذكر أيضاً أنه سيكون من الضروري ضم الجزء العراقي من الجزيرة إلى الجزء السوري . وأفصح عن فكرة أخرى هي إنشاء دولة منفصلة شرقي سورية تلبية للدواعي الأمنية التي يعيرها للبدو السوريين .

وبتاريخ ٤ أكتوبر ؛ كان قد عاد إلى القدس وقدم تقريره إلى كبـــلان ، واقترح عليه تشكيل مجلس دائم مهمته إعـــداد مشـروع « الترانسفير » ، وشجع كبلان الفكرة ؛ حتى إنه قدم لائحة بالأعضاء المحتملين للمجلس ، ومنهم بيرل كتسنلسون ، ودوف يوسف الرجل السياسي المهم (نشير إليه بالاسم الذي تبناه في العام ١٩٤٨) ، وبعض الأعيان . وبتاريخ ٣١ مايو ١٩٤٢ ؛ بعد فترة قصيرة من سحق العصيان البطولي لجيتو وارسو- نقل حديثاً أجراه مع أ . جرانــوت ؛ أحد أكبر المســئولين في الوكالة اليهودية وقتذاك ؛ حول « مخطط نقل السكان » ، وأعلمه جرانوت رسمياً بأن « لجنة مكونة منه ، وكبلان ، وشاريت ، ويوسف – قد تشكلت بالفعل لدرس وإعداد خطة عمل » ، وأكد جرانوت أن المشروع يحظى « بتعاطفه الكامل » ، وفي الوقت نفسه ؛ أعلن أنه « يجب التعقل كثيراً في تطبيقه ... وتقرر إعداد مشروع لجلسة ستعقد بعد يومين . في هذا اللقاء سأقدم من جانبي دراسة لنقل السكان في المستقبل » .

بعد إنشاء دولة إسرائيل مباشرة ؛ ذكر فايتس (٢٨ مايو ١٩٤٨) أنه هــو نفسه والمستعربون * اى . دانين واى . ساسون –

---

* مفهوم مناظر للاستشراق ، ويقصد به يهودي يدرس المجتمع العربي دراسة عميقة ؛ وبصفة خاصة المجتمع الفلسطيني .

تم تعيينهــم لتشكيل لجنة مهمتها درس المســألة التالية : « هــل يجب القيام بشيء ما لجعل رحيل العرب أمْراً واقعاً ونهائيًّا ؟ » . ونظراً لطول باع أعضاء اللجنة - وبالأخص فايتس شخصيًّا - في عملية التدمير الفعلي للقرى الفلسطينية وغير ذلك من المهام الإرهابية التي يرويها بنفسه ؛ فــلا يوجد أدنى شك في أن الحركة الصهــيونية كــانت تعد لطرد الفلســطينيين من فلسطين في الفترة ما بين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ / ١٩٤٨ .

وتمشـياً مع المبادئ التي حددتها لنفسي في كتابة هذا المقال ؛ لن أذكر فظائع عملية « الترانسفير » خلال السنوات ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩ ؛ فالوقائع معروفة بما فيه الكفاية ، ونشرت عدة كتب ومقالات حول هذا الموضوع منذ وقت قصير ، لذلك ؛ ننتقل إلى خريف العام ١٩٥١ ؛ حيث كانت إسرائيل المنتصرة قد وقّعت على قرار بوقف إطلاق النار مع الدول العربية المجاورة ، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة . كان وضع السكان الفلسطينيين مقلقاً بل أصعب من اليوم ؛ ومن بينهم التعساء الذين بقوا على أرض إسرائيل ؛ يخضعون لنظام عسكري صارم ، ولايقومون إلا بنشاط سياسي بسيط . ماذا كان يشغل فايتس والقادة الإسرائيليين في هذه الظروف ؟ في ٢٨ أغسطس ١٩٥١ ؛ التقى فايتس موشيه شاريت

الذي أصـــبح الوزير الإسرائيلي للشـــؤون الخارجية ، وكان غرض اللقاء : « مناقشة مشروعين « للترانسفير » ، أو للإسهام في تهجير العرب المسيحيين من الجليل الأعلى إلى أمريكا اللاتينية » . وفي ذلك اليوم كتب أن عملية « الترانسفير » الخاصة هذه تجد نصيرين ؛ إسـحق ناقون ؛ الرئيس السابق وزير التربية الحـالي ، ويعقوب تسور ؛ وزير الاستيعاب الحالي ، وهما – بالطبع – من أعضاء حزب العمل . كان شاريت سيقدم مشروعاً لنقل العرب المسيحيين إلى رئيس الوزارة بن جوريون نفسه . وتحديداً ؛ في ٣١ أغسطس ؛ قام سكرتير شاريت بإبلاغ فايتس بأن بن جوريون « أبدى موافقته وآثر المشروع ؛ بحيث يمكنني مباشرة العمل » . وليس هذا كل شيء ؛ فبتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٥١ ؛ يذكر فايتس أنه التقى بن جوريون في اليوم نفسه ، وطلب منه تفويضاً كاملاً قبل سفره إلى الأرجنتين ؛ حيث كان من المـفروض أن يتم نقل المسـيحيين الفلسطينيين ، وعندما ذكَّرَ فايتس بن جوريون بمضمـون المشـروع ؛ صاح الأخير أنها « فكرة عظيمة ومهمة جداً » . وبتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ ؛ كان فايتس في بوينُس أيريس ؛ حيث تمَّت في المفوضية الإسرائيلية هناك « مشاورات مع ثلاثة مهندسين زراعيين من اليهود يعيشون في الأرجنتين منذ زمن طويل ؛ بُغْيَة تنظيم رحلتي إلى بعض المقاطعات

ودراسة كيفية نقل العرب » . وقد تمت الرحلة ، وكتب فايتس بتاريخ ٦ ديسمبر ١٩٥١ : « خلال الرحلة من المفروض أن أزور عَقَاراً كبيراً تبلغ مساحته ٦٠٠٠٠ دونم ، يملكه يهودي صهيوني ، وهو مستعد لوضعه تحت تصرفنا لتحقيق مشروعنا » . وعاد إلى القدس بتاريخ ٥ فبراير ؛ ليقدم تقريره إلى بن جوريون ؛ فأبدى الأخير قلقه : « الكنائس المسيحية ستعارض ذلك بالتأكيد » ، ولكن « يجب عمله » . وبالفعل ؛ بوشر العمل من الفور . وبتاريخ ٦ مارس ١٩٥٢ ؛ ذهب فايتس ومسئول آخر من الصندوق القومي اليهودي إلى الجِش ؛ قرية في الجليل الأعلى يقطنها فلسطينيون مسيحيون؛ لمحاولة « إقناعهم » بالهجرة إلى الأرچنتين . وبمساعدة « شخص ما » - تبين فيما بعد أنه بن جوريون شخصياً الذي كان يشغل في آنٍ واحد منصب رئيس الوزارة وقيادة الشرطة السرية - وجدوا في القرية شخصاً كان أخوه يعيش في الأرچنتين منذ سنوات ؛ فاتصلوا بالأخ ليجهز الاستقبال هناك ، وتم التحدث عن « إمكانية الهجرة عن طريق شركة ... » ؛ إلا أن الفلسطينيين العشرة المجتمعين أنصتوا بصمت ؛ « واكتفى أحدهم بالقول بأنه لا توجد في أي مكان أرض أفضل من أرض فلسطين » . فايتس أعاد الكرَّة بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٢ ؛ متكلماً عن « رسالة شفهية » من أهل يقترحون ؛ من خلاله - حسب قوله - الهجرة على

أسرتهم . ويروي فايتس في يومياته أنه حاول من جديد تصوير الأرچنتين للفلسطينيين على أنها أفضل الأراضي ، ويعترف بوقاحة أن لديه « كل المصلحة » في أن يقنعهم بذلك ، ومرة أخرى احتفظ القرويون بالصمت . وفي النهاية : « صاح – فجأة – عربي كان قد بقي جالساً في ركن دون أن يبوح بكلمة واحدة : ولكن ؛ ولا بلد يساوي بلدنا هذي ؛ حتى جبالنا أفضل من السهول هناك ؛ هنا ينبت كل شيء حتى على الصخر ، وكل حجر يعطي ثماراً . نظرت إلى الذي كان يتحدث هكذا وشعرت بغثيان » .

أشياء قليلة يمكنها وصف ما تفعله العنصرية بإنسان أكثر من هذا الغثيان الذي يشعر به عنصري كريه ؛ عندما يجد نفسه أمام إنسان آخر قد يسهل إغراؤه ويسهل خداعه ؛ إلا أنه يحتفظ بكرامته كإنسان !

ويوحي صمت فايتس اللاحق بأن نقل الفلسطينيين المسيحيين قد فشل ، وتكشف مصادر أخرى وتحرياتي الشخصية عن استمرار المحاولة لعدة أشهر ؛ بالأساليب التي وصفناها ، وبعرض المنافع الضخمة ، ولكن بلا جدوى . ومن جهة أخرى ؛ لم يكن بإمكان السلطات الإسرائيلية أن تصر على استخدام القوة للضغط على « مواطنين إسرائيليين » كانوا في الواقع يتمتعون برصيد من النفوذ

السياسي ، وشيئاً فشيئاً تم التخلي عن المشروع .

ولكن مشروع « الترانسفير » بحدٍّ ذاته لم يتوقف عند هذا الحد (سأتجنب الخوض في المحاولات الثانوية المذكورة في مصادر أخرى ؛ كالسيرة الذاتية لعزرا دانين ، وسأكتفي بذكر العمليات التي تبدو أكثر أهمية ، والتي أسهم فيها فايتس) ؛ فبتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٥٥ ؛ يذكر المشروع مجدداً في يومياته . وفي ذلك الوقت كان رئيس الوزراء موشيه شاريت ، وانعقدت في مكتبه جلسة عمل لمناقشة تقرير وصل من باريس يوحي بأن هناك حلا ممكناً – من وجهة النظر الإسرائيلية – لمشكلة اللاجئين العرب . وكان بين المجتمعين – إضافة إلى فايتس وشاريت – وزير المالية ليفي أشكول (الذي طرح السؤال الآتي : « كَمْ سيكون الثمن للرأس الواحد ؟ » ، وتيدي كوليك ؛ رئيس بلدية القدس الحالي ، وبعض الدبلوماسيين الإسرائيليين والمستعربين المرموقين . وفي جلسة عمل أخرى انعقدت بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٥٥ ؛ أعلن شاريت أن دالاس وزير الخارجية الأمريكي – قد وعد بمساعدة مالية أمريكية للمشروع . وتواصلت الاجتماعات الشكلية ولكن على أعلى مستوى . والفكرة الرئيسية للمشروع – كما تجلَّت في جلسة ١٨ يناير ١٩٥٦ – كانت تدعو إلى توطين اللاجئين الفلسطينيين في ليبيا ذات النظام الملكي –حينذاك –

الـتي كانت تقيم عـلاقات سرية ولكن قوية جداً مع إسرائيل . وبتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٥٦ ؛ عاود بن جوريون الاشتراك في أعمال المجموعة . إذ كان ليفي أشكول يبين أنه لا يملك الأموال الضرورية لتغطية حتى مقدمات المشروع المقدرة بمليون ليرة إسترلينية ؛ فقد تقرر اللجوء مجدداً إلى الأمريكيين . وبعد عدة جلسات (من ٢٩ فبراير حتى ٢١ مايو) اكتسبت اللجنة أخيراً الصفة الرسمية بتاريخ ٣ يونيو ١٩٥٦ . وأرسل بلمون ؛ أحد أشهر المســتعربين الإسرائيليين الذي شـارك في أعمال اللجنة منذ البداية - ببرقية من چينيڤ حول التقدم الذي أُحرز في المشروع الليبي . وعاد بتاريخ ١٧ يونيو ، وفي اجتماع اللجنة اللاحق ؛ فـ « قدم تقريراً حول الأحاديث التي دارت في لندن بينه وبين بعض العرب حول موضوع ليبيا . كان من الممكن أن نحصل على تصريح من رئيس الوزراء الليبي للأسر الأربع أو الخمس الفلسطينية المقيمة في البلاد التي كانت تشغل مناصب حكومية - يسمح لها بدعوة أعضاء آخرين من أسرها إلى اللحاق بها . كانت الفكرة تقضي بإنشاء مستعمرة عربية في ليبيا من ملاك الأرض الفلسطينيين ؛ على أمل اجتذاب فلسطينيين آخرين . وتقرر العمل في هذا الاتجاه » .

وتقرر أيضاً من سيتابع هذه المباحثات ؛ فتلقى عميل

إسرائيلي لم يكشف عن هويته أمْراً بالسفر إلى ليبيا . وكان فايتس قد فكر في طرد بعض الفلسطينيين « الإسرائيليين » من منطقة الحدود الشمالية إلى لبنان (٢ يوليو ١٩٥٦) ، إلا أنه عَدَل عن هذا المشروع ؛ لعدم وجود مستوطنين إسرائيليين للحلول مكانهم . غير إن المشروع الليبي أخذ يتطور بعد تنحية شاريت واستبدال غولده مئير به في منصب وزير الخارجية (كان هذا جزءاً من الاستعداد لحرب السويس) . وبتاريخ ١٠ يوليو ؛ وجدت غولده مئير وقتاً لاستقبال فايتس ، والاطلاع منه على تطورات المشروع الليبي . وبتاريخ ١٥ يوليو ؛ وصل تقرير من بلمون الذي كان قد قابل الممثل الليبي في روما ؛ يعلن فيه « ارتياحه » لهذا اللقاء ؛ ثم عاد إلى إسرائيل بعد فترة قصيرة (١٨ يوليو) ، وقال إن « هناك فرصا كبيرة ، وقليلة التكاليف » لتوطين الفلسطينيين في ليبيا . وبعد عدة اجتماعات ، عقـدت الجلسة النهائية عند غولده مئير بـتاريخ ٣ سبتمبر ١٩٥٦ : « شدَّدنا بخاصة على العملية الليبية . لقد استعرضنا جميع التفاصيل - ستقدم التقارير لرئيس الوزراء (بن جوريون) ثم تجيبنا » . وتلقى الرسميون تعليماتهم ، وعلى سبيل المثال ؛ أوفد بلمون إلى روما كمنتدب دائم لمتابعة القضية ، وشكلت لجنة مصغرة يشارك فيها فايتس نفسه ، وممثلان عن وزارتي الخـارجية والمالية .

وعلق فايتس قائلاً : « إن اختصار عدد أعضاء اللجنة له عدة جوانب إيجابية ، أقلها هدف الحفاظ على السرية » . ولكن ظهرت عقبة : فبتاريخ ٤ أكتوبر ؛ تم استدعاء فايتس لاجتماع مع بن جوريون الذي أعلن أنه لن تخصص أموال للعملية ؛ لأن « إمكانياتنا محدودة ، ومشروعكم يحتاج إلى الأموال ، وليس لدينا أموال الآن ؛ الأسلحة تلتهم كل شيء » . وبعد عدة اجتماعات أخرى ؛ تم حَلُّ اللجنة في أثناء حرب السويس . إلا أن معلومات متقطعة نشرت في إسرائيل بعد وقت طويل ؛ بينت أنه خلال هذه الفترة القصيرة نجحت اللجنة في نقل بضع مئات من الفلسطينيين « الإسرائيليين » إلى ليبيا ، ودارت التقديرات في هذا الشأن حول رقم ٥٠٠ أو أكثر أو أقل بعض الشيء ، وكان المنقولون من أعضاء الحُمُولات الفقيرة ذات النظام الأبوي ، وأَمَر أربابُ الحمولات المرتشون بعضَ الأعضاء بالرحيل في حين بقَوا هم أنفسهم في مكانهم . إلا أن هؤلاء المهاجرين المقيمين في ليبيا كانوا ملزمين بالتكتم على مواطنيتهم الإسرائيلية . وبعد سنوات قام نظام القذافي في ليبيا ؛ فرحل بعض الذين لم يَرقهم النظام الجديد إلى أوربا ؛ حيث أعلنوا عن مواطنيتهم الإسرائيلية ، وصُرح لهم بالدخول لتجنب الفضيحة في المقام الأول ، ولأنه في غضون ذلك تطور في إسرائيل نوع من الاحترام للشرعية ؛

وبوجه الخصوص فيما يتعلق بحقوق المواطنين الإسرائيليين .

لم أجد أثراً لمشاريع « الترانسفير » بين ١٩٥٧ وحرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧ ، ولكن النصر الإسرائيلي فتح صنابير تدفق الجنون الماشيحاني في المجتمع اليهودي الإسرائيلي . وكَلَّفَ فايتس نفسَه مجدداً ببعض الأعمال – وكان قد أصبح عجوزاً على المعاش– فبتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧ ؛ نشر مقالاً في « دافار » ذكَّر فيه بالاقتراح الذي قدمه عام ١٩٤٠ (الذي عرضناه سابقاً ؛ حسب يومياته) بطرد كل الفلسطينيين ، وطالب بتنفيذه من الفور في خِضَمِّ الانتصار العسكري . إلا أنه أُهين ؛ حيث اعتبر عجوزاً لدرجة لا تسمح له بالتكلم عن المشاريع الجادة ! وأخيراً ؛ توصل بصعوبة بالغة إلى إجراء بعض المقابلات ، ومنها مقابلة مع غولده مئير ، ولكن لم يصرح له بالاشتراك بأية عملية « نقل » . ومن المعلوم أن مثل هذه العمليات قد حدثت بالفعل في تلك الفترة – بعد نصر ١٩٦٧ – فقد نجحت إسرائيل في تنفيذ عمليات « ترانسفير » تمت على ثلاث مراحل : أولاً ؛ قامت إسرائيل بطرد بضع مئات الآلاف من الفلسطينيين خلال العدوان ، وبعده مباشرة ، وعدد المطرودين الحقيقي في هذه المرحلة مجهول ، لكنهم يتكلمون عن رقم يتراوح بين ٣٠٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ ، وتقديري الشخصي – وغير المؤكد – أنه

يـــتراوح بين ٤٥٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ ، ومن بين هؤلاء سُمِحَ لنـحو ١٥٠٠٠ بالعودة .

ومرَّت بعد ذلك فترة أطول - بضعة أسابيع ؛ بالنسبة إلى الضفـة الغربية ، وحـتى أغسطس ١٩٦٨ ؛ بالنسبة إلى قطاع غزة - خفَّتْ فيها حدِّة « الحث على الرحيل » ، غير إن الضغوط كانت تمارس بالتخويف . وعلى سبيل المثال ؛ كان إطلاق النار في الهواء يسمع في قرية ما طوال أيام عديدة ، ثم يُقترح على الأهالي - بكل أدب - الصعود إلى حافلات مزودة بالمياه ، وحتى بالمواد الغذائية للأطفال ؛ ليـــتم نقلهم إلى الجسر عند نهر الأردن ، أو كان المُخْتَار (المعين في ذلك الوقت من قبل السلطات الإسرائيلية ، وهو شيخ حمُولة أو أسرة كبيرة) هو الذي يأمر بالرحيل ، وعلى حين يتكفل الإسرائيليون باتمام النقل ؛ كان المختار يتلقى مقابل خدمته تلك مبلغاً متواضعاً ؛ ٢٠ ليرة إسرائيلية . وتوقف هذا النوع من الطرد في أغسطس ١٩٦٨ ؛ عندما نظم الأردنيون - بصرامة - عبور نهر الأردن من قبل مجموعات كبيرة من الفلسطينيين ؛ حتى إن آخر مجموعتين أو ثلاث من المنقولين قد أجبرت على المكوث على الضفة الغربية للنهر لفترة طويلة ؛ بالقدر الكافي للضغط على السلطات الأردنية ، لكنهم اضطروا في النهاية إلى إعادتهم إلى غزة (في

الفترة ما بين يوليو ١٩٦٧ ويوليو ١٩٦٨ ؛ شـــاهدت بنفسي بعض الأحداث من التي اتسم بها النمط الثاني من « الترانسفير » ، ولن أتوقف كثيراً عند هذه النقطة ؛ لأن الوثائق من الجهة الإسرائيلية قليلة ، ولم يكتب الفلسطينيون شيئاً حول الموضوع على ما أعلم . وأضيف أن الفلسطينيين مقصرون جداً - في رأيـي - فيما يتعلق بالتوثيق حول مسألة « الترانسفير » وتحليلها) .

ولذلك ؛ انتقل إلى الحديث عن منهج « الترانسفير » الثالث المتـــبع في الفترة نفسها . والوثائق الإسرائيلية كثيرة حول الموضـــوع . وأعتقد أن التخطيط لهـــذه المرحـــلة - مثل مخططات « الترانسفير » الأرجنتينية والليبية - مميز للغاية ، ويقدم عناصر ثمينة للتحليل والاستخلاص . وأفضلُ توثيقٍ قريب العهد (توجد تحليلات سابقة نشرت في الصحافة العبرية) هو نتاج عمل صحـــافيين إسرائيليين حســـني الاطلاع هما يوسي ملمان ودان رفيف . وملمان الذي يكتب في دافار ؛ جريدة الهستدروت ؛ متخصص أيضاً في قضايا التجسس ، وقد نشر مؤخرا كتاباً عن أبو نضال ، واقتبس المعلومات من المصادر الداخلية للمخابرات الإسرائيلية ، أما رفيف فقد نشر كتاباً حول المشاريع النووية الإسرائيلية (هذا الكتاب مُنعَ في إسرائيل) ، وكانا قد نشرا كتاباً

مشتركاً حول العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية ، وتبدو المعلومات التي يقدمانها موثوقة ، ومن جهتي – شخصياً – اعتبرها حقيقية .

بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٨ ؛ نشر هذان المؤلفان مقالا في « الجارديان ويكلي » (نشرة تصدر عن « الواشنطن بوست ») تحت عنوان ذي دلالة كبيرة : « حل نهائي للمشكلة الفلسطينية » ، وكانا قد نشرا مقالا مماثلاً في « دافار » بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٨٨ (ملحق يوم الجمعة) تحت عنوان : « هذه هي قصة الترانسفير » . وأستندُ فيما يلي إلى هذين المقالين ؛ لكني أشير – بوجه خاص – إلى مقال الجارديان ويكلي ؛ برغم أن بعض التفاصيل موجودة في مقال « دافار » وغائبة في المقال الثاني – كما نرى في الفقرة التالية :

« إن حركات العصيان الأخيرة في المناطق (كانت إدارة دافار لاتزال تفرض مصطلح « العصيان » لوصف الانتفاضة) تخلق استقطاباً في الرأي العام الإسرائيلي : من جهة ؛ هناك أناس يتكاثر عددهم يفهمون أنه لا يوجد مخرج غير الحل السياسي الذي سيحرر إسرائيل من القسم الأكبر للمناطق ، ومن جهة أخرى ؛ هناك الذين يعتقدون أن الطرد هو السلاح الأكثر فعالية ، ولايزال تحت تصرف إسرائيل ؛ باعتبار أن الرصاص ، والهَرَاوَات ، والضرب غير كافين . ولايزال الوقت مبكراً للتنبؤ بما سيحدث بين هذين القطبين » .

ويروي الكاتبان قصة تبدأ بعد أسبوعين من انتصار إسرائيل في حرب الأيام الستة ؛ وقبل – وهذا مهمٌ جداً – أن تكون قد نشأت مقاومة ذات قيمة في مواجهة إسرائيل المنتصرة ؛ وفي فترة كان العالم العربي برُمَّته يرزح فيها تحت صدمة الهزيمة ، وتحظى إسرائيل بتعاطف أغلبية الرأي العام العالمي ، وبمساندة الولايات المتحدة وأوربا الغربية ؛ التامة ، وبودّ بلدان عديدة من العالم الثالث – ماذا فعلت وقتذاك الحكومة الإسرائيلية المُسيطَرُ عليها من قِبَل الذين كانوا سيشكلون حزب العمل الحالي ؟ ماذا كانت تقول ؛ لا في تصريحاتها العلنية التي لم تتطرق سوى إلى « رغبتنا في السلام » ، ولكن فـي جلسات مجـلس الوزراء ؛ حيث كان يـدور البحث حـول « المشكلة الفلسطينية » ؟ آبا إيبان ؛ تلك « الحمامة » النموذجية الذي كان وقتذاك وزيراً للخارجية – « طالب بإعادة توطين اللاجئين في البلدان العربية المجاورة ؛ وبالأخص في سورية والعراق » ، أما يغآل آلون ؛ نائب رئيس الوزارة في تلك الفترة – فقد اقترح « نقل اللاجئين الفلسطينيين إلى صحراء سيناء ، وإقناع الفلسطينيين بالرحيل عن البلد » . وحسب ما دونه يعقوب هرتزوج شـقيق الرئيس الحالي مدير مكتب رئيس الوزراء في ذلك الوقت – في جلسة مجلس

الوزراء هذه ؛ فقد سجل آلون الانتقاد التالي : « لا نقوم بإعلام كافٍ في الأوساط العربية لتشجيع الهجرة » ، أما مناحيم بيغن الذي كان في ذلك الوقت وزيراً بلا حقيبة ولكن ليس بلا نفوذ؛ فقد « أوصى بتدمير مخيمات اللاجئين ، وبنقل أهاليها إلى سيناء التي انتزعت مؤخرا من المصريين » . وترتب على كل هذه الاقتراحات – كما حدث أيام المشـــروع الليبي (أي منذ ١١ عاماً فقط) – إنشاء « خلية سرية مهمتها تشجيع رحيل الفلسطينيين نحو شواطىء غريبة » . كانت هذه « الخلية السرية » تتكون من ممثلين عن مكتب رئيس الوزراء (من المعروف أن الموساد جهاز تابع لهذا المكتب) ، ووزارة الدفاع ، والجيش ، وأخذت الخلية مقراً لها في غزة ؛ في أحد الشوارع الرئيسية (شارع عمر المختار) . ومن خلال وكالة سفريات تعمل في تل أبيب ، كانت تقدم إلى الفلسطينيين تذاكر سفر للذهاب دون العودة باتجاه أمريكا الجنوبية ، وبخاصة باتجاه پارَجواي ، وتعد بمساعدتهم ماليًا في مصاريف الإقامة (لم يرَ المسافرون لونَ هذا المال) . وبقي المخطط سارياً لمدة ثلاث سنوات تقريباً ، ثم تعطل فجأة بسبب حادث لم تتوقعه إسرائيل : فقد تفاقم بأس هؤلاء الفلسطينيين الذين وعدوا بمساعدة ولم يتلقوا شيئاً ، وبتاريخ ٤ مايو ١٩٧٠ ؛ دخل أحدهم ؛ وهو طلال (...) سفارة إسرائيل في

پارَجواي ، وعندما لم يسمح له بمقابلة السفير ؛ أطلق النار من مسدسه على السكرتير وأرداه قتيلاً . وسارعت السلطات الإسرائيلية باتهام منظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أن سلطات پارَجواي اكتشفت الحقيقة بسرعة ، ووضعت حدًّا لعملية « الترانسفير » إلى أراضيها . وفي كل الأحوال ؛ من الممكن ألا يكون قادة دكتاتورية پارَجواي قد وافقوا رسمياً على مشروع الترانسفير (على غِرار ما حدث في الأرچنتين وليبيا) وإنما تم التفاوض حوله باتباع السبل العادية كاستخدام النفوذ والرشوة ، ولذا ؛ تهزم مثل هذه المشاريع تماماً عند اكتشاف الأمر . وحسب ملمان ورفيف (في دافار) بلغ عدد الفلسطينيين الذين تم نقلهم « نحو الألف » و« قد يبدو نقل ما يقارب مليون الفلسطيني خارج هذا البلد هدفاً مكلفاً للغاية وغير قابل للتحقيق » (التشديد من عندنا – إ . شاحاك) ؛ غير إن « الحكومة الإسرائيلية كانت تأمل وقتذاك في أن يسهم المشروع في حل المشكلة الفلسطينية ، أو على الأقل « تخفيض » عدد السكان ، وبخاصة في المناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة ؛ مثل غزة » – المصطلح العبري « لعدليل » (المترجم هنا بـ « تخفيض ») هو مصطلح مخصص للأمور الزراعية ويعني نزع الزُّؤَان والأعشاب

الضارة الأخرى من الحقل المزروع بالحبوب (!!) ، وقد استخدمه النازيون إشارة إلى اليهود ، وكـان استخدامـه بالألمانية بشكل مفـرط ؛ بغية تهيئة الرأي العام الألماني « لنقل » اليهود أو لإبادتهم . وأرى أن استخدم الكلمة نفسها في إسرائيل - بشكل عادي ومستمر بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ - موحٍ للغاية ؛ خاصة عنـدما كانت تأتي على لسان أناس مشـهورين بكونهـم من « الحمائم » .

لا شيء يسمح لنا بالتفكير في أنه قد تم التخلي في يوم من الأيام عن محاولات «الترانسفير» التي حثت عليها الحكومة الإسرائيلية ، والتي تشكل في نظرها جزءاً لا يتجزأ من « حل المشكلة الفلسطينية » . ألَمْ نرَ المحاولات تتجدد من جرّاء الفورة الأولى من الحماس التي تبعت النصر الإسرائيلي المزعوم في لبنان عام ١٩٨٢ ؟ لقد ذهب ياكوف ميريدور الصديق الحميم لبيغن الوزير بلا حقيبة وقتذاك ؛ ليتفقد منطقة صيدا ، وأدلى هناك بتصريح شهير عندما سئل عمّا يجب عمله مع الفلسطينيين : « يجب دحرهم نحو الشرق ؛ نحو سورية ... حيث لا يعودون منها أبداً » . (نقلت مصادر عديدة هذا التصريح ، وقد ورد بالتحديد في كتاب دوف يرميا - حول غزو لبـنان) . ولن أتكلم عن الحمـلة الحالـية المناصرة لمشـــروع

« الترانسفير » التي أشرت إليها في بداية هذه المقالة ؛ لأن الوقت مازال مبكراً للتنبؤ بما ستسفر عنه ، ولضيق المجال أيضاً . أما الانفجار الحالي الذي لم يسبق له مثيل ؛ من ناحية القوة المكتسبة على الصعيد الشعبي ؛ فهو أمر يستحق دراسة خاصة ، وحيث إننا تتبعنا وبحثنا تفاصيل الفكر والممارسة الصهيونيين ؛ فيما يتعلق بمسألة « الترانسفير » ؛ في الفترة الممتدة من العام ١٩٣٨ حتى ١٩٧٠ ؛ أي لمدة ٣٢ عاماً - فقد حان الوقت لاستخلاص نتائج هذا البحث .

درس المستقبل :

سأبدأ بالتذكير بالمبادىء التي ارتكزت عليها مقالتي ، والتي تبدو الحاجة ماسة إلى تأكيدها هنا .

لا الفظائع هي الأكثر دلالة في عملية « الترانسفير » على الطريقة الصهيونية ، ولا المذابح المرتكبة ضد الفلسطينيين ، وفي كل الأحوال ؛ فقد ارتبط تقسيم القارة الهندية بين الهند والباكستان بمجازر أضخم بكثير من تلك التي حدثت عند طرد الفلسطينيين ؛ في الفترة ما بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ . تلك حجة لا يكلّ أبداً عن تكرارها المدافعون عن الصهيونية ، إلا أنه يجدر التشديد على أن المجازر المتبادلة بين المسلمين والهندوس ، و بين الأتراك واليونانيين من العام

١٩٢٠ حتى ١٩٢٢ - كانت عَفْوِيَّة ؛ لم يزعم أحدٌ في يوم من الأيام أن قادة الهند ، أو زعماء هذا الدين أو ذاك ؛ قرروا قبل سنوات عديدة نقل سكان من قومية أخرى أو من دين آخر ، وينطبق القول على القادة اليونانيين أو الأتراك ؛ أيًّا كانت أهدافهم . وإذا أردنا فهم ومنـــع تكرار مثل هذه الفظائـــع فإن المهم أكثر من العودة الدائمة إلى مجـازر الماضي وتفاصيلها - هو التنديد بالإعداد وبالتخطيط الصهيونيين ، كما أن المهم في الحالة الموازيـة (مع الفـــارق) « للترانسفير » على الطريقة النازية الذي تبعته إبادة اليهود - هو التخطيط ، وهي الأيديولوچية الكامنة ؛ هذا إذا أردنا فهم الظاهرة ، وفي الوقت نفسه منع تكرارها .

لقد تجنبتُ العودة إلى مذبحة دير ياسين ، أو إلى مذابح أخرى مماثلة أو أفظع منها ؛ حدثت في الفترة ما بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ . والمهم ليس دير ياسين وحدها ؛ تلك الجريمة اللائقة بالنازيين ؛ فلو أردنا التوصل إلى الفهم والتحليل لوجب التعرف على الفكر الصهيوني تفصيلاً وتحليله ؛ كما عبَّر عن نفسه من خلال الكلام والأفعال . إن هذا الفكر هو الذي يفتح الباب أمام ارتكاب المجازر كمجزرة دير ياسين وغيرها من مجازر قادمة مماثلة أو أفظع منها . إن المعرفة الدقيقة والتفصيلية تشكل واحدا من الأسلحة التي نملكها

لاتقاء مثل هذه الجرائم ، وقد كان هدف هذه المقالة القصيرة - التي من المفروض أن تكون مقدمة إلى دراسات أكثر عمقاً نحن بحاجة كبيرة إليها - هو تجميع وتحليل كل ما نعرفه عن المشاريع الصهيونية الرسمية ، ولكن من الممكن استخلاص بعض النقاط المهمة التي أعرضها فيما يلي :

١ - مثـابرة الصهـيونية الرسمية ؛ وبخاصـة الصهيونية « الاشتراكية » ، والإمكانيات التي وظفتها لإدارة عملية «الترانسفير» بنجاح - ذات دلالـة كبيرة . ولنذكر بإيجاز الظروف المحيطة بخطط « الترانسفير » إلى الأرجنتين في فترة ١٩٥١ / ١٩٥٢ : كانت إسرائيل تعاني من وضع اقتصادي سيىء - بشكل عام - كان السكان اليهود في إسرائيل يعانون من نقص المال والمواد الغذائية ؛ وبخاصة الخضراوات الطازجة ، وسبَّب هذا النقص الخطير الوصولُ الجماعي للمهاجرين الجدد ، في وقت كانت فيه القرى الفلسطينية المسيحية كقرية الجِش تنتج الخضراوات بوفرة . وفي الوقت نفسه ؛ نرى أكبر القادة في إسرائيل يكرسون معظم الوقت والتفكير والطاقة والأموال؛ لمشروع يهدف إلى « النقل » الفوري لسكان فلسطينيين مسالمين ؛ يوفرون الغذاء لإسرائيل ، وحتى المبدأ الإمبريالي الرئيسي « فرق تسد » الذي طالما استخدم للتفرقة بين المسيحيين والمسلمين ؛ تخلَوا عنه ؛ لم يتردد أكبر زعماء الصهيونية الرسمية لحظة واحدة

في التضحية به على مذبح مبدأ آخر كان يهمهم أكثر بكثير ؛ وهو إبعاد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين في اللحظة المختارة . وهذا التصرف ليس له صلة بالإمبريالية ؛ سواء على صعيد النظرية أو على صعيد الممارسة ، وليست هذه السياسة المعتادة للدول أو النظم الاستعمارية ؛ إلا أن هذه الأفكار يفسرها الإطار اليهودي – ليس تماماً ؛ بالطبـــع . إن التفسيرات الأيديولوچية لا تكفي أبداً ؛ إلا أنها ضرورية . ولنعد إلى الفترة التي كانت قد بدأت فيها إبادة اليهود في أوربا واشتعلت الحرب العالمية الثانية ؛ حيث لم يكن أحد يتوقع دحر الوحش النازي ؛ لنرى عندئذ أهم القادة الصهاينة يكرسون وقتاً وجهداً ضخماً ، وحتى يتعاونون بشكل وثيق مع نظام فيشي التابع الوفي لهتلر – للإعداد « لنقل » الفلسطينيين إلى أبعد من حدود الفرات ؛ نرى أناساً يهود – من المفروض أن يكون شغلهم الشـاغل هو إنقاذ يهود آخرين – ينعتون أنفســهم بـ« التقدميين » و« الاشتراكيين » ؛ ينشغلون بأمور أخرى ؛ في حين كانت القوى النازية تحقق النصر تِلْو النصر ؛ من ديسمبر ١٩٤٠ حتى مايو ١٩٤٢ ؛ قبل ستالينجراد بكثير ، وقبل العَلَمين و معارك الجبهة النازية . إلا أن رغبة الصهاينة في التخلص من الفلسطينيين – كل الفلســطينيين – كانت كبيرة إلى درجــة أنها تغلبت على أمــور

كثيرة أخــرى ، وبالتأكيد علــى « مجرد » القلــق على اليهود ، أو علــى « مجرد » الرغبة في إنقاذهم . و الواقع أن إحدى أهم النتائج التي نستخلصها من وصف تخطيط عمليات « نقل » الفلسطينيين هي النتيجـة الخاصة باليهود التي تؤكدها أوجه أخــرى للصهـيونية : إن هدف الصهيونية ليس مساعدة اليهود ولكن استخدامهم .

٢ – في الوقت نفسه ؛ تمكنًا من ملاحظة الطابع البراجماتي لتنفيذ مخطط « الترانسفير » ، إلا أنه يجدر التشديد على النقطة التالية : إنها براجماتية تخدم فكرة باطلة لا إنسانية ؛ إن الفرق الحقيقي بين الصهيـونية الرســمية ومن يســـمونهم بـ« المتعصبين » (مفهوم « التعصب » يتبع موقعهم الاجتماعي في فترة ما وليس أفكارهم) يكمُن بالضبط في قدر الزيادة في البراجماتية الذي يرتبط بمعرفتهم عما يهيمن على العالم السياسي المعاصر ، والحدود التي يمكنهم المضي إليها ؛ ثمَّ لا يوجد فرق حقيقي بين هدف فلسطين مفرغة تماماً من الفلسطينيين ، أو فلسطين يهودية تماماً ؛ حسب ما جاء في شرح القادة الصهاينة لهدفهم ؛ عندما كانوا مضطرين للإجابة عن أسئلة ملموسة . إن الصهاينة والمتعصبين يجمعهم هدف واحد ، أما الاستثناءات الوحيدة التي ظهرت قــبل ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ؛ فقد كانت في رأيي هامشية كلها ، وهوجمت بعنف ؛ لأنها رفضت

الانصياع للهدف النهائي الذي ندرسه هنا ، إضافة إلى رفض عدد صغير جداً من المثقفين الصهاينة المعزولين للغاية – قد يمثل مانيس أفضل نموذج لهم – الالتحاق بالهدف الأعلى .

٣ – عند الإقرار بذلك ؛ سنفهم لماذا تتطابق فترات النشاط المكثف حول مشروع « الترانسفير » (وحول جوانبه الأكثر تطرفا ؛ على وجه الخصوص) مع الفترات التي كانت فيها الصهيونية قوية ، أو اعتقدت هي ذلك – وعموماً ؛ يظن المتعصبون والمتطرفون أن الصهيونية قوية دائماً . وهنا يكمن الفرق الأساسي بين التيارين ؛ فلا نرى أثراً لأي مشروع ذي أهمية بعد هزائم الصهيونية ، أو بعد خسائر لحقت بإسرائيل . ويجب الاقتناع بفكرة أنه لا توجد علاقة مباشرة بين قوة الصهيونية أو قوة إسرائيل و الظروف الملموسة لليهود في إسرائيل : ففي العام ١٩٣٧ ؛ كان اليهود الألمان ؛ وبدرجة أقل يهود أوربا الوسطى وأوربا الشرقية – يعانون من ظروف يرثى لها ؛ إلا أن الصهيونية كانت مزدهرة في فلسطين ، وازدادت ازدهاراً في الفترة من العام ١٩٤٠ حتى أوائل العام ١٩٤٢ . في هذه الفترة كان الجزء الأكبر من القارة الأوربية يرزح تحت النِّير الهتلري ؛ كانت القوات النازية على أبواب مصر ،

وبدأت تتغلل في أعماق الاتحاد السوڤييتي ؛ ناهيك عن انتصارات حلفائها اليابانيين ، أما بريطانيا العظمى – القوة الأولى في الشرق الأوسط – فكانت ضعيفة ومعزولة لم تستطع الاعتماد على الأنظمة العربية ، أو على طبقاتها الحاكمة ؛ في قتالها اليائس ، ولذا ؛ أصبحت الصهيونية بالنسبة إليها حليفا لاغنًى عنه . وعندما كان فايتس يعد « لنقل » الفلسطينيين إلى مكان أبعد من الفرات ؛ بمباركة أكبر القادة الصهاينة – تم إنجاز تطور كبير في القوى المسلحة الصهيونية بمساعدة البريطانيين ، كما شهدت تلك الفترة تأسيس البلماخ ، والأطر الجديدة للقوة العسكرية الصهيونية مثل صناعة الأسلحة . وفي عام ١٩٦٧ ؛ بوشر بالتنفيذ الفعلي بعض مشاريع « النقل » وإعداد خطط « للترانسفير » الشامل ؛ وذلك في أعقاب حرب الأيام الستة . ومرة أخرى نقول إن هذه الوقائع تتناقض مع محاولات فهم الصهيونية حسب النماذج الإمبريالية والاستعمارية ، وإنها – على الضد – تكشف عن الوجه الحقيقي للصهيونية : إنها حركة يهودية رجعية بكل معنى الكلمة ؛ حركة حدَّدت لنفسها هدف انعاش ما تعتبره ممثلاً للقيم أو المفاهيم اليهودية الأصلية ؛ كما وردَت في التوراة ؛ وكما يراها معظم الصهاينة ؛ بمن فيهم الصهاينة العلمانيون ،

وأخيراً ؛ كما تعرفها الأرثوذوكسية اليهودية بالنسبة إلى اليهود المتدينين ، وبدرجة أقل ولكن ملحوظة ؛ بالنسبة إلى اليهود السلفيين – فالدولة الإمبريالية تعمل على تحقيق الاستقرار في الأراضي التي تحتلها ؛ بغية استغلالها أفضل استغلال ، ولا تقوم بطرد سكان يمكنها الاستفادة منهم . ويبدو لي أن هذا التحليل يرتدي طابع الأهمية القصوى فيما يتعلق بالمستقبل ؛ فهو يعمل ضد الاتجاه السائد لدى عدد بالغ من المعلقين الغربيين الذين تميزوا « بالفطنة المكرسة » ، وخدعهم الإعلام الصهيوني ؛ فنسوا أن يراقبوا أفعال الصهاينة ، كما فاتهم التساؤل عمّا يعدون له . تصدقون الصهاينة – بغير دليل – عندما يقولون إنهم يبحثون عن « الأمن » ويحتاطون ضد « الإرهاب » ، أو عندما يدلون بأكاذيب وسخافات أخرى ! ومن المفروض أن يكون تحليلنا قد بيّن أن دوافع « الأمن » ، أو التصريحات المتعلقة بأهداف وهمية أخرى ؛ حتى إذا صدرت عن التيار البراجماتي المشار إليه في النقطة السابقة – هي ثانوية تماماً بالنسبة إلى الهدف الأساسي وهو «نقل» أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين ، وإنْ أدى ذلك إلى تهديد أمن إسرائيل بالمعنى المعطى إلى الكلمة في الإعلام . وعلى سبيل المثال

- وكما سبق الذكر - فقد تواصلت سياسة « النقل » الجماعي للفلسطينيين من قطاع غزة إلى الأردن حتى أغسطس ١٩٦٨ ؛ أي بعد معركة الكرامة بكثير ؛ وفي الوقت الذي كانت فيه منظمة التحرير الفلسطينية الحديثة التكوين تقوم بتجنيد مكثف في الأردن ، فالذي استطاع إجبار الصهاينة على تأخير فرض « الترانسفير » المقدس إلى المرتبة الثانية - كان فقط ضرورات سُلْطَوِيَّة : الخوف من نشوب حرب مع دولـــة عربية قوية ، والضغوط الممارسة أو المتوقعة من قبل قوى عظمى . إن الأمر يمثل فعلاً بالنسبة إليهم فرضاً مقدساً ، ويجب ألا ننسى ذلك إذا أردنا فهمهم ؛ فَهْمَ عقليتهم . وعلى سبيل المثال ؛ لنتطرق إلى خشية بن جوريون من رد فعل الكنائس المسيحية في فترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٢ ، أو إلى حزنه البالغ عندما حول الأموال المخصصة « لنقل » الفلسطينيين إلى ليبيا ؛ إلى شراء الأسلحة بهدف مهاجمة مصر في العام ١٩٥٦ . يمكننا التنبؤ - من دون أدنى شك - بأن كل ازدياد في القوة الإسرائيلية في ظل القيادة السياسية نفسها ؛ سيجعل من خطر عملية « ترانسفير » جديدة واقعاً وشيكَ التحقيق بدرجة أكبر .

٤ - المبادىء المذكورة آنفاً تفسر وتبرر التشبيه الذي أقمته بين مفهوم « الترانسفير » في الأيديولوجية الصهيونية وبعض

ممارسات ألمانيا النازية ؛ لتوضيح الظاهرة بشكل أفضل . وكما سبق الذكر ؛ ليست المشكلة في عدد الضحايا ولكن في ثبات النيَّة - المستترة تحت قناع مصلحة الدولة ، أو تحت قناع الروتين الإمبريالي العادي - التي تميز وسواس « الترانسفير » الصهيوني ؛ ثمَّ فكرة فلسطين اليهودية الصِّرف . وعلى نحوٍ مماثل ؛ فقد تميزت النازية منذ البداية بالوحدانية ، وكان الفرق بينها وبين الحركات اللاساميَّة العادية يكمُن في إرادتها المعلنة : « تطهير » ألمانيا أولاً ثم أوربا من وجود اليهود . إن إرادة طرد شعب بأكمله من بلده الأم هي نازية في جوهرها ؛ سواء كانت الخسائر البشرية المترتبة على العملية قليلة أو كبيرة ؛ إنها النازية ، يجب أن نقول ذلك ، وأن نعمل على هذا الأساس ؛ وإن استمرت تلطفها الاعتبارات البراجماتية الصِّرف . إن هذا التشبيه يساعد على الفهم ، ويرفع طرف الحجاب كاشفاً عن الكوارث الممكن حدوثها في حال عدم رصد طبيعة الحركة في الوقت المناسب . وتبين تلك الاعتبارات كم هو ضروري وملِح استخدام هذا التشبيه لفضح مخطط « الترانسفير » الصهيوني .

٥ - في هذا الإطار ؛ علينا أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي الأكثر إلحاحاً والمريع : ما هي الظروف المحتملة التي يمكن

أن تؤدي فـي المستقبل القريب إلى إمكانــية حـدوث عملية « نقل » - ربما « نقل » كامل للفلسطينيين - على أن تكون هذه العملية إحدى المقدمات لـ « حل نهائي » أكثر فظاعة ؟ إن تحليلنا المبني على مقارنات ضرورية لتجنب وقوع حوادث محتملة ؛ يوجهنا إلى طرح ثلاثة احتمالات ترجح بقوة حدوث عملية « الترانسفير » ؛ يجب معرفتها من أجل مواجهتها :

أ - وصول متعصبين حقيقيين أو متطرفين - سبق أن وصفتُهم - إلى السلطة في إسرائيل ؛ لا يتأثر هؤلاء بأي اعتبار براجماتي ، أو بأي ضغط داخلي أو خارجي ، وهم أنفسهم الذين يعتقدون بأن الصهيونية أو إسرائيل - والأمران سيان - دائما قوية ، ويأخذ هذا الشعور شكلاً آخر يقترب من الجنون ؛ برغم أنني لا أمـيل إلى استخدام هـــذا المصطلح ؛ فيما يتعلق بالجناية السياسية . يعتقد المتطرفــون أن إسرائيل (أو الصهيونية ، أو اليهود) هي - في آن واحد - قوية للغاية وضعيفة للغاية . يقولون علناً إن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية لتفعل ما تشاء ؛ بما في ذلك تحقيق « النقل » الشامل من الفور إذا وجدت عند الأمة الإرادة لأن تكون موحدة و وفيّة « للقِيَم اليهودية الحقيقية » - وهم أمناؤها ؛ بالطبع ، ولكن إسرائيل - أو اليهود - تبدو في الوقت نفسه ضعيفة

للغاية ، وستدمر حتماً إذا ما بقي على أرضها فلسطيني واحد ، أو إذا استمرت ما يسمونها بعملية « إفساد اليهودية من قبل العرب » ، أو لأية أسباب أخرى . ومن الملاحظ أن هذا المزيج من القوة والضعف الشديدين الذي يخصون به إسرائيل بدون تعليل واقعي ؛ يلصقونه أيضاً بضحاياهم الفلسطينيين والعرب كافة بدون سبب أجدى ؛ حيث يبدو الأخيرون - في آن واحد - ضعفاء واقعين تحت رحمة الإسرائيليين إذا ما قرروا طردهم ، وإبادتهم ، ... إلخ ؛ وفقا لنصائح المتطرفين الطيبة - ولا خوف هنا من القوى الأجنبية التي يأخذ المتطرفون على عاتقهم أن « يشرحوا لها الوضع على حقيقته » - وأقوياء للغاية ؛ بسبب التأثير السيىء الذي يمكن أن يمارسوه ؛ أقوياء لدرجة أن إبقاء حفنة منهم على أرض إسرائيل سيؤدي إلى نتائج لا يمكن حسابها ثُمَّ إلى كارثة . وترتكز هذه الأفكار على مقاطع التوراة التي تهدد أطفال إسرائيل بأشد العقوبات ؛ إذا ما سمحوا لغير اليهود بالبقاء على أرض إسرائيل . لكن النازيين كان لديهم أفكار مماثلة حول ألمانيا وحول اليهود ؛ ففي أيديولوچيتهم كانت ألمانيا - في آن واحد - قوية جداً ، وقادرة على عمل أي شيء دون أن يتحمل الألمان العواقب ، وضعيفة جداً ؛ تخضع لخطر الدمار إذا هي تهاونت مع التأثير اليهودي ، ومع « الانحلالات العصرية »

الأخـرى . وفي الوقت نفسه ؛ يبدو اليهود ضعفاء جداً ؛ يقبلون بأن « ينقلوا » دون إحداث مشاكل ، وفي « الواقع » هم أقوياء للغاية حتى إن تأثير البعض منهم فقط سيدمر ألمانيا ؛ إذا سمح له بالبقاء فيها . ويأخذ هؤلاء المتطرفون الإسرائيليون موقعهم على يمين الليكود ؛ في صفوف الأحزاب والحركات التي لا تقبل بأي عربي أو بأي شخص غير يهودي ؛ وهذه سمة نازية أخرى . وأعتقد أن أكثرية المستوطنين اليهود في المناطق ولاسيما المقيمين فيها لأسباب أيديولوجية ؛ ينتمون إلى تلك الفئة ، ويجب اعتبارهم كما هم في الواقع : نازيين يهود . وهم يحظون بحلفاء كثيرين في المجتمع اليهودي الإسرائيلي ، ويمكن تقدير نسبتهم بنحو ١٥ ٪ من يهود إسرائيل ؛ إلا أن نفوذهم أقوى بكثير ، والمساعدة المعنوية والمالية التي يتلقونها من قبل الطائفة اليهودية الأمريكية ؛ وبخاصة من قبل اليهود الأرثوذوكس الأمريكان – تزيد وزنهم . وبشكل عام ؛ يقوم اليهود الأرثوذوكس الإسرائيليون – خاصة حاخاماتهم – بدعمهم عملياً ، أو على الأقل يمتنعون عن معارضتهم .

وإذا تمكنت هذه الأوساط من الوصول إلى السلطة في إسرائيل ؛ سيصبح مشروع « الترانسفير » الشامل واقعا عملياً عند غياب التدخل الخارجي السريع ؛ حتى إنه من المحتمل جدا توقع

صـدور قرار بإبادة الفلسطينيين وكل من يوجد من عـرب في فلسـطين . هذا الخطر حقيقي ؛ قد لا يكون كبيراً في الوقت الحاضر ، ولكن لنتساءل كَمْ كان عدد الفرص المتوقعة لهتلر في أن يتسلم السلطة في العام ١٩٢٨ ؟

ب - تغير في مسلك جزء معين من القادة السيـاسيين الحاليين ، ونسيان - ولو آنيا - هــذه البراجماتية التي تمكنت حتى الآن من كبح رغبتهم في تحـقيق مشروع « الترانسفير » وحصرها ضمن حدود الوقائع الملموسة والأشياء الممكن تحقيقها سياسيًّا . إلا أن الأمر يتعلق هنا بتقدير لتطور الأشخاص يصعب حسابه ، ومع ذلك يجب أخذ هذا الخطر بعين الاعتبار ، وسأوضحه بعرض لهذا الاحتمال القائم : يعرف الناس في إسرائيل ما لا يعرفه إلا القليل جدًّا خارجها - لسوء الحظ - ومِمَّا يعرفـه هذا القلـيل أن مـبادىء تنظيم « الليحـي » (المعروف أيضا باسـم مجمـوعة شتيرن) التي صاغها مؤسسه وقـائده إبراهام (يائير) شتيرن ؛ كانت تقضي - بالإضافة إلى التحالف مع هتلر الذي تم السعي إليه في عام ١٩٤٠ - بـ « نقل » : ليس فقط الفلسطينيين ، وإنما أيضاً نقل الأردنيين واللبنانيين والسوريين . وقد كان رئيس الوزراء الحالي

عضواً في « الليحي » ، وترقى بعد إعلان مشروع التحالف مع النازيين ؛ في حين ترك المجموعة أو استبعد منها عدد من الأعضاء الآخرين ؛لأنهم لم يتمكنوا من إبداء موافقتهم على هذه الفظاعة ، إلا أن شامير قَبِلَها؛ وإنْ كان بن جوريون أدخله بعد فترة – في أواسط الخمسينيات – في الموساد ؛ حيث خدم لمدة ١٦ عاماً ؛ شغل فيها المناصب الرفيعة مع ما يترتب عليها من مسئوليات أكبر . ويمكن أن نقدر بذلك أن تأثير بن جوريون عليه كان كبيراً ، غير إننا لا ينبغي أن ننسى أنه بعد ذلك قد اقترب أيضاً من بيغن ؛ قبل أن يفقد الأخير عقله ؛ أي قبل عام ١٩٨١ ؛ عندما كان بيغن لايزال يحافظ بل يسعى في ممارسته السياسية إلى الموازنة الإسرائيلية العادية بين التطرف والبراجماتية ، والواقع أن بيغن قبل العام ١٩٨٠ ؛ بَدَا أكثر اعتدالاً من الحكومات العمالية المتعاقبة منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٧ . وربما كان القائد الإرهابي السابق قد استوعب درس البراجماتية الإسرائيلية خلال هذه الفترة الطويلة من التدريب السياسي . ولكن ألا يخشى – مع التقدم في السن ، وغياب معلميه القدماء – من أن يعود شامير إلى أيديولوجية معلمه الأول (شتيرن) الذي كان يريد أن ينقل – جماعيًّا – الفلسطينيين والأردنيين واللبنانيين والسوريين ؟ هناك بعض الدلائل الداعمة لهذه المخاوف ؛

مثل عــلاقاته بمجموعة من المتعصبين يريدون إعادة بناء المعبد من الفور ؛ وهو المشــروع المدرج في برنامج « ليحي » . لقد عرف التــاريخ مثل هذه العــودة إلى مُثل وقِيم أيام الشباب ، وهذا – على أي حال – أحد أسباب الضعف الذهني لبيغن في فترة ١٩٨٠ / ١٩٨١ . إنني لا أدعي أن رئيس وزارة إسرائيلي فقد عقله ، وانطلق يعمل بسياسة « الترانسفير » ؛ قد يحوز على كامل السلطة ، ومع ذلك فسلطته كبيرة جداً ؛ لمجرد أنه يتمتع بمطلق الصلاحية فيما يتعـلق بالموساد ، ويكون نفوذه السياسي والأيديولوچي ضخماً أحياناً ؛ خاصة عندما يهتم بمشاريع مؤسفة . في أيام اليسر – كما في أيام العسر – تكون مثل هـذه التحـولات واردة عند قادة عديدين ؛ وفي آنٍ واحد ، وعموماً ؛ يصــعب توقع العواقــب ، إلا أنها قد تخيفنا ؛ عندما نتذكر أن آبا إيبان اقترح في نشوة النصر – عام ١٩٦٧ – طرد الفلسطينيين إلى سورية والعراق .

ج – وأخيراً ؛ دعونا ندرس الظروف التي قد تمكن الطبقة السياسية الإسرائيلية – بتكوينها الحالي – من القــيام بتنفيذ عملية « ترانسفير » ؛ تستهدف عدداً كبيراً من الناس (علما بأن الإسرائيليين يقومون يومياً بعمليات « ترانسفير » صغيرة) . أحد المبادىء المقدسة للمؤسسة الإسرائيلية والصهيونية – على وجه

الخصوص ؛ يقضي بوجوب الحفاظ - بأي ثمن كان - على تحالف سياسي مع قوة عظمى أجنبية ، أو على الأقل على علاقات عملية معها ؛ إنه مبدأ براجماتي ، وهو الذي يميِّز الصهاينة العاديين عن المتطرفين منهم ، وقد رأينا هـذا المبدأ يطـبق فـي مباحثات زيوريخ عام ١٩٣٧ ، كمـا أشير إليه فـي أول مذكرة لفايتس حـول « الترانسفير » ، وهو الطابع العام للسياسة الإسرائيلية ، بما فيها سياسة شارون . إن إسرائيل تابعة ماليًّا اليوم للولايات المتحدة ، ويبدو أنها تعتقد أن هذا الوضع سيستمر ؛ ثَمَّ فالقضية المطروحة هي في منتهى البساطة : ما هي الظـروف التي تعتقد المؤسسة الإسـرائيلية أنهـا تمكنها - فـي آنٍ واحد - من القـيام بعملـية « ترانسفير » ضخمة ترغب في تنفيذها ، ومن الاستمرار في تلقي المال الأمريكي الذي ترغب فيه أيضاً ؟ ولْنَتذكر - بالمناسـبة - بأمرٍ لاشك أنه لا يتوه عن بال أحد في إسرائيل ؛ وهو أنه بعد غزو لبنان ومجازر صبرا وشاتيلا التي أعقبته في العام نفسه ؛ زادت الولايات المتحدة دعمها المالي إلى حدٍّ بالغ . وأفضـل إجابة أستطـيع أن أقترحها للردّ على هذا السؤال الجوهري ؛ هي أنه يمكن محاولة تحقـيق « الترانسفير » في حالتين : إمـا في ظـروف حرب تبادر بها إسرائيل ، وإما في ظرف تكون فيه المصـالح الأمريكية في

الشرق الأوسط (حقول النفط في الخليج) مهددة بخطر جدي ، وتكون بعض الأنظمة العربية الموالية لأمريكا مهددة بالانهيار . عندئذ ؛ قد تقدِّم إسرائيلُ نفسَها بمثابة الحليف الوحيد ذي الوزن لأمريكا في المنطقة – وهذا هو الوضع الذي يتمناه الإسرائيليون منذ الأزل . ورأيي أن تحالف إسرائيل مع الخميني ، ودعمها السّري – ولكن الجوهري – لمعظم الحركات المتطرفة في المنطقة ؛ يشيران إلى الأمل الكامن – حتى الآن – في أن إسرائيل ستصبح حليفاً مهمًّا للولايات المتحدة ؛ لدرجة أنه سيحق لها انتهاج سياسة من النمط النازي ؛ كالقيام بعملية « نقل » شاملة مثلاً « كمدافع عن الحضارة الغربية في المنطقة » (التعبير الشائع في الإعلام الصهيوني في الولايات المتحدة ؛ إلا أنه قل استخدامه منذ أن عرض التلفزيون هناك مشاهد من الانتفاضة) . دعونا نذكِّر بأن النازيين كانوا أيضاً يدَّعون « الدفاع عن الحضارة الغربية » آنذاك ضد الشيوعية ، وصدقهم كثيرون . صحيح أنه يبدو أن هذين الشرطين لم يتحققا في الوضع الراهن للعلاقات الدولية ؛ خاصة مع سريان وقف إطلاق النار في الحرب العراقية الإيرانية ، والانفراج في العلاقات ما بين القوتين العظميين ، إلا أنه – من جهة ثانية – توجد أسباب إسرائيلية داخلية قوية جدًّا ؛ تعرضها الصحف العبرية مطولاً ؛ للقيام باعتداء وقائي

ضد سورية . واعتقادي أنه يجب الحذر ، وملاحظة الإشارات المنذرة بتحقق هذا الاحتمال ، وعلى الذين لم يصدقوا بوشوك حدوث غزو لبنان - برغم وضوح الدلائل في الفترة مـــا بين يوليو ١٩٨١ ويونيو ١٩٨٢ ؛ وبخاصة في النصف الثاني منها - أن يتأملوا خطأهم ؛ فلنتتبع الإشارات التي تنذر بحدوث عملية « ترانسفير » ، ونحفظ عبرة الحكيم الصيني : « لنكن يقظين وحذرين كمن يخطو على طبقة من الجليد المرهوف » .

غير إنه حدث في إسرائيل نفسها تغييران مهمّان قد يحثان على التفــاؤل ؛ إذا ما أردنا إدراكهما : الأول هو ظهور أقلية كبيرة - إلى حد ما - في إسرائيل بعد ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ؛ على وجه الخصوص ؛ كرد فعل لحرب ١٩٧٣ ، وهي ذات طابع جديد ؛ ليست سلبية في وجه « سلطة » تأمر بارتكاب الفظائع ، ولن تبقى صامتة مثل الخبثاء في كيبوتس هايميك في عام ١٩٤١ . أما الظاهرة الثانية فهي وجود جزء من الرأي العام العالمي يُعْنَى بما يُدَبَّر ، ومستعد أحياناً لمعارضة مثل هذه الجريمة إنْ هي وقعت ، وسأهتم هنا - فحسب - بالأقلية الإســرائيلية اليهودية . تجـدر الإشارة أولاً إلى أن هؤلاء الـناس الذين يندمـج معظمهم جـيداً في المجتمع ، ويعرفـونه جـيداً أيضاً ؛ يحملــون خطر « الترانسفير » عـلى

محمل الجد ، ومن جهة أخرى ؛ يعلنون استعدادهم للتصدي لمثل هذه العملية حتى لو كان الثمن حدوث حرب أهلية . وأحياناً يُطلَبُ الكثيرُ من هذه الأقلية التي تعمل في ظروف بالغة الصعوبة ، وإن خفت درجتها مقارنة بفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ؛ فعلى سبيل المثال ؛ ليس بوسع هؤلاء أن يشكلوا حاجزاً أمام فظاعات نظام الغزوات ؛ كما لم تتمكن القوى المعارضة لحرب ڤيتنام في الولايات المتحدة من منع القوى الجوية الأمريكية من ارتكاب جرائمها البربرية ، إلا أن المعارضة الأمريكية أثبتت فعاليتها على شكلين : نشرها معلومات حول الجرائم ؛ وإنْ فعلت في وقت متأخر ، ثم إحداثها ثُغْرَة في صفٍّ « الوحدة الوطنية » الضرورية بالنسبة إلى دولة ذات ديمقراطية شكلية كي تتمكن من ارتكاب جرائمها .

واعتقادي أن الأقلية اليهودية الإسرائيلية قادرة على القيام بالشيء نفسه ، وأنه يمكنها بكسر الصمت والإجماع الوطني أن تنجح في وقف « الترانسفير » ؛ حتى إذا كانت العملية قد بدأت . هذا كل ما يمكن أن نتمناه في الوضع الراهن . وليس هذا بقليل إذا ما قارناه بالماضي . إننا نأمل في اتساع صفوف تلك الأقلية ، وفي أن يسمح لنا فهم أكبر للماضي بالإعداد لمستقبل أفضل .

فهرس

اصدارات دار البيادر

● رجا شحاده

صامد،

يوميات صامد في فلسطين المحتلة .

● ب . ج . نيفيل

الجذام ،

الدليل الصحي لمرضى الجذام

● ليني برنير

الصهيونية في زمن الديكتاتورية

● كاثي جلافانيس وباندلي جلافانيس

سيسولوجيا العلاقات الزراعية في الشرق الأوسط

استمرار الأنتاج العائلي .

● أشرف راضي

الفجوة

الصراع الطائفي في التجمع الصهيوني .

● وجيه حسن قاسم (أبو مروان)

نظرة جديدة في التحالف الصهيوني الإمبريالي .

● د . ماريوس ديب.

الوفد وخصومه .

● جيفري أرنسون

واشنطن تخرج من الظل .

● جدع جلادى .

اسرائيل نحو الأنفجار الداخلى

● أحمد عبد الله سرحان .

حرفنا العربى وأعلامه العظام عبر التاريخ

● مجيد منيب الياس

البندوق (رواية)

● د . محجوب عمر

الانتفاضة تراث وحاضر ومستقبل ظافر

رقم الايداع

١٨٣٦ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى ٤ - ١٧ - ١٥٦٠ - ٩٧٧

مطابع المنار العربى

١ شارع العامل الأول - امبابة - جيزة

تليفون ٣٤٥٢٢٦٤

إن الصهيونية الحقيقية ليست أكثر من تاريخ قرن من الزمان من الطرد والمحاولات التي لا تنتهي لإبعاد العرب عن البلاد .

رحبعام زئيفي

يجب أن يكون واضحا حتى من دون اللجوء إلى التشبيه أن فكرة الترانسفير ذات جذور عميقة في الفكر اليهودي .

إسرائيل شاحاك